المنبوذة

تأليف جورج سيمنون ترجمة حسن فؤاد





اشتهر جورج سيمنون برواياته البوليسية المثيرة التى اصبحت علامة مميزة له عند الملايين من قرائه .. ولكنه فى هذه الرواية ينتحى مذهبا جديدا !

فهنا يجعلنا سيمنون نعيش فى وقت واحد فى اثنين من احياء باريس ، اولهما حى الفقراء والكادحين والثانى حى الارستقراطية الناعمة . وبطلة الرواية موزعة القلب بين حنينها الى عيشة الفقراء الذين نشأت بينهم وتشبثها بمتع الثراء الذى دخل الى حياتها فجأة بضربة حظ ! .. والفقراء يحبونها لانها فقيرة اصيلة والاغنياء ينبذونها لانها دخيلة . والصراع مع نفسها ومع الذين حولها يضعف ويشتد حتى يصل الى ذروة المأساة .

انها قصة حبين وحبين وحياتين لامرأة واحدة . امرأة محبوبة ومنبوذة ..

١٠ قروش
ف ج ع م

سور الأزبكية

عمر زينب يوسف

الفصل الأول

نهض ميجريه من مقعده فى تثاقل تاركا مائدة الافطار قبل أن ينتهى من احتساء فنجان القهوة الاخير .. فقد قطع عليه لذة الارتشاف الهادىء رنين جرس التليفون الذى ينذر عادة بوقوع حدث جلل .

ولم يكن ذلك اليوم كغيره من الايام السابقة ، فقد كان يبدو وكانه احد أيام منتصف الشتاء رغم ان الوقت كان خريفا .. كذلك فان مصابيح الغرفة كانت مضاءة رغم أن الساعة قاربت الثامنة والنصف من الصباح .

وتلفتت مدام ميجريه الى زوجها وهو ينهض حاملا فنجان قهوته الاخير ، وافاقت من استغراقها الطويل وتاملاتها من خلف زجاج النافذة حيث كانت تتمعن فى الشارع الذى يغلفه الضباب ، وتراقب المارة الذين يهرعون الى أعمالهم وقد دسوا أيديهم فى جيوبهم وأحنوا ظهورهم من وطاة الصقيع .

واخذ رنين التليفون يدوى فى البيت كله ويتجمع فى اذنى ميجريه حتى غطى تماما على صوت زوجته وهى تقول له بلهجة تجمع بين الاشفاق عليه والتبرم بطبيعة عمله : ((الافضل لك ياعزيزى ان تاخذ معك معطفك الثقيل . فان الجو اليوم ..))

وعادت تنظر من خلال زجاج النافذة نظرات يشوبها القلق وهى تحاول أن تستشف مدى برودة الجو فى الخارج من سرعة خطوات كل سائر فى الشارع ، وعدد لفات الكوفية حول رقبته وطريقته فى قمد قرع الرصيف بحذائه لكى يستجلب الدفء الى قدميه ، ثم أخذت تحصى عدد المارة الذين يفرغون أنوفهم .

وقبل أن تلمس يد ميجريه سماعة التليفون .. كانت الزوجة قد تركت مكانها واتجهت الى خارج الغرفة لكى تحضر بنفسها المعطف الثقيل .

ورفع ميجريه السماعة باحدى يديه بينما كانت اليد الاخرى لاتزال ممسكة بفنجان القهوة .. فى حين تعلقت عيناه هو الاخر بالنافذة ، فى اتجاه البيوت الواقعة علىالجانب الاخر منالشارع والتى كانت تختفى تماما خلف أستار الضباب .

ونقلت السماعة الى أذنه صوتا مالوفا لديه : « آلو .. صباح الخير ياعزيزى المفتش ميجريه .. انا دوبيه ، واتحدث الان من حى التـــيرن .. »

وقد بدا غريبا أن يكون المتحدث هو المفتش دوبيه ، فهو رجل غريب الاطوار ، وحديثه على هذا النحو المفاجىء فى ذلك الصباح الغريب الطقس ينبىء بيوم مثير حقا ..!

ودوبيه هو أحد مفتشى بوليس منطقة الاتوال ، وكان أحول العينين وزوجته أيضا حولاء ، كما يقال أن بنـــاته الثلاث — اللاتى لم يرهن ميجريه على الاطلاق — كن هن أيضا مصابات بالحول وكان ذا ضمير حى ويتميز بالامانة التــامة فى عمله وكثيرا ما كان يجهـــد طاقته حتى يصـــاب بمرض يقعده فى الفـــراش اياما .. وحتى الاشـــياء التافهة كانت تظهر لها اهمية خاصة عند وجوده ، ورغم انه كان خير زميل فى أية مهمة فان جميع زملائه كانوا لا يملكون انفسهم من الضيق والتبرم برفقته ، وبالاضافة الى كل ذلك فقد كان مصابا بزكام دائم يلازمه صيفا وشتاء . وكان من عادته أن يسرع فى نطق الكلمات :

« آسف يا عزيزى لازعاجك فى بيتك .. كنت أتوقع أنك ما زلت فى البيت لم تغادره بعد فقلت لنفسى .. »

ولم يكن أمام ميجريه سوى التذرع بالصبر والانصات الى ما يبرر به دوبيه هذه المكالمة ، فقد كان من رايه ان يفيض فى تبرير ما يفعل كانما يفترض فى تصرفاته الخطا دائما .

واسترسل قائلا : « اعتقد أنك تفضل أن تحضر بنفسك .. ان الحادث يبدو مثيرا .. هذا هو ما أتصـــوره ، وربما اكون مخطئا فى تصورى .. اذ يجب ان تتذكر أنى لا أعرف شيئا حتى الان .. أو بالاحرى ، لا أكاد أعرف شـــيئا ، فقد وصلت الان فقط الى مكان الحادث .. »

وكانت مدام ميجــريه تنتظر طوال الوقت والمعطف الثقيــل على ذراعيها وأراد زوجها أن يهون عليها الانتظار ، فهمس : «انه دوبيه!»

واستمر صوت دوبيه يطن في السماعة : « لقد وصلت الى مكتبى في الثامنة صباحا كما هي عادتى كل يوم .. ومضيت أتصفح بريد الصباح وفي الثامنة وسبع دقائق بالضبط تلقيت مكالمة تليفونية من الخادمة.. فقد كانت هي التي عثرت على الجثة عند دخولها الشقة في شارع كارنو ولما كان البيت يكاد يكون مجاورا للقسم فقد توجهت الى هناك على الفور ومعى سكرتيرى .. »

وقاطعه ميجريه :

ـ هل هو حادث قتل ؟ .

ـ النظرة الاولى تشير الى أنه انتحار .. ولكنى استطيع ان اجزم ان في الامر جريمة .

ـ ومن القتيل ؟

ـ امرأة صغيرة السن تدعى لويز فيلون ، ولكنى لم اسمع باسمها من قبل .

ـ سأحضر حالا !

وعاد دوبيه يتكلم من جديد ، ولكن ميجريه تظاهر بانه لم يسمعه وأعاد السماعة مكانها .

وقبل ان يغادر ميجريه البيت اتصل بالمحــافظة وطلب تحويله الى ادارة تحقيق الشخصية :

ـ مسيو موى موجود ؟ .. نعم .. أريده في امر عاجل .. آلو .. موى ؟ .. اجمع رجالك حالا وتوجهوا الى شارع كارنو .. حادث قتل .. سأكون هناك ..

وأعطاه رقم المنزل ثم ارتدى معطفه ، وبعد ثوان قليلة لم يعد في عيني زوجته من خلف زجاج النافذة الا شبح آخر يهرول وسط اشباح المارة التي تتحرك في الضباب . ولم يوفق الى العثور على تاكسى الا حين بلغ ناصية شارع فولتير .

وحول ميدان « الاتوال » كانت الشوارع الكبيرة شبه خالية ، لا تلقى فيها الا عمال النظافة يجمعون المخلفات .. وكانت الســتائر مسدلة على معظم النوافذ لا تنبعث الاضواء الا من عدد قليل منها .

وأمام عمارة فاخرة بشارع كارنو كان يقف شرطى يرتدى دثار الكاب الذي يغطى الكتفين . ولكن لم يكن هناك فضوليون او اي جمهرة من الناس

وسأل ميجريه : أى طابق ؟

وأجاب رجل البوليس : الثالث ..

ودخل ميجريه من باب العمارة الرئيسى الذى تحليه مقابض من النحاس المتلالىء لفرط اللمعان . وفى حجرة البوابة كان النور مضاء والمرأة جالسة تتناول فطورها ، فراحت تتابعه بنظراتها من خلال نافذة صغيرة فى جدار الغرفة ولكن دون أن تتحرك من مكانها .

وكان الدرج المصنوع من خشب البلوط المطلى بالورنيش مغطى بسجادة ذات لون احمر فاقع . اما المصعد فكان يعمل دون ضوضاء كما هو الحال فى جميع العمارات الفخمة .

وفى الطابق الثالث وجد ميجريه نفسه فى حيرة بين الشقق الثلاث المغلقة الابواب .. ولكن ما هى الا لحظة من التردد حتى فتح باب الشقة اليسرى وظهر على عتبته دوبيه ، وكان محمر الانف من أثر الزكام . وندت عن دوبيه صيحة فرح كأنه تلقى نجدة طال انتظاره لها :

« تفضل ياعزيزى ميجريه ادخل : لقد قررت ألا أمس شيئا ، وأنا فى انتظار حضورك .. ولم استجوب أحدا حتى ولا الخادمة » .

وعبر ميجريه الصالة التى لم تكن تضم من قطع الاثاث الا كرسيين ومشجبا لتعليق المعاطف ، ثم دخل الى حجرة الجلوس التى كانت مضاءة .

وقال دوبيه : لقد استرعى نظر الخادمة ان الانوار كانت مضاءة فى هذه الغرفة .

وفى ركن من الغرفة كانت هناك اريكة مكسوة بغطاء أصفر فوقها جثة امرأة شابة ذات شعر كستنائى وقد تكورت وانثنت على نفسها بطريقة غريبة .. وكانت هناك بقعة كبيرة تصبغ « الروب » المنزلى الذي ترتديه باللون الاحمر القانى .. وشرع دوبيه فى ابداء ملاحظاته :

ــ لقد اطلقت رصاصة على رأسها .. ويبدو انها اطلقت من ورائها ومن مسافة قريبة جدا ، ولكنها لم تقع على الارض بعد اصابتها كما ترى . لقد تهاوت على جانبها الايمن ، وتدلى رأسها الى اسفل ، وكادت خصلاتها تلامس الارض ..

وتساءل ميجريه : ــ وأين الخادمة .. ؟

ــ اعتقد انها الان فى المطبخ ، فقد سألتنى ان اسمح لها بأن

تعد لنفسها فنجانا من القهوة .. لقد قالت لى انهـا وصلت الى المسكن فى الثامنة صباحا كما هى عادتها كل يوم .. وانهـا تحتفظ بمفتاح الشقة ، فتحت به الباب ، وانها عندما دخلت رات الجثـة.. وهى تزعم انها لم تلمس شيئا وابلغتنى من فورها تليفونيا بما حدث.

وهنا ادرك ميجريه السبب فيما استرعى بصره وبدا له غريبـا عند وصوله الى المكان .. فقد كان يتوقع — كما اعتاد فى الحالات المماثلة — ان يشق طريقه بصعوبة فوق الرصيف وسط كتل من الناس الذين يجمعهم الفضول والرغبة فى استراق النظر . كما كان يتوقع ان يجد جميع سكان العمارة قد تركوا شققهم ومضوا يذرعون الدرج وكلهم عيون وآذان والسنة تسال وتستفسر وتستطلع .. ولكنه لم يجد شيئا من ذلك ، فكل شىء هادىء كان احدا لم يطلق الرصاص ولم يقتل فتاة فى مقتبل العمر .

— وهل هذا هو الطريق الى المطبخ . ؟

وكان المطبخ فى نهاية الممشى ، وبابه مفتوحا . وعلى مقعد بجوار الموقد جلست امرأة سوداء الشعر والعينين وترتدىثوبا أسود، وهى تحتسى قدحا من القهوة . تنفخ فيه بانفاسها لتبدد سخونته .

وخيل لميجريه انه رأى هذه المرأة من قبل .. وجعل ينظر اليهـا بامعان وقد زوى ما بين حاجبيه مفكرا . وهى ترد عليه نظرته فى ثبات ومازالت ترشف القهوة وتمط شفتيها حتى تصلان الى حافة القدح.

كانت نحيفة وقصيرة القامة الى درجةبحيث لا تكاد قدماها تلامسان الارض وهى جالسة على المقعد . وكانت تلبس حذاء كبير الحجم جدا بالقياس الى جسمها اما ثوبها فكان اطول مما ينبغى .

وبدا ميجريه حديثه معها :

— اظن اننا التقينا من قبل .. ؟

فأجابت وهى متحكمة تماما فى اعصابها :

— ربما ..

— ما اسمك ؟

— ديزيريه برو .

وكان فى لقبها ما ذكر ميجريه بشىء مضى فقال :

— ألم يحدث مرة ان اعتقلك البوليس بتهمة سرقة بعض السلع من محل كبير ؟

— حدث ذلك ضمن تهم اخرى ..

ـ كم مرة اعتقلت ...

ـ مرات عديدة ..

ولم يظهر على وجهها اى اثر للخوف او لاى انفعال آخــر .. كانت تنظر اليه فى ثبات ، وتجيبه فى ثبات ، اما ما يدور فى رأسها فلا يستطيع احد ان يتبينه .

ـ هل حكم عليك بالسجن ؟

ـ تستطيع ان تجد الاجابة فى ملف سوابقى .

ـ هل حكم عليك بتهمة الدعارة ؟

ـ ولم لا ؟

ولا شك ان هذا الاتهام كان منذ وقت طــويل ، فانهــا الان تبلغ الخمسين أو الستين ، وقد ذبلت وذوت ، ولكن العجيب فيها أنها لم تعرف الشيب ! فعلى الرغم من أن شعرها قد نحل حتى كشف عن فروة رأسها .. فلا تبدو فيه خصلة واحدة بيضاء أو حتى رمادية ..

وقالت : فى يوم ما كنت فتــاة جميلة .. تمــــاما مثلما كانت القتيلة !

ـ منذ متى وانت تشتغلين فى هذه الشقة .

ـ بعد شهر آكون قد اتممت سنة كاملة . فقد بدات عملى هنا فى ديسمبر ، قبل عطلة أعياد الميلاد بفترة قصيرة .

ـ هل تعملين هنا طوال اليوم ؟

ـ بل من الثامنة حتى الظهر .

وكانت رائحة القهوة قد نفذت الى خياشيم ميجريه ، فلم يستطع ان يقاوم اغراءها ، وتقدم لكى يصب لنفسه فنجانا .

وكان دوبيه واقفــا عنــد باب المطبخ وهــو فاغر فاه ، فســأله ميجريه : اتريد فنجانا من القهوة يا دوبيه ؟

فاجاب وهو يخرج منديله لكى يمسح به انفه :

ـ لا .. شكرا ، فقد تناولت افطارى منذ اقل من نصف ساعة

ونهضت ديزيريه برو لكى تصب لنفسها فنجانا هى الاخرى ، وبدا ثوبها الفضفاض مائجا حول جسمها الصغير الذى لا يزيد فى الوزن على جسم فتاة صغيرة فى الرابعة عشرة .

ـ هل تزاولين اعمالا اخرى ؟

ـ ثلاثة او اربعة .. فى بعض الاسابيع .

ـ هل تعيشين وحدك ؟

ـ مع زوجى ..
ـ هل سجن هو ايضا ؟
ـ لا اعتقد .. فهو يمضى كل وقته فى الشراب ؟
ـ أهو متعطل ؟
ـ منذ خمسة عشر عاما لم يؤد عمـــلا على الاطـــلاق .. حتى ولا دق مسمارا فى جدار .

وكانت تتكلم بغير مرارة وبنبرة مرسلة لا تستطيع ان تتبين فيهـــا شيئا من السخرية ..

ـ ما الذى حدث هذا الصباح ؟ ..

فأومأت برأسها الى دوبيه قائلة :

ـ ألم يخبرك هذا السيد ؟ .. فليكن اذن .. لقد حضرت الى هنا فى الساعة الثامنة ..

ـ أين تقيمين ؟

ـ بالقرب من ميدان كليشى ، وقد حضرت بالمترو ، وعندما فتحت باب الشقة بالمفتاح الذى معى وجدت النور مضـــاء فى حجـــرة الجلوس ..

ـ هل كان باب حجرة الجلوس مفتوحا ؟
ـ لا ..
ـ هل تعودت القتيلة ان تستيقظ قبل موعد وصولك ؟
ـ لم تكن تستيقظ الا فى العاشرة او بعد ذلك احيانا ..
ـ ما هى مهنتها ؟
ـ كانت بلا عمل ..
ـ استمرى ..
ـ فتحت باب حجرة الجلوس ، ورأيتها ..
ـ ألم تلمسيها ؟

ـ لم تكن بى حاجة لان المسها .. لكى اتأكد من انهـــا فارقت الحياة .. كان نصف وجهها ممزقا .. !

ـ وماذا فعلت بعد ذلك ؟
ـ ابلغت الشرطة .
ـ هكذا بدون ان توقظى احدا من الجيران او حتى بوابةالعمارة..

فقالت وهى تهز كتفيها :

ـ ولماذا أوقظهم ؟ ..
ـ وبعد ان ابلغت البوليس بالتليفون .. ماذا حدث ؟

ـ جلست انتظر .. ؟
ـ وماذا فعلت اثناء انتظارك ؟
ـ لم افعل شيئا ..
كان الوضع غريبا ، أن تجلس هذه المرأة فى بساطة ، وهى تحملق فى الجثة فى انتظار ان يدق البوليس جرس الباب .
ـ هل انت متأكدة انك لم تلمسى شيئا ؟
ـ طبعا متأكدة .. ! !
ـ الم تعثرى على مسدس ؟
ـ لم اعثر على شىء على الاطلاق ..
وتدخل المفتش دوبيه قائلا : لقد بحثنا فى كل مكان عن المسدس.. ولكن بلا جدوى ..
ـ هل كان هناك مسدس فى حوزة لويز فيلون ؟
ـ اذا كان لديها مسدس فانى لم أره .
ـ هل تغلق سيدتك دولابها وادراجها بالمفتاح ؟
ـ لا ..
ـ اعتقد انك تعرفين محتويات دواليبها وادراجها .. ؟
ـ نعم .
ـ ولم ترى فيها مسدسا ؟
ـ ابدا .. !
ـ قولى لى .. هل كانت سيدتك تعـرف انك من صاحبـات السوابق ؟
ـ لقد اخبرتها بكل شىء عنى ..
ـ الم يفزعها ذلك منك ؟
ـ بالعكس .. ولست ادرى ما اذا كانت هى أيضا قد عرفت حياة السجون من قبل .. ولكن أغلب ظنى انه سبق لها أن دخلت السجن ..
ـ ما الذى تقصدين ؟ .
ـ اقصد انها ، قبل ان تسكن هذه العمارة الفخمـة ، كانت من فتيات الشوارع .. !
ـ ومن اين لك ان تعرفى ؟
ـ منها هى ! انهـا هى التى اخبرتنى بذلك .. وحتى اذا لم تخبرنى ...

وفي هــذه اللحظة سمع دبيب أقدام خارج الشقة ، وذهب دوبيه لكي يفتح الباب وكان القادم هو موى ورجاله ومعهم اجهزتهم ..
والتفت ميجريه الى موى وقال له :
ــ لا تبــدأ الان ، انتظر قليــلا .. والافضــل ان تتصــل أولا بالمدعى العام ..
كانت ديزيريه برو قد استولت على كل اهتمام ميجريه .. فقـــد كان يفكر في كل كلمة قالتهــا ، ويبحث عن اى معنى او مغـــزى او لمحة وراء اية كلمة منها ..

وأحس بأن جو المطبخ دافىء .. فخلع معطفه الثقيل وجلس يحتسى القهوة التى كانت قد فقدت بعض حرارتها .
ــ هل لك ان تجلسى .. ؟
ــ شكرا ياسيدى انها لفتة كريمة منك فنحن الخادمات لم نتعود مثل هذه المعاملة الرقيقة ..
ولاول مرة ظهرت على وجهها شبه ابتسامة !
ــ هل لديك اية فكرة عن الشخص الذى يحتمل ان يكون قد قتل سيدتك . ؟
ــ اؤكد لك انى لا اعرف ..
ــ هل كان هناك زوار كثيرون يترددون على سيدتك ؟
ــ لم ار ابدا اى زائر هنا فيما عدا طبيب المنطقة الذى جاء مرة للكشف عليها عندما أصيبت بالتهاب رئوى .. انك تعرف طبعا اننى انصرف فى الثانية عشرة ظهرا ..
ــ الا تعرفين ما اذا كان لها اصدقاء ؟
ــ كل ما اعرفه هو ان لديها بضعة شباشب خاصـــة بالرجال بالاضافة الى « روب دى شامبر » رجالى فى دولابها ، كما ان لديها صندوقا مليئا بالسيجار ، وهى لا تدخن السيجار ..
ــ لابد اذن أن ثمة رجلا يجىء الى هنا ..
ــ ... !؟
ــ اليست لديك فكرة عن هذا الرجل ؟
ــ لم اره ابدا ..
ــ الا تعرفين اسمه ؟ .. الم يحدث أن طلب سيدتك فى التليفون اثناء وجودك ؟
ــ حدث ..

ــ باى اسم كانت تخاطبه ؟

ــ ((بيرو)) .

ــ هل كان هو الذى ينفق عليها ؟

ــ اعتقد أنه لابد أن يكون هناك شخص يدفع عنها ايجار الشقة ويتكفل بسائر النفقات الاخرى .. الا تعتقد انت ذلك ؟

ونهض ميجريه واقفا ، ووضع فنجان القهوة بجانب الموقد ثم عبا غليونه بالطباق ..

وسالته الخادمة :

ــ هل أستطيع الانصراف الان ؟

ــ انتظرى قليلا ..

وعاد الى حجـــرة الجلوس حيث كان خبراء تحقيق الشخصية ينتظرون تعليماته لكى يشرعوا فى العمل .

كانت الحجرة على اتم ما يمكن من الترتيب ، وبالقرب من الاريكة لمح ميجريه مطفاة سجاير تحتوى على بعـــض الرماد واعقـــاب ثلاث سجاير تحمل سيجارتان منها آثار احمر شفاه .

وكان الباب الذى يؤدى الى غرفة النوم مواربا ، ولاحظ ميجريه ، لدهشته ، ان السرير غير مرتب وان وسط المخدة مقوس قليلا الى الداخل مما يدل على أن شخصـــا واحدا نام على السرير فى الليلة السابقة .

وسأل ميجريه :

ــ ألم يحضر الطبيب بعد ؟

وأجاب موى :

ــ لم نجده فى بيته ، وطلبنا من زوجته ان تحاول الاتصال به فى جميع بيوت المرضى الذين يمر بهم هذا الصباح .

وفتح ميجريه بعض الدواليب والادراج ، ووجد نفسه أمام مجموعة من الملابس الداخلية والخارجية تنبىء كلها عن ان صاحبتهـــا ذات ذوق فاسد على غير ما هو متوقع من امرأة تقيم فى شـــارع مثـل شارن كارنو .

ووجه ميجريه كلامه الى موى قائلا : ابحث عن بصمات الاصابع وسائر الاثار المادية الاخرى ريثما انزل للتحدث مع ((البوابة)) .

وقبل أن يخرج من الغرفة ساله المفتش دوبيه :

ــ اذا كنت فى حاجة الى المزيد من خدماتى فانى ..

ــ شكرا .. لقد قمت بكل ما هو مطلوب منك على أكمل وجـــه.. ارسل لى تقريرك قبل نهاية اليوم .

ــ بالطبع سارسله اليك بأسرع ما يمكن ، واعتقد انك ســتجد فيه بعض ما يفيـدك .. أظن أن اللغز كله يـكمن فى المسدس فلو كنا قد عثرنا على المسدس بالقرب من الكنبةلكان من المرجح ان المرأة انتحرت ، لان الرصاصة القاتلة اطلقت عليها من مسافة تقل عن متر ، رغم أن تجاربى اقنعتنى بان النساء اللاتى من هذا النوعيقتلن انفسهن عادة بواسطة عقار ((الفيرونال)) ، فانى لم اشهد منذ خمس سنوات على الاقل امرأة فى هذا الحى تنهى حياتها بطلقة مسدس.. وبناء عليه فما دمنا لم نجد مسدسا ...

ــ حقا كنت ممتازا فى عملك اليوم يا دوبيه ..

ــ اننى احاول ان ابذل اقصى طاقتى لكى ..

وظل دوبيه يلازم ميجريه . ويلاحقه بآرائه وتعليقاته حول الحادث الى ان وصلا الى حوش السلم ، ودخل ميجريه وحده الى غرفـــة البوابة .

ــ صباح الخير يا مدام ..

ــ مرحبا يا جناب المفتش .

ــ هل تعرفين من انا ؟

وأجابت بايماءة من رأسها تحمل معنى الايجاب .

ــ هل أحطت علما بما حدث ؟

ــ لقد سالت رجل البوليس الواقف على الرصيف أمام العمارة فابلغنى ان مدموازيل لويز ماتت ..

كانت حجرة البوابة تعكس جانبا من جو ((الفخامة)) السائد فى العمارة كلها ، اما البوابة نفسها ، التى تخطت الاربعين من العمر، فكانت ترتدى ثيابا بسيطة تنم عن ذوق رقيق ، وتناسب جســـمها وسنها ، وكانت على قدر ما من الجاذبية رغم أن اوداجها منتفخةبعض الشىء ..

وبعد ان جلس ميجريه بالقرب من نافذة حجرتها فوجىء بهـــا تسأله :

ــ هل صحيح انها ماتت مقتولة ؟

ـ ولماذا تفترضين لها القتل ؟

ـ لاني اعتقد انها لو كانت ماتت ميتة طبيعية لما اقلق البوليس نفسه بالمجيء الى هنا ..

ـ الا يجوز أن تكون انتحرت ؟

ـ انها ليست من الطراز الذى ينتحر .. !

ـ أنت تعرفينها جيدا اذن ؟

ـ استطيع ان اقول اني اعرفها عن كثب .. فهي لم تكن تتحدث معي كثيرا ، ولم تكن تطرق بابي الا لكي تتسلم رسائلها البريدية التي ترد في غيابها ..

ـ هل كانت تتغيب كثيرا عن البيت ؟

ـ لقد لاحظت انها لم تكن تحس ابدا انها في بيتها ..

ـ تعنين أنها لم تكن من نفس طبقة السكان الاخرين هنا ؟

ـ أظنك فهمتني الان .

ـ ما الطبقة التي تعتقدين انها تنتمي اليها .

ـ لا اعرف على وجه التحديد .. وليس هناك ما يدعوني لان احط من شأنها ، فقد كانت مخلوقة هادئة ، ولم تكن تتظاهر باكثر من حقيقتها ..

ـ ألم تخبرك خادمتها بأي شيء عنها .. ؟

ـ خادمتها ؟ .. ديزيريه برو ؟ .. انها لا تكلمني كما اني لا اكلمها .. !

ـ ولكنك تعرفينها .. ؟

ـ لايهمني ان اعرفها .. يكفيني ان اراها عند دخولها وخروجها ..

ـ هل كان هناك رجل يتكفل بنفقات لويز فيلون ؟

ـ ربما كان هناك مثل هذا الرجل ، ولكن المهم انها دابت على دفع ايجار شقتها بانتظام .

ـ الم يكن يأتي احد لزيارتها ؟

ـ من آن لاخر ..

ـ بانتظام ؟

ـ ان زوارها كانوا ، مثلها ، لا يعرفون الانتظام ..

واحس ميجريه ثانية انه امام شاهدة متكتمة ، ولكنها تختلف عن الشاهدة الاولى ـ ديزيريه برو ـ في عصبيتها ، فقد كانت تنقل بصرها سريعا بين نافذة غرفتها وبابها الزجاجي ، وفي احدي

نظراتها الخاطفة لفتت نظر ميجريه الى ان « الطبيب حضر الان » ولم يكن يهتم بوصول الطبيب قدر اهتمامه بوصوله هو الى ماق نفس هذه المرأة ..

— خبريني يا مدام .. لقد نسيت ان أسألك عن اسمك ؟

— كورنيه ..

— خبريني يامدام كورنيه .. أليس هناك شيء خاص تحتفظين به بينك وبين نفسك وتستطيعين — اذا افصحت عنه — ان تساعديني في مهمتي ؟ ..

وجمعت المرأة كل عصبيتها في نظرة سددتها الى ميجريه في عينيه :

— لماذا تسأل هذا السؤال ؟

— ليس هناك سبب لسؤالي ، وانما اردت فقط ان اعرف ما اذا كان رجل واحد الذي يتردد على شقة لويز فيلون أم أن هناك رجلا آخر .. ؟

— الذي كنت اراه كان هو نفس الرجل دائما ..

— من أي نوع من الرجال هو ؟

— موسيقى ..

— كيف عرفت ؟

— لاني رأيته مرة او مرتين ، يحمل الصندوق الخاص بآلة الساكسفون ...

— هل حضر مساء امس ؟

— في نحو الساعة العاشرة ..

— وهل كنت تسمحين له بالدخول والخروج ؟

— لا .. ولكني بعد الحادية عشرة أذهب الى فراشي وأترك باب العمارة مفتوحا ..

— ولكنك تستطيعين من داخل غرفتك ان تراقبي حركة المرور في مدخل العمارة ..

— هذا صحيح الى حد ما .. ولكن السكان كثيرون ، وكلهم تقريبا من الاشخاص المرموقين ..

— قلت ان هذا الموسيقى حضر امس في العاشرة .. أى قبل ان تنامي ، ومعنى ذلك انه دخل تحت سمعك وبصرك ..

— نعم ، ولكنه لم يبق اكثر من عشر دقائق ، وعندما نزل كان يبدو في حالة استعجال هستيرية ، وقد سمعت وقع اقدامه وهو يندفع في

اتجاه ميدان الاتوال ..

ـ هل لاحظت على وجهه أى تعبير ؟ .. هل كان يبدو عليه الاضطراب .. ؟

ـ لا .

ـ هل جاء آخرون يزورون لويز فيلون ليلة أمس ؟

ـ لا .

ـ معنى ذلك انه لو وجد الطبيب ان الجريمة ارتكبت فيما بين العاشرة والحادية عشرة .. فسيكون فى حكم المؤكد ان ..

ـ لا .. انا لم اقل ذلك ، لقد قلت فقط انه كان الوحيد الذى يتردد على زيارتها ..

ـ افهم من كلامك ان الموسيقى كان عشيقها .. ؟

ولم تسعفها بديهتها باجابة سريعة ، فصمتت لحظة ثم تمتمت :

ـ لا اعرف .

ـ ماذا تعنين ؟

ـ لا شىء .. كنت افكر فقط فى ايجار الشقة ..

ـ فهمت الآن .. ان هذا الموسيقى لم يكن من الثراء بحيث يستطيع تكبد نفقات عشيقة تقيم فى مثل هذه الشقة ..

ـ هذا ما عنيت ..

ـ الم تحسى ، يا مدام كورنيه ، باى انفعال لمصرع ساكنتك ؟

ـ الحقيقة انه شىء لم آكن اتوقعه ، كما انى ايضا لم ادهش له كثيرا ..

ـ لم ؟

ـ لا اعرف سببا واضحا لذلك .. ربما كنت اميل الى الاعتقاد بان النساء اللاتى من هذا الصنف يعرضن انفسهن للمخاطر اكثر من غيرهن .. على اية حال هذا هو الانطباع الذى يخرج به اى شخص من قراءته الصحف ..

ـ هل استطيع ان اطلب منك قائمة باسماء جميع السكان الذين دخلوا الى العمارة او خرجوا منها بعد الساعة التاسعة من مساء أمس ؟

ـ بكل سرور ..

ـ هل اتسلم منك هذه القائمة عند مغادرتى لهذا المكان ؟

ـ بكل تأكيد ..

وعندما غادر حجرة البوابة التقى بالمدعى ونائبه وهما يخرجان من

السيارة ومعهما كاتب النيابة ، وكان ثلاثتهم يرتعدون من البرد ، فلم يكن الضباب قد انقشع بعد بل بدا وكأنه يزداد كثافة مع سحب الزفير الصغيرة المنبعثة من انوفهم وافواههم ..

وبعد ان صافحهم استقل معهم المصعد .. وكانت العمارة كلها ـ باستثناء الطابق الثالث ـ لا تزال سادرة فى هدوئها العجيب الذى لاحظه ميجريه بدهشة عند صعوده وحده فى المرة الاولى .. فان السكان هنا ليسوا من النوع الذى يتسمع او يتسقط الاخبار او يسترق الرؤية من خلال « الشراعات » أو الابواب نصف المفتوحة حتى لو كانت هذه الاخبار خاصة بقتل امراة وحيدة داخل شقتها .

وفى كل مكان من الشقة كان موى ورجاله قد نصبوا اجهزتهم، كما كان الطبيب قد انتهى من فحص الجثة . وعندما رآى ميجريه داخلا اقبل عليه وشد على يده فى حرارة ، ولكن ميجريه سأله على الفور :
ـ متى حدثت الوفاة ؟ .. فى أية ساعة ؟

ـ النظرة الاولى تدل على ان القتيلة لفظت انفاسها الاخيرة فيما بين التاسعة مساء ومنتصف الليل ، وربما كان المرجح انها ماتت فى نحو الحادية عشرة ..
ـ اعتقد ان الوفاة حدثت بعد لحظات من اطلاق الرصاص .. ؟
ـ الم تر الجثة .. ان الرصاص اطلق عليها من مسافة سنتيمترات !
ـ من الخلف ؟
ـ من الخلف ، ولكن بانحرافة بسيطة الى الجانب .
وقاطعهما موى قائلا :

ـ لابد وانها كانت تدخن سيجارة فى تلك اللحظة .. فقد سقطت

السيجارة بالقرب من سجادة الغرفة وظلت تحترق الى ان انطفأت ، ولحسن الحظ ان النار لم تمتد الى السجادة ..
وارتفع صوت آخر يقول :
ـ ما نوع الجناية بالضبط ؟ ..

كان السائل هو نائب المدعى الذى بدا عليه انه اكثر الموجودين جهلا بالحادث واجابه ميجريه :
ـ لا أعرف .. ربما كانت جناية قتل عادية ، ولكنها تدهشنى من نواح كثيرة ..
ـ هل لديك اى دليل ؟

— لا دليل على الاطلاق .. وسأذهب الان لاستجواب الخادمة مرة اخرى ..

وقبل ان يتجه الى المطبخ اتصل تليفونيا بالمحافظة وطلب استدعاء المخبر لوكاس — الذى كان مشغولا فى مهمة اخرى — لكى يلحق به على الفور ، ولم يلتفت بعد ذلك الى المدعى ولا الى مرافقيه ولا الى خبراء تحقيق الشخصية الذين كانوا يواصلون عملهم فى نشاط .

كانت ديزيريه برو — او «مدام برو» كما يناديها معارفها — جالسة فى نفس مكانها من المطبخ ، لم يتغير من هيئتها شىء سوى انها توقفت عن شرب القهوة واخذت تدخن سيجارة احترق معظمها ولم يبق منها الا جزء صغير يكاد يحرق اصابعها الناحلة ، ونهضت واقفة عندما فتح الباب :

— أظن اننى استطيع الانصراف الان .. ؟

ولكن ميجريه رمقها بنظرة صارمة ، ثم جلس فى مواجهتها تماما :

— افرغى ما عندك .. !

— افرغ ماذا ؟ ..

— كل ما تعرفين ..

— لقد افرغت امامك كل ما عندى ..

— كيف كانت لويز فيلون تمضى وقتها ؟ ..

— اننى لم اكن معها طول الوقت .. اما فيما يختص بفترة الصباح فاستطيع ان اقول لك انها كانت تنهض من فراشها — او بالاحرى، تستيقظ — فى نحو العاشرة ، لانها لم تكن تنهض بعد استيقاظها مباشرة ، وقد تعودت ان اقدم لها القهوة وهى فى الفراش ، وكانت تشرب قهوتها وتدخن وتقرأ وهى متكئة الى المخدة ..

— ماذا كانت تقرأ ؟

— المجلات والروايات .. وكانت ايضا مغرمة بالاستماع الى الراديو ، ولاشك انك لاحظت وجود جهاز راديو على « الكومودينو » الملحق بسريرها .

— الم تكن تخاطب أحدا بالتليفون ؟

— فى نحو الحادية عشرة ..

— كل صباح ؟ ..

— تقريبا ..

ـ بييرو ؟ ..

ـ نعم ، .. وفى بعض الاحيان كانت ترتدى ملابس الخروج عند الظهر وتغادر الشقة حيث تتناول طعام غدائها فى الخارج ، ولكن ذلك لم يكن يحدث كثيرا .. ففى معظم الايام كانت ترسلنى الى السوق لكى اشترى لها لحما باردا واطعمة جاهزة ..

ـ الا تعرفين ماذا كانت تفعل فى فترات بعد الظهر ؟

ـ اعتقد انها كانت تخرج .. لابد انها كانت تخرج ، لاننى فى كل صباح كنت اجد حذاءها متسخا .. وربما كانت تتجول حول المحلات التجارية كما تفعل كل النساء .

ـ الم تكن تتناول عشاءها فى البيت ؟

ـ نادرا ما كنت اعثر على بقايا طعام فى الصباح .

ـ هل كانت تخرج لكى تقابل بييرو ؟

ـ ربما هو .. وربما شخص آخر .. !

ـ اواثقة انت من انك لم تريه ابدا ؟

ـ كل الثقة ..

ـ الم ترى اى رجل هنا ؟

ـ لا احد فيما عدا بائع اللبن وحامل انابيب البوتاجاز .

ـ متى خرجت من السجن ؟

ـ منذ ست سنوات ..

ـ الا تنتابك رغبة فى معاودة السرقة من المحلات التجارية . ؟

ـ لم تعد اعصابى تساعدنى على ذلك ..

ثم صاحت فجأة :

ـ انظر .. انهم يحملون الجثة الى الخارج ..

وارهف ميجريه السمع الى الضوضاء الصادرة من حجرةالجلوس .. انهم رجال مصلحة الطب الشرعى ..

وشردت الخادمة لحظة ، ثم قالت كأنما تخاطب نفسها :

ـ وا اسفاه ، انها لم تكد تستقر فى حياتها الجديدة ..

ـ ما معنى كلامك هذا ؟

ـ لقد عاشت فى شقاء حتى سن ٢٢ ، وعندما بدأت تنعم بالسعادة .. لم تدم فترة سعادتها اكثر من سنتين ..

ـ هل كانت تثق بك .. ؟

ـ كانت تعاملنى كانسانة ..

ـ الم تقل لك من اين جاءت ؟

— لقد ولدت في الحي الثـــامن عشر بباريس ، في وسط مليء بالاقذار والنفايات وامضت عمرها في حي ((لاشابيل)) وعندما انتقلت الى هنا كانت تتصور انها ستبدأ حياة نظيفة ناعمة ..

— الم تكن سعيدة ؟

وهزت الخادمة كتفيها ونظرت الى ميجريه في رثاء كأنما ادهشها ان تجده على مثل هذه الدرجة من الغباء .. !

— هل تعتقد — ياسيدى — انها يمكن ان تسعد بالاقامة في بيت لا يتنازل سكانه حتى بمجرد النظر اليها عندما يلتقون بها صدفـــة على السلم ! ..

— لماذا جاءت لتقطن هنا ؟

— لا شك ان لديها اسبابا لذلك ..

— هل كان عشيقها الموسيقى هو الذى ينفق عليها ؟

— من الذى قال لك ان لها عشيقا يعمل موسيقيا ؟

— اقصد بيبرو .. اليس بيبرو عازف ساكسوفون ؟

— انه يشتغل — فيما اعلم — ضمن فرقة في صالة رقص ..

كانت مدام برو تنتقى كلماتها بعناية ، ولا تقول سوى الاشياء التى تختار هى ان تقولها . ورغم ذلك فقد استطاع ميجريه ان يلم ببعض الالمام بحياة لويز فيلون وان يكون فكرة عامة عن شخصيتها ،وقد اقتنع الان ان المرأتين كانتا تنفقان اوقات الصباح في احاديث ودية وثرثرة فيما بينهما مجردة من اية كلفة .

واردف ميجريه في محاولة لانتزاع الحقيقة من بين فكى الخادمة :

— لست اعتقد ان عازفا في احدى الفرق الموسيقية يستطيع ان يدفع ايجار شقة من هذا الطراز ..

— ولا انا اعتقد ذلك ..

— واذن ...

واعترفت المرأة في هدوء :

— اذن لابد ان هناك شخصا آخر ..

— هل جاء بيبرو لزيارتها ليلة أمس ؟ ..

ولم يظهر عليها الانزعاج لهذا السؤال ، وقالت وهى تكاد تفترسه بعينيها :

— اظن انك قد سارعت الى الحكم بانه هو القاتل ؟ ..لا ياسيدى، استطيع ان اقول لك بمنتهى الصدق والاخلاص ان كلا منهما كان

يذوب حبا فى الاخر ..

ـ أهى التى اخبرتك بهذا الحب ؟

ـ ولم يكونا فقط متحابين .. وانما كانا ايضا متعاهدين على الزواج ..

ـ ولماذا لم يتزوجا ..؟

ـ ربما لاسباب مالية .. وربما لاسباب اخرى ..

ـ ما هى الاسباب الاخرى ؟

ـ الشخص الاخر !

ـ الشخص الاخر ؟

ـ انك تعلم ـ مثلما اعلم انا تماما ـ انى اعنى الرجل الثانى الذى كان يدفع ايجار الشقة .. هل هناك توضيح أكثر من ذلك ؟

ـ أكملى ..

ـ هل كان يسمح لها هذا الرجل الثانى بان تهجره هكذا ببساطة لكى تتزوج من غيره ؟

وخطرت لميجريه فكرة ، فذهب الى غرفة النوم ، وفتح الدولاب ، وأمسك بشبشب رجالى من النوع الذى يلبس فى الشتاء ، وقلبه على مختلف الجوانب الى ان استطاع ان يقرأ اسم المحل الذى صنعه .. انه من اشهر محلات صناعة الاحذية فى باريس .

ثم انتزع ((روب دى شامبر)) رجالى من فوق الشماعة ووجده مصنوعا من نوع فاخر من الحرير ، كما انه من تفصيل محل كبير فى شارع ريفولى ..

وكان رجال موى قد تركوا الشقة بعد ان انتهوا من عملهم ، اما موى نفسه فقد جلس ينتظر ميجريه فى حجرة الجلوس ..

ـ هل اكتشفت شيئا يا موى ؟

ـ آثار بصمات اصابع بعضها قديم والاخر حديث ..

ـ ايوجد بينها بصمات رجل ؟

ـ اعتقد ذلك ..

ـ رجل واحد ام اكثر ؟

ـ رجل واحد على الاقل .. على اية حال سيكون كل شىء معدا خلال ساعة بعد الانتهاء من عملية تصوير البصمات وتكبيرها ..

ـ ارجو ان ترسلوها بعد ذلك الى ((مكتب الاستدلال)) ، ومن الافضل ان تاخذ معك ايضا هذا الشبشب وهذا الروب وان تسلمهما فى المحافظة الى جانفييه او تورنس .. لكى يعرضهما على المحلين

التجاريين الذين باعاهما ..

ــ اعتقد ان المهمة ستكون سهلة فيما يتعلق بالشبشب ، لانه يحمل رقم صانعه .

ومرة اخرى ساد الشقة جو هادىء ..

وتوجه ميجريه الى الخادمة فى المطبخ :

ــ لم تعد هناك حاجة الى بقائك ..

ــ هل استطيع ان ابدأ تنظيف الشقة .. ؟

ــ ليس اليوم ..

ــ ما الذى استطيع ان افعله اذن .. ؟

ــ تستطيعين ان تعودى الى بيتك ، ولكنك ممنوعة من مغــادرة باريس والا فان ..

ــ فاهمة ..

ــ امتأكدة انت انه لم يعد هناك لديك ما تفضين به الى .. ؟

ــ اذا تذكرت اى شىء فساحيطك به علما ..

ــ سؤال آخر : امتاكدة انك لم تتركى الشقة منذ اللحظة التى وجدت فيها الجثة حتى لحظة وصول البوليس ؟

ــ ومستعدة لان اقسم على ذلك ..

ــ وان احدا لم يدخل الشقة ؟ ..

ــ ولا حتى قطة ! ..

ثم فتحت حقيبة من النوع الذى يستخدم فى حمل التموين اليومى للبيت ، ومن المحتمل جدا ان تكون هذه الحقيبة هى احدى المستلزمات الدائمة لمدام برو .. وتاكد ميجريه ان الحقيبة لا تحتوى على اى مسدس ..

ــ تستطيع ان تفتشنى اذا اردت ..

ولكن ميجريه لم يفتشها ، ولم يتركها ايضا تخرج بدون تفتيش .. فقد مر بيده فوق ثوبها المبعب كما لو كان يلاطفها ..

ــ ربما كنت شعرت بارتياح لو فعلت ذلك منذ سنوات عديدة ..!

واخذت طريقها الى الخارج ، ولابد انها قابلت المخبر لوكاس على السلم ، فقد دخل الى الشقة بعد لحظات من خروجها .. وكان معطفه مبللا كما كانت بعض قطرات الماء تتعلق بقبعته ..

ــ هل بدأت تمطر .. ؟

ــ منذ عشر دقائق .. ما الذى استطيع ان افعله ياسيدى المفتش؟

ــ لا ادرى بالتحديد .. ربما امكنك ان تقوم بعملية تفتيش دقيقة

الشقة .. لقد اجرينا هذا التفتيش بالفعل ، ولكن من يدرى ؟ .. ربما تعثر على جديد .. وشيء آخر .. عليك ان تبقى هنا حتى تتلقى المكالمات التليفونية وتعرف مصدرها .. من المحتمل ان يتكلم شخص معين فى حوالى الحادية عشرة .. اطلب من مصلحة التليفونات ان تسجل المكالمة ..

— هل لى ان اعرف الهدف من كل هذه الاجراءات .. ؟

— بالاختصار .. القتيلة كانت غانية تمارس نشاطها فى حى باربيه ، وهناك شخص ينفق عليها ، كما ان المعلومات التى لدينا حتى الان تشير الى ان لها عشيقا مستديما .

— هل هو الذى قتلها ؟ ..

— جاء لزيارتها ليلة امس .. وتقول البوابة انه كان الزائر الوحيد ..

— هل عرفت اوصافه ؟ ..

— سأنزل حالا لاستجواب البوابة مرة اخرى ..

كانت البوابة منهمكة فى فرز الخطابات البريدية ، وقد ذكرت لميجريه ان بييرو شاب فى نحو الثلاثين ، اشقر ، ممتلىء الجسم وان منظره اقرب الى صبى جزار منه الى فنان او موسيقى ..

— الديك اية معلومات اخرى ؟

— لا يا مسيو ميجريه .. واذا تذكرت اى شيء فسأحيطك به علما .

وكان غريبا ان تأتى اجابتها مماثلة تماما لاجابة الخادمة على نفس السؤال ..

وتأكد لدى ميجريه ان كلا من المرأتين — لاسباب تختلف فيما بينهما — تحاول ان تتجنب الافضاء اليه بكل ما تعرفه ..

ولم يكن من الممكن ان يعثر على تاكسى قبل ان يصل الى ميدان ((الاتوال)) لذلك فقد كان يتحتم عليه ان يقطع هذه المسافة سيرا على قدميه .. ورفع ياقة المعطف لكى تحيط برقبته ، ودفن يديه فى جيوبه ، وشرع فى السير بنفس اسلوب المارة الذين كانت زوجته تلاحظهم من خلال زجاج النافذة فى الصباح .

وكان الضباب قد تحول الى رذاذ من المطر البارد المنعش بعث فى جسمه قشعريرة خفيفة ، فتوقف عند ناصية الشارع امام حانة صغيرة ، ثم دخل لكى يتناول قدحا من ((التودى)) الساخن .

الفصل الثانى

قبل الحادية عشرة والنصف بقليل وبينما كان المخبر لوكاس يتجول ، وهو نافد الصبر ، بين حجرات الشــقة .. دق جرس التليفون ، ورفع لوكاس السماعة والصقها باذنه دون ان ينبس بحرف واحد .. كان المتحدث رجلا ! .. وكان يبدو عليــــه الارتباك وهو يقول فى همهمة :

ـ انت ؟ .

وقبل أن تساوره الشكوك ازاء هذا الصمت المطبق اضاف قائلا :

ـ هل انت وحدك ؟ .. ام معك احد ؟ .

واستمر الصمت ، فقال فى اضطراب حاول ان يخفيه عن طريق رفع صوته الى حد الصياح :

ـ آلو .. أليس هذا هو رقم ٣٥.٢٢ بشارع كارنو ؟ .

وعندئذ فقط أجاب لوكاس :

ـ نعم ، هذا هو رقم ٣٥.٢٢ بشارع كارنو ..

واستطاع لوكاس ان يسمع انفاس الرجل على الطرف الاخر من الخط ، كما لاحظ انه يتكلم من مكان عام ، ربما كان هذا المكان حانة ، فقد ترامت الى سمعه أصوات مماثلة تماما لصوت اسقاط الماركات فى صندوق أجور التليفونات العامة التى توجد عادة فى الحانات ..

وبعد لحظة قصــيرة أقفل الرجل التليفون ، ولم يكن أمام لوكاس الا انتظار مكالمة ثانية من عامل « السويتش » لكى ينبئه بمصــدر المكالمة الاولى ، وجاء النبأ بعد دقيقتين :

ـ لوكاس .. الرجل الذى حادثك الان كان يتكلم من كافيتريا بشارع روشيشوار عند ناصية ريكيه « كافيتريا ليون » .

واتصل لوكاس فى الحال بقسم بوليس منطقة ((جوت دور)) الذى يقع على مسيرة بضع خطوات من شارع روشيشوار ..

— آلو .. هل استطيع التحدث الى المفتش جانين ..

ولحسن الحظ ان المفتش جانين كان موجودا فى مكتبه فى تلك الساعة فأبلغه لوكاس بالمكالمة والحديث الذى دار فيها واسم الكافيتريا التى اتصل المتكلم منها ..

واجابه المفتش جانين قائلا :

— لا تفعل شيئا قبل ان يأتى اليك المخبر جانفييه .

ثم طلب تحويل الخط الى المكان الذى يقبع فيه جانفييه ..

كان المخبر جانفييه هو الذى وقع عليه الاختيار القيام بمهمة مراقبة الموسيقى بيرو ورصد جميع افعاله وحركاته ، وفى نفس تلك الوقت كان ميجريه يجلس فى مكتبه ، وقد فك ياقة قميصه واخذ يدخن غليونا ووضع امامه غليونا آخر فضلا عن غليونين فى درج مكتبه وكلها معبأة جاهزة للاشعال .. وكان هطول المطر فى الخارج قد ازداد الى درجة اضطر معها معظم المارة الى رفع المظلات فوق رؤوسهم ..

واخذ ميجريه نفسا عميقا من الغليون قبل أن يكتب السطور الاخيرة من تقرير دورى يتحتم عليه تسليمه قبل الظهر .. وعندئذ امتدت يد لكى تدفع باب حجرة المكتب وتفتحه نصف فتحة ، واطل جانفييه من الخارج برأسه ، ثم دخل مسرعا :

— سيدى المفتش ، لقد اتصل بيرو تليفونيا بشقة القتيلة ... ونحن نعرف مكانه الان .. وقد ابلغ المخبر لوكاس قسم بوليس ((جوت دور)) بأمر المكالمة .. ومن المفروض ان يكون المفتش جانين قد وصل الان الى الكافيتريا التى يجلس فيها بيرو ، كما انى ساتوجه اليها الان ايضا .. ما الذى استطيع ان افعله ياسيدى ؟ .

ونظر اليه ميجريه من بين جفونه المثقلة المرهقة قائلا :

— عليك ان تحضره الى هنا بطريقة نظيفة ..

— الن تخرج لتتناول غداءك ؟ .

— سأبعث فى استحضار بعض ((الساندوتشات)) الى هنا ..

كان جانفييه يستخدم سيارة سوداء صغيرة فى مطاردة بيرو ، وقد تعمد ان يوقف السيارة قبل وصوله الى الكافيتريا بمسافة معقولة ، وكانت الكافيتريا طويلة وضيقة ، ولكن زجاج نوافذها كان لامعا ونظيفا وخاليا من اى اثر للابخرة او الغيام ، ومن ثم فقد كان

من السهل على أى شخص ان يشاهد من الخارج جميع الموجودين داخلها .

وعندما فتح جانفييه باب الكافيتريا وجد جانين جالسا فى انتظاره يجرع كاسا من « الفيرموت » ، ولم يكن هناك سوى اربعة زبائن ، وكانت الارضية مبلطة بالاسمنت وعليها طبقة من مسحوق نشارة الخشب ، كما كانت الجدران ذات لون أصفر باهت ملطخ ببقع كثيرة ، اما التليفون فكان موضوعا بجانب باب « التواليت » .

ولم ير جانفييه اى اثر لبيرو ، فسأل :

— هل خرج ؟ ..

وأومأ جانين براسه فى أسف وهو يصافحه ..

ولابد ان صاحب الكافيتريا كان يعرف جانفييه مثلما يعرف سائر مخبرى قسم بوليس « جوت دور » ، فقد قال له بلهجة تشوبها السخرية :

— هل تتناول شرابا ؟ .

وأجابه جانفييه باقتضاب :

— بيرة ..

وتركزت عيون الزبائن الاربعة على رجلى البوليس حيث أن جانين كان قد استجوبهم جميعا ومعهم صاحب الكافيتريا .

وفى صوت خافت قال جانين لجانفييه :

— من الافضل ان نتكلم معا حتى لا نلفت الينا الانظار .. لقد جاء الى هنا فى الحادية عشرة الا ربعا كما هى عادته كل صباح ..

— هل يعرف صاحب الكافيتريا اسمه الحقيقى ؟.

— انه لا يعرف شيئا اكثر من ان اسمه بيرو ، وانه يعمل موسيقيا ، وانه ربما كان يقطن فى مكان قريب من هنا .. وهو يحضر الى هذه الكافيتريا كل صباح فى نفس الموعد لكى يتناول القهوة ، ويتلقى عادة مكالمة تليفونية فى الحادية عشرة .. اما فى هذا الصباح فان احدا لم يطلبه فى التليفون .. فظل ينتظر نصف ساعة ثم قام الى التليفون وعاد بعد اقل من نصف دقيقة وهو بادى الاضطراب وجلس لفترة وجيزة على البار ثم دفع حسابه وانصرف ..

— هل يعرفون اين يتناول غداءه ؟ .

— صاحب الكافيتريا يزعم انه لا يعرف .. هل هناك ما يستوجب بقاءنا اكثر من ذلك ؟ .

— لا ادرى .. هيا بنا نخرج ..

وفى الخارج القى جانفييه نظرة شاملة على شارع ريكيه .. كان شارعا قصيرا جدا تتدلى من جوانبه لافتتا فندقين من الفنـــادق التى تؤجر غرفها بالساعة .

ـ اذا كان بييرو قد تعود ان يرتاد هذه الكافيتيريا كل صباح .. فمن المحتمل جدا انه يسكن فى هذا الشارع ..

ـ لنذهب ونرى ..

وسارا بضع خطوات الى أن بلغا باب أول الفندقين .. كان اسمه ((فندق دوفار)) ، وكان مدخله يؤدى الى ممر على يمينه مائدة تجلس خلفها امرأة عجوز .

وكان على جانين الا يظهر لها نفسه لانها تعرفه جيدا ، لذلك فقد انتظر فى الخارج .. فى حين دخل جانفييه ـ وهو الوحيد بين مخبرى قسم ((جوت دور)) الذى يبدو مظهره ابعد ما يكون عن رجال البوليس لكى يسأل المرأة العجوز :

ـ هل استطيع ان اقابل بييرو ؟ .

ـ لقد خرج منذ اكثر من ساعة ..

ـ هل انت متأكدة من انه لم يعد ؟ .

ـ طبعا ، لانى لم أتحرك من مكانى .. كما ان مفتاح غرفته مازال معلقا على حاملة المفاتيح ..

وفجأة انتبهت المرأة الى دخول جانين الذى كان قد تقدم عدة خطوات ناحيتها ..

ـ أوه .. اهو انت .. ماذا تريد ان تفعل بالصبى ؟ .

ـ اعطينى دفتر النزلاء .. منذ متى وهو يقيم هنا ؟ .

ـ منذ اكثر من سنة .. انه يستأجر غرفة بالشهر ..

ثم اخرجت دفتر النزلاء وأخذت تقلب صفحاته :

ـ انظر .. ان هذا الفندق يتمتع بسمعة طيبة ، ولا يثير اية شبهات

ومن دفتر تسجيل النزلاء اتضح ان الاسم الحقيقى لبييرو هو ((بيير ايرود)) وان عمره ٢٩ سنة ، وانه مولود فى باريس .

ـ فى أى وقت يرجع عادة ؟ .

ـ فى بعض الاحيان يعود بعد الظهر .. واحيانا يتاخر ..

ـ هل يصطحب معه فتيات الى الفندق ؟ .

ـ كل النزلاء يفعلون ذلك ..

ـ هل يصطحب فتاة بعينها دائما ؟.

ولم تستطع العجوز ان تتماسك طويلا ، فقد كانت تعرف ان جانين

يستطيع ان يتحين مئات الفرص لايذائها ان لم تصارحه بالحقيقة بلا لف ولا دوران ..

— لابد انك تعرفها يا مسيو جانين ، فقد ظللت تتجول فى هذا الحى لمدة طويلة .. انها لولو .

— لولو ؟ .

— نعم ...

— ما اسمها الكامل ؟ .

— لا اعرف .. لقد كنت اناديها دائما باسم لولو ، وهى فتاة لطيفة .. وقد هبط الحظ عليها فجاة ، فاصبحت الان ترتدى الفراء وتجىء الى هنا فى تاكسى ..

وتدخل جانفييه سائلا :

— هل رأيتها أمس ؟ .

— امس ؟ .. لا ، ولكنى رأيتها اول امس .. كان يوم الاحد اليس كذلك ؟ .. حضرت الى هنا قبل الظهر ومعها بعض اللفات الصغيرة وتناولت الغداء معه فى الطابق العلوى ، وخرجا معا بعد ذلك وذراعها فى ذراعه .. ذهبا الى السينما فيما أظن ..

— هات المفتاح ..

وهزت كتفيها فى يأس ، ولم تكن تستطيع ان ترفض ، لانها تعلم أن الرفض سيؤدى حتما الى نتائج غير طيبة ..

— ولكن .. لى رجاء واحد ، هو اعادة كل شىء الى مكانه تماما بعد التفتيش .. حتى لا يلاحظ ان غرفته قد فتشت ، والا فانه سيلقى كل اللوم على انا ..

وعلى سبيل الاحتياط بقى جانين فى الطابق الاسفل .. لان وجوده بالقرب من العجوز كان كافيا لمنعها من اية محاولة لابلاغ بيير ايرود بالتطورات او اجراء اى اتصال تليفونى به ..

وفى الطابق الاول وجد جانفييه جميع أبواب الغرف مفتوحة كما وجد أن بعض هذه الغرف من النوع الذى يؤجر بالساعة او بنصف الساعة .

أما فى الطابق الاعلى فكان يقيم النزلاء الذين يستاجرون غرفهم بالاسبوع او بالشهر .. وكانت تصدر اصوات كثيرة مختلطة من خلف الابواب ، واتضح أن هناك موسيقيا آخر بين نزلاء الفندق فقد كانت تسمع ، بين الاصوات المختلطة ، انغام عزف على الاوكورديون ..

ووصل جانفييه الى الغرفة المقصودة ، التى تحمل رقم ٥٢ وتطل على فناء الفندق .. فوجد بها سريرا من المعدن وسجادة صغيرة بالية ومفرش مائدة مهلهلا ، وفوق حوض غسيل الوجه رف عليه فرشاة اسنان وانبوبة المعجون ومشط وفرشاة حلاقة وموس ، وفى احد زوايا الغرفة حقيبة ملابس مفتوحة تنبعث منها رائحة كريهة وتستخدم كوعاء للملابس التى تحتاج الى غسيل ..

وفى الدولاب وجد جانفييه بدلةواحدة وبنطلونا مستهلكا وقبعة رمادية من اللباد و « كسكتة » ، كما وجد درجا مليئا بأوراق النوتة الموسيقية .. وعندما نبش فى حقيبة غسيل بييرو وجدها لا تحتوى على اكثر من ثلاثة أو أربعة قمصان وبعض الجوارب والملابس الداخلية ..

وانتزع جانفييه من الدرج الاسفل للكومودينو شبشبا نسائيا من النوع الخاص بغرفة النوم فضلا عن قميص نوم نسائى ذى لون احمر وردى من قماش « الكريب دى شين » كان معلقا وراء الباب .

وعندما نزل الى الطابق الاسفل ، بعد انتهاء عملية التفتيش ، وجد جانين مستغرقا فى الثرثرة مع صاحبة الفندق العجوز . وقال له جانين وهما يخرجان :

ــ لقد حصلت منها على عناوين ثلاثة مطاعم اعتاد بييرو ان يتناول غداءه فيها .. وربما استطعنا ان نعثر عليه فى واحد منها ..

وعندما اصبحا فى الشارع خطرت لجانفييه ملحوظة سرعان ماأخطر بها صاحبه ..

ــ ان صحف المساء ستظهر فى الشوارع عما قليل حاملة بعض الاخبار عن الحادث .. ولا شك ان بييرو سيطالعها وسيعرف منها أن البوليس اكتشف جثة صاحبته كما قد يعرف التفاصيل الاخرى ، ان لم يكن قد عرف بها فعلا ، وربما كان أول شىء يفعله هو العودة سريعا الى الفندق .. لذلك فانا ارى ان تبقى هنا .. على ان اتولى انا مهمة البحث فى المطاعم .. اعطنى عناوين المطاعم ..

ــ هل تعتقد انه هو الذى قتلها ؟ .

ــ ان المفتش ميجريه لم يقل لى شيئا . .

ومضى جانفييه وحده فى مهمة البحث بعد ان ترك جانين فى مكان قريب من الفندق ..

كان المطعم الاول فى شارع روشوار ، وهو مطعم ايطالى يتميز بالهدوء والراحة التامة التى يحيط بها زبائنه . وكانت تنبعث منه روائح المأكولات الغنية بالتوابل .. وفى داخله اثنان من الجرسونات

يلبسان البنطلونات السوداء والجاكتات البيضـــاء « والبـــابيون » وينتقلان بين الموائد في حركة دائبة ، ولكن أحدا من الجالسين لم يكن يحمل اوصاف بيرو ..
وسأل جانفييه احد الجرسونين :
ــ هل حضر بير ابرود اليوم ؟ .
ــ الموسيقى ؟.. لا ، لم يظهر ، وليس من المحتمل ان ياتى اليوم.. ولو ظهر لكان ذلك مبعثا للدهشة .. اليس اليوم هو الثلاثاء ؟ .. انه ليس يومه ..
والمطعم الثانى كان يقع بالقرب من ميدان صغير ، وهو اشبه بحانة رخيصة منه الى مطعم . ولم يكن به ــ هو الاخر ــ من راى بيرو فى ذلك اليوم ..

وبقيت فرصة اخيرة .. هى المطعم الثالث الذى كان فى الحقيقة ، مقهى لسائقى السيارات ، وكانت واجهته مطلية باللون الاصفر ، وعلى بابه تتدلى لافتة كتبت عليها بالطباشير اسعار الطلبات .. وكانصاحب المطعم يجلس خلف مائدة صغيرة يفرغ النبيذ من برميل فى عدد من الزجاجات ، كما كان يمكن رؤية زوجته وهى تعمل فى المطبخ ، ولم يكن يقوم بخدمة الزبائن سوى جرسونة واحدة شابة طويلة ونحيلة .
وتقدم جانفييه من مائدة البار المطلية بالزنك وطلب شوبا من البيرة ، ولابد ان جميع الجالسين كانوا زبائن مستديمين ، فقد اخذوا ينظرون اليه فى فضول .
وقال له صاحب المطعم :
ــ ليس لدينا بيرة سائبة .. ما رايك فى كوب من « البوجوليه » ؟.
وهز جانفييه راسه علامة على الموافقة ، وصمت لبضع لحظات قبل ان يسأل :
ــ الم يحضر بيرو ؟ .
ــ الموسيقى ؟ ..

ــ نعم ، لقد حدد لى موعدا للقائه هنا فى الثانية عشرة والربع .. وكانت الساعة ، فى ذلك الوقت الثانية عشرة و ٤٥ دقيقة .
ــ لو كنت حضرت حسب الموعد لوجدته هنا !.
وقد نجح جانفييه فى ان يضلل صاحب المطعم وجميع الزبائن ، عن حقيقة شخصيته ، ومضى يسأل متظاهرا بالسذاجة :
ــ ألم ينتظرنى .. ؟
ــ الحقيقة انه لم ينتظر حتى ينتهى من تناول غدائه .

ـ هل كان معه احد عند خروجه ؟ .. اعنى هل جاء شخص ما وصحبه معه ؟ ..

ـ لا .. لقد انصرف وحده على حين فجأة .. وقال لى ، وهو يدفع الحساب ، انه مستعجل جدا ..

ـ كم كانت الساعة عند انصرافه ؟ .

ـ لم انظر فى الساعة وقتها .. على وجه التقريب كان ذلك منذ ربع ساعة ..

وجال جانفييه بنظره بين جميع الموائد ، وتوقفت عيناه عند مائدة فى احد الاركان جلس اليها اثنان من الزبائن يطالعان صحف المساء اثناء تناولهما الطعام .. ثم حانت منه التفاتة الى مائدة صغيرة بجوار النافذة فوجد عليها صحيفة مسائية اخرى مفتوحة الصفحات وبجانبها طبق به بقايا قطعة من اللحم وشوكة وسكينة .. فلم تكن الجرسونة قد نظفت هذه المائدة بعد ..

اشار جانفييه الى هذه المائدة الصغيرة وهو يسأل صاحب المطعم :

ـ هل كان بيرو يجلس هناك .. ؟

واجاب صاحب المطعم وهو يرفع حاجبيه دهشة :

ـ تماما .. كيف عرفت ؟ ..

× × ×

سار جانفييه على قدميه مسافة مائتى ياردة تحت المطر قبل ان يصل الى جانين فى مكانه القريب من الفندق بشارع ريكيه ، وابتدره قائلا :

ـ هل عاد ؟ .

ـ لم أر احدا ..

ـ لقد كان يجلس فى مطعم صغير منذ اقل من نصف ساعة ، ودخل بائع الصحف ، فاشترى منه صحيفة مسائية ، وسرعان ما وقعت عيناه على الخبر المنشور فى صفحتها الاولى وبعد ان قلب صفحاتها بحثا عن مزيد من التفاصيل تركها مفتوحة على المائدة وهرع خارجا .. اظن ان من الافضل أن أبلغ المفتش ميجريه ..

كانت على مكتب ميجريه زجاجتان كبيرتان من البيرة وبجانبهما مجموعة مختلفة من السندوتشات ، واستمع ميجريه بواسطة التليفون الى كل ما قاله جانفييه ، ثم اصدر اليه تعليمات جديدة :

ـ عليك ان تعرف اسم صالة الرقص التى يشتغل فيها ، ولابد ان تكون فى نفس المنطقة ، ومن المحتمل ان صاحبة الفندق تعرفها .. أبلغ جانين بان يواصل مراقبة الفندق ..

وكان ميجريه على حق .. فقد كانت صاحبة الفندق تعرف اسم صالة الرقص ومكانها .. كما كانت على مائدتها ، هي ايضا ، نسخة اخرى من الصحيفة المسائية ، ولكن عينيها لم تقعا على الخبر المثير او ربما قرأته دون اكتراث ، لانها لم تكن تدرك ان لويز فيلون التي جاء اسمها في العنوان هي نفسها لولو التي تعرفها جيدا ..

أما الخبر الذي نشرته الصحيفة في أولى طبعاتها المسائية فلم يكن يتجاوز بضعة اسطر :

عثر صباح اليوم على جثة امرأة قتيلة في نحو الخامسة والعشرين من العمر في شقة بشارع كارنو ، واسم القتيلة لويز فيلون ، وليست لها مهنة معروفة ، وكانت خادمتها هي أول من اكتشف الحادث ، وقد اتضح ان القتل حدث نتيجة اطلاق رصاصة مسدس عليها من مسافة قريبة جدا ، ومن المحتمل ان يكون الحادث وقع مساء أمس .. ولا يبدو ان الجريمة ارتكبت بقصد السرقة . وقد علمنا ان المفتش ميجريه يقوم بنفسه بالتحقيق ، وانه استطاع الامساك بالخيوط الاولى التي قد تكشف قريبا عن شخصية القاتل .

× × ×

كان بيير ايرود يعمل في « صالة جربلو » بشارع « شاربونيير » الذي يكاد يقع عند ناصية شارع « لاشابيل » بنفس الحي الذي يوجد به الفندق ، والمطاعم الثلاثة ، ولكنها كانت في اكثر مناطق الحي عزلة وبعدا عن الضجيج ..

وعندما وصل جانفييه الى شارع «لاشابيل» وجد جماعة من الاجانب يتجولون تحت المطر ويتلفتون حولهم كانهم لا يجدون عملا يضيعون فيه وقتهم .. والى جانب هؤلاء الاجانب كانت مجموعة اخرى يختلط فيها الرجال بالنساء في حركة هائمة في الشارع وفي رائعة النهار ، رغم ان اللوائح تمنع تجولهم في مثل ذلك الوقت .. فقد كانوا يتحينون الفرص لاصطياد بعض الزبائن على أعتاب الفنادق .

وكانت واجهة صالة جربلو مطلية باللون البنفسجي الزاهي ، كما كانت تضاء من الداخل اثناء الليل باللون « الموف » ، وفي مثل هــذه الساعة من النهار لم يكن يوجد بالصالة سوى صاحبها الذي انهمك في تناول غدائه ومعه امرأة في اواسط العمر ، ربما كانت زوجته ..

ورفع صاحب الصالة عينيه عن الطعام ، واخذ يتفحص جانفييه الذي كان قد دخل واغلق خلفه الباب ، وادرك من نظرته الفاحصة انه لايمكن

ان يكون زبونا ، وربما كان قد استطاع ان يعرف بالتخمين ، وبخبراته الطويلة الماضية ، حقيقة مهنة جانفييه ، فقد بادره قائلا :

— ما الذى تريده يا هذا .. ؟ ان الصالة لا تفتح ابوابها قبل الخامسة ..

كان يتكلم كأنه ((فتوة)) كما كانت هيئته تدل على أنه من عتاة ((البلطجية)) ، فقد كان عريض المنكبين ، ممتلىء الجسم ، منكوك القامة ، وكانت تظهر على وجهه — وخصوصا على جبهته وانفه — آثار ندوب قديمة ..

وكان الرد المنطقى لجانفييه هو ابراز بطاقة تحقيق شخصيته لكى لا يدع فى نفس الرجل اى مجال للشك .. ونظر الرجل بدون اكتراث الى البطاقة ، ولم تهتز عضلة واحدة فى جسمه الضخم ، ثم قال بصوت أجش :

— وبعـــد .. ؟

— بيـــرو ...

وحملق الرجل فى انحاء الصالة الخاوية ولم يزد على أن قال :

— هل تستطيع عينك ان تقع عليه هنا ..؟ انظر حواليك جيدا ..

— الم يحضر اليوم ؟ ..

— انه لا يبدا عمله فى المساء الا فى السابعة ، واحيانا ياتى فى الرابعة او الخامسة لكى يلعب مباراة فى الكوتشينة ..

— هل حضر أمس فى نفس موعده ؟ .

— نعم ....

— هل استمر فى العمل منذ بداية السهرة الى نهايتها ؟ ..

فى تلك اللحظة احس جانفييه انه يوشك ان يمسك بأول الخيط .. فقد لاحظ ان الرجل تبادل مع زوجته نظرة غامضة خاطفة ..

وحاول الرجل ان يبدو هادئا وهو يسأل بحذر :

— ماذا تريد من هذا الفتى .. هل اقترف جرما ؟ .

— ربما لا يكون قد اقترف شيئا .. انما اردت فقط ان أوجه اليه سؤالا او سؤالين ..

— لمـــاذا ؟ ..

— لان لولو ماتت ...

ووقعت هذه المفاجأة على الرجل كانها قنبلة انفجرت بلا انذار سابق ، ولم يستطع ان يكتم دهشته ، فقد اهتز جسمه كله هذه المرة ، وبدا عليه ما يشبه الفزع ..

ــ ايه ؟ ... ماذا تقول ؟ .. متى ماتت ؟ ..
ــ ليلة امس ..
ــ وكيف ماتت ؟ .. ما الذى حدث لها ؟ . .
ــ هل تعرفها ؟ ...
ــ لقد كانت ، فى وقت ما ، زبونة دائمة فى هذه الصالة .. كانت تاتى كل ليلة تقريبا ..
ــ متى كان ذلك ؟ .
ــ منذ سنتين ...
ــ والان ... الم تعد تحضر .. ؟
ــ من وقت لاخر ...
ــ وما الذى كانت تفعله عندما تجىء ؟ .
ــ كانت تتناول بعض الشراب ، وتسمع الى الفرقة وهى تعزف ..
ــ فى أى وقت من مساء امس ترك بيرو عمله وخرج .. ؟
ــ من الذى قال لك انه ترك عمله وخرج ليلة امس ؟ ..
ــ سيدة تعرف بيرو جيدا .. انها بوابة العمارة التى تقيم فيها لولو بشارع كارنو ، فقد رأته وهو يدخل العمارة ثم وهو يخرج منها بعد ربع ساعة ..

واطبق الصمت على الرجل لمدة دقيقة كاملة .. واحس انه هو ايضا اصبح تحت رحمة البوليس ، واخذ يفكر بعمق ، ويبحث فى راسه عن طريقة ينفي بها عن نفسه اية شبهة ..
ــ قل لى اولا .. هل ماتت لولو حقا ؟ .
ــ نعم ..
ــ ولكن ، كيف ؟ ..
ــ ماتت مقتولة ..
وبلا شعور صدرت عن الرجل صيحة أسف ورثاء ، ثم هب من مقعده، ولوح بذراعه مؤكدا :
ــ ليس بيرو هو الذى قتلها بالطبع .. ! .
ــ لم اقل ان بيرو هو القاتل ..
ــ لماذا تبحث عنه اذن ؟ ..
ــ لانى اريد الحصول منه على معلومات معينة .. لقد اعترفت منذ لحظات بانه حضر الى العمل هنا أمس ..
ــ انا لا اعترف ، انما اقرر الحقيقة .. لقد حضر فى موعده

المعتاد في الساعة السابعة وجلس يعزف على الساكسفون ضمن سائر افراد الفرقة هنا .. فوق ..

واشار الرجل بيده الى شرفة صغيرة تبرز من الحائط فوق حلبة الرقص ، وتتصل بالصالة بواسطة سلم مثبت في الجدار يصعد عليه افراد الفرقة ..

— ولكنه ترك العمل في نحو الساعة التاسعة .. ؟

— جاءته مكالمة تليفونية في التاسعة والثلث ..

— من لولو ؟.

— لا اعرف ، ولكن من المحتمل جدا ان تكون هي ..

وتدخلت الزوجة فجاة ، بعد صمت طويل ، قائلة :

— انا اعرف .. فقد كنت اقف بالقرب منه اثناء المكالمة ..

والتفت جانفييه الى ناحية التليفون الموجود في الصالة فوجد انه — على عكس سائر التليفونات في الاماكن العامة — ليس موضوعا داخل كابينة مغلقة ، انما هو مثبت في تجويف داخل الحائط ..

ومضت الزوجة تشرح ما دار في المكالمة :

— عندما رفع بيرو السماعة .. ترامى الى اذني صوته وهو ينطق باسم « لولو » همسا ، ثم صمت لحظات وهو يصغي بكل حواسه للسماعة قبل أن يقول « سأكون عندك حالا » ووضع السماعة» واندفع نحوي قائلا : « يا عزيزتي ميلاني .. انني مضطر للتوجه الى هناك على الفور » ، وسألته : « ماذا حدث ؟ » فاجابني : « شيء خطير »» ثم صعد للتحدث مع سائر اعضاء الفرقة حديثا سريعا هرع بعده خارجا من الصالة ..

— ومتى عاد ؟ ..

وكان الرجل هو الذى اجاب :

— قبل الحادية عشرة بقليل ..

— هل كان يبدو مضطربا ؟ ..

— لم الحظ عليه الاضطراب ، فقد اعتذر عن تغيبه ثم اخذ مكانه في الفرقة وظل يعزف حتى الواحدة صباحا . وقبل ان تغلق الصالة جاء الينا كما هي عادته كل ليلة لكي يتناول معنا بعض الشراب ، ولو كان عرف ان لولو ماتت لما ساعدته اعصابه على ان يفعل كل ذلك» فقد كان مجنونا بها ، كما ان العلاقة بينهما لم تكن علاقة يوم وليلة .. وكثيرا ما كنت أقول له : « يا بيرو ، يا بني ، انك تخطيء حين تعطي

المراة اكثر مما تستحق ، فليس هناك امرأة تستأهل ان ..

وقاطعته زوجته بازدراء :

— متشكرة ..

— فالتفت اليها ملاطفا :

— لست اقصدك بالطبع ، فالامر مختلف تماما ..

وعاد جانفييه يسأل :

— هل كانت لولو تبادل بييرو هذا الحب ؟ .

— طبعا ...

— ولكنها كانت على علاقة مع رجل آخر .. ؟

— هذا أمر طبيعي ، فان عازف الساكسفون لا يستطيع أن يغطي نفقات معيشتها الباذخة ..

— هل تعرف من هو الرجل الاخر ؟ .

— لا .. فهي لم تتحدث عنه على الاطلاق ، كما ان بييرو لم يشر اليه بكلمة واحدة .. كل ما اعرفه ان حياة لولو تغيرت تماما بعد الجراحة

— جراحة ؟ .. هل اجريت لها جراحة ؟ ..

— كان ذلك منذ سنتين حيث اصيبت بمرض خطير ، وكانت حينئذ لا تزال تعمل في هذا الحي ..

— هل كانت ، في هذه الفترة ، تتكسب من التسكع في الشوارع ؟ .

فهز الرجل رأسه قائلا :

— وماذا تستطيع مثيلاتها ان يفعلن غير ذلك؟ .

— وبعد أن مرضت ماذا حدث ؟ .

— نقلت الى المستشفى في حالة سيئة، وعندما عاد بييرو بعد زيارتها ... قال ان الامل مفقود في شفائها .. فقد كان مرضها متعلقا بالمخ ولكني لا اعرف ما هو على وجه التحديد ، وبعد يومين حملوها الى مستشفى آخر في اطراف باريس حيث اجرى لهـــا الاطباء جراحة في المخ كانت بمثابة معجزة ، فقد شفيت على أثرها وغادرت المستشفى بعد بضعة أسابيع .. ومنذ ذلك الوقت وهي لا تأتي الى هنا الا لمجرد الزيارة ..

— أفهم من كلامك انها انتقلت بعد ذلك مباشرة الى السكنى في شارع كارنو .. ؟

— لست اتذكر تماما ..

— وتدخلت زوجته مرة أخرى قائلة :

ـــ انا أتذكر .. لقد انتقلت لولو أولا الى شقة فى شارع لافاييت ..

x x x

عندما عاد جانفييه الى المحافظة فى نحو الثالثة بعد الظهر لم يكن قد اضاف اى جديد الى المعلومات التى حصل عليها من « صالة جريلو » ..

وكان ميجريه لا يزال جالسا فى مكتبه بعد أن خلع سترته مكتفيا بالقميص والبنطلون فقد كان جو الحجرة دافئا اكثر من اللازم كما كان غائما لكثرة ما انتشر فيه من سحب الدخان .

وجلس جانفييه يروى كل المعلومات التى اكتشفها كما سرد له تفاصيل الاحاديث التى دارت بينه وبين صاحب الصالة وزوجته .

وعندما انتهى قال ميجريه :

ـ لقد اصدرت التعليمات بمراقبة جميع محطات السكة الحديد . وحتى الان لم يحاول بييرو ان يستقل اى قطار .

ثم اخرج له بطاقة شخصية تحمل صورتين ، احداهما للوجه كله والثانية فى وضع « البروفيل » والصورتان لرجل لا يبدو عليه انه فى سن الثلاثين وانما فى نحو العشرين ، وسأل جانفييه فى دهشة :

ـــ هل هذا هو بييرو ؟ .

ـــ نعم ، وقد سبق أن اعتقل ثلاث مرات ، اولاها منذ عشر سنوات بتهمة التعدى على شخص ما بالسب والضرب اثناء شجار نشب فىحانة بشارع دى فلاندر ، والمرة الثانية بعد عام ونصف حيث أشتبه فى انه شريك لغانية ـــ كان يعيش معها ـــ فى سرقة احد الزبائن ولكن الادلة ضده لم تكن كافية ، اما فى المرة الثالثة فقد اتهم بالتكسب عن طريق الوسائل غير الاخلاقية ، وفى ذلك الوقت كان عمره ٢٤ سنة ، ولم يكن يؤدى اى عمل وانما كان يعتمد فى نفقاته على فتاة تدعى ايرنستين .. وبعد هذه المرة الاخيرة لم يقم باى عمل مناف للقانون ولم يتعرض له البوليس على الاطلاق ، ولقد ارسلت نسخا من صوره واوصافه الى جميع اقسام البوليس .. وبالمناسبة ، الا يزال جانين يراقب الفندق ؟ .

ـــ نعم ، فقد رايت ان ذلك من الاصوب ..

ـــ حسنا فعلت .. ولو انى اعتقد ان بييرو لن يعود الى الفندق اليوم ولا فى الايام القليلة القادمة .. الا انه يحسن بنا الا نتهاون فى اتخاذ كافة الاحتياطات والا نترك اية ثغرة .. ولكنى ، فى الوقت ذاته ،احتاج الى جانين . لذلك فسارسل المخبر لابوانت لكى يحل محله

فى المراقبة .. والحقيقة انى لا اتوقع اطلاقا ان يحاول بييرو مغادرة باريس ، فقد قضى حياته كلها فى الحى الذى يعيش فيه الان فهو بلا شك ، يعرف جميع مسالكه ومخابئه تماما كما يعرف اصابع يده ، ولذلك فان من السهل عليه ان يختفى فى ذلك الحى وان يجد فيه المأوى والمأمن .. بل ربما كان الان اكثر اطمئنانا وامنا ، منا نحن الذين نجلس فى مبنى المحافظة .

ثم استدعى المخبر لابوانت الذى جاء على الفور واستمع الى التعليمات باصغاء تام ثم اندفع خارجا الى الشارع وكله حماس كانما التحقيق كله موكول الى مهمته فى مراقبة الفندق .

واستأنف ميجريه حديثه مع جانفييه :

لقد اطلعت ايضا على ملف لويز فيلون، فوجدت ان بوليس الاداب قبض عليها مئات المرات خلال الفترة التى كان يتراوح فيها عمرها بين ١٥ و ٢٤ سنة ، وفى كل مرة كان يجرى لها الفحص المعتاد ثم توضع تحت المراقبة ويفرج عنها — فى معظم الحالات — بعد بضعة أيام .

وتنهد ميجريه وهو يقرع كعب حذائه بالغليون عدة قرعات متتالية قائلا :

— هذا هو كل شىء .. ولكننا لم ننته الى شىء .. فان ما بقى هو الاكثر غموضا ..

وربما كان ميجريه يتحدث الى نفسه بهذه الكلمات لكى يعيد تنظيم افكاره ، ولكى يستعرض من جديد كل أحداث ذلك اليوم .. أما جانفييه فقد شعر بزهو وسرور عندما اكتشف من هذه الكلمات ان ميجريه يعتبره موضع ثقته ومحل سره ..

— فمكان مايعيش الان ذلك الرجل الذى كان يتكفل بنفقات لولو فى شقتها بشارع كارنو .. لقد كان اول ما ادهشنى هذا الصباح هو ان تقيم فتاة من هذا الطراز فى مثل هذه العمارة .. هل تفهم ما اعنيه ياجانفييه ؟ .

— نعم ، فلم تكن تلك العمارة ولا حتى ذلك الحى مكانا مناسبا لسكنى غانية من بنات الطبقة الفقيرة .. ان رائحة الوقار تملأ جميع بيوت شارع كارنو ، كما أن الشقق هناك لاتضم سوى الاسر الثرية او، على الاقل ، التى تنتمى الى الطبقة المتوسطة ، ومن المدهش حقا ان صاحب العمارة او وكيله قبل أن تكون بين سكانه واحدة من فتيات الليل ..

ــ اسمع .. لقد خطر لى الان خاطر ربما يفسر ناحية من الغموض المحيط بحياة لويز فيلون .. اذا كان الرجل الاخر قد أسكنها فى هذه الشقة فان هدفه من ذلك هو ان يجعلها قريبة من مسكنه الخاص ، ومن هنا نتكشف حقيقة هامة : اذا كان ما قالته البوابة صحيحا من أن لولو لم تستقبل أى زائر ، ليلة مصرعها ، سوى بييرو .. وان لولو لم تكن تخرج بانتظام ، واحيانا كانت تظل داخل الشقة لاسبوع كامل .. هل تفهم ما أعنيه ..؟

ــ أظن اننى أفهم ..

ــ ما الذى تفهمه ؟ ..

وتراجع جانفييه فى خجل قائلا :

ــ الحقيقة انى لم افهم شيئا ..

ــ لا اخفى عليك اننى انا ايضا اجد صعوبة فى فهم هذا اللغز الغامض .. ولكنى الان احاول ان أضع افتراضا ، مجرد افتراض : ان الروب دى شامبر والشبشب اللذين عثرنا عليهما فى دولاب لولو لا يمكن ان يكون صاحبهما هو عازف الساكسفون .

ــ فعلا ...

ــ وعندما رجعنا الى محل الترزى الذى وجدنا اسمه على الروب ــ وهو يقع فى شارع ريفولى ــ قال لنا مدير المحل انه لا يستطيع ان يعرف الشخص الذى اشترى الروب لان المحل يتعامل مع مئــات العملاء ولا يحتفظ بسجلات لاسمائهم .. أما مدير محل تفصيل الاحذية الذى فصل الشبشب فقد زعم انه لا يجد الوقت الكافى حاليا ،لمراجعة الدفاتر التى تحمل اسماء عملائه ، ولكنه وعد بأن يقوم بهذه المراجعــة فى الايام القادمة .. والى ان نتأكد من حقيقة شخصية صاحب الروب والشبشب فاننا يجب ان نظل على الافتراض بان رجلا آخر غير بييرو تعود ان يتردد على لولو ، وانه كان على علاقة وثيقة بها الى درجة انه كان يخلع ملابس الخروج ويرتدى الروب والشبشب وهو فى شقتها واذا لم تكن البوابة قد رأته على الاطلاق وهو يدخل العمارة فمعنى ذلك ...

ــ معنى ذلك انه لابد ان يكون مقيما فى نفس العمارة ...

ــ هذا هو التفسير المنطقى ..

ــ هل لديك قائمة باسماء سكان العمارة ؟ .

ــ منذ قليل آملانى المخبر لوكاس الاسماء بالتليفون ..

وقطب ميجريه جبهته ، والقى نظرة قائمة على الاوراق الموضوعة

على مكتبه كأنما قد بدا له شيء لا يسره . ثم مضى يقول بصوت خافت وبكلمات متقطعة :

— ان ما ذكرته الان امامي عن مرض لولو والجراحة التي اجريت لها قد يزودنا بدليل جديد ، وفي هذه الحالة ..

وسكت قليلا لكي يشعل غليونه ، ثم انكفأ الى المكتب وهو يمسك بكلتا يديه قائمة بأسماء سكان العمارة ، وتوقفت عيناه عند اسم واحد من بينها :

— هل تعرف من هو ساكن الشقة التي تقع فوق شقة لولو مباشرة؟ .. انه البروفسور جوان الجراح المعروف .. اكبر اخصائي في جراحة المخ ..

وما أسرع ان سأل جانفييه :

— هل هو متزوج ؟ ..

— نعم .. متزوج . وزوجته تقيم معه .

— وما الذي تنوي ان تفعله ؟ .

— سأذهب اولا لاتحدث مع البوابة ، لانها حتى لو كانت قد ذكرت لي الحقيقة هذا الصباح — فلا شك انها لم تقل الحقيقة كاملة . وربما اتوجه بعد ذلك لاستجواب مدام برو التي يبدو انها تسير في نفس الفلك ...

— وما الذي تريد مني ان افعله ؟..

— ابق هنا ... واذا اتصل جانين تليفونيا فاطلب منه ان يبدأ البحث عن بيرو في الحي كله ، وارسل اليه نسخة من صوره ..

كانت الساعة قد بلغت الخامسة ، وكان الليل قد اخذ يهبط على باريس عندما كان المفتش ميجريه يقطع شوارع المدينة داخل سيارة بوليس ...

وتذكر ساعة الصباح عندما كانت زوجته تنظر من خلف زجاج النافذة الى المارة وهم يسرعون الخطى الى اعمالهم ، وطرأت على رأسه فكرة .. كان هذا المنظر يوحي منذ اول النهار بان اليوم سيكون يوم عمل وقد تحقق هذا الايحاء بالفعل الى درجة لم يكن يتصورها ، واخذ يردد كلمتي « يوم عمل » في رأسه ، وظلت الكلمتان تدوران مع تفكيره كأنه يستمع الى أغنية لا يحبها .. فلم يكن يتصور ان يكون هناك من يخرج في ذلك اليوم لمجرد الاستمتاع بالخروج ، او ان هناك ساعة من ساعات ذلك اليوم يمكن قضاؤها في راحة وهدوء .. انه يوم المشغوليات وتنفيذ المهمات التي لا مفر من انجازها ، والانطلاق تحت

المطر الى محطات المترو والمحلات التجارية والمكاتب وسائر الاماكن الاخرى التي تتشابه كلها — الى درجة تبعث الملل — من حيث غلالة الضباب التي تكتنف كل مكان منها .

هكذا مر « يوم عمله » .. حجرة مكتبه اصبحت ، من شدة حرارة التدفئة وكثافة الدخان كانها فرن ، اما شارع كارنو الذى يتجه اليــه الان فلم يعد يثير فيه ذلك الحماس الذى استقبله به فى الصباح ، والعمارة الفخمة التى وقع فيها الحادث بدت فى تلك اللحظات وكأنها فقدت ، فجأة ، كل ما كان لها من اثارة وجاذبية ..

وكان المخبر لوكاس لا يزال قابعا داخل شقة القتيلة .. وقد اخذ الان يرفع ستائر النوافذ وينظر يتجهم الى الشارع حيث التقت عيناه بعينى ميجريه عند نزوله من السيارة ..

وكانت البوابة تجلس فى غرفتها ، أمام مائدتها الصغيرة ، تقطعالوقت فى اشغال الابرة ، وتضع على عينيها نظارة طبية مما جعلها تبدو اكبر سنا ، وكان الجو فى هذه الغرفة ايضا دافئا وهادئا لولا تكتكة الساعة الاثرية المعلقة فى صدر الغرفة وصوت موقد الغاز الذى يشبه اصوات صراصير الحقول ..

ولاحظ ميجريه ستارة صغيرة بجوار نافذة الغرفة تنفرج قليلا عن رف عليه جهاز تليفون ..

لا تنزعجى يا مدام ... جئت فقط لكى اثرثر معك قليلا ...

— انت متأكد انها ماتت مقتولة ؟ ..

كان يخلع معطفه عندما وجهت اليه هذا السؤال ، ثم القى بالمعطف على احد كراسى الغرفة ، وجلس علىكرسى آخر فىمواجهتها تماما كانما هما صديقان متآلفان ..

— نعم يا سيدتى ،متاكد ..الا اذا كان هناك شخص اخفى المسدس بعد موتها ، وهو أمر يبدو بعيد الاحتمال .. فان الخادمة لم تنفرد بالجثة الا لبضع دقائق ، وقبل ان تنصرف تأكدت بنفسى من انها لاتحمل اى شىء معها .. لم افتشها بالطبع تفتيشا دقيقا ، ولكن .. فيم تفكرين يا مدام كورنيه ؟ .

— لا شىء على وجه الخصوص .. فقد كنت اتامل ذلك المصيرالذى انتهت اليه الفتاة المسكينة ..

— هل انت واثقة انك قلت لى هذا الصباح كل ما تعرفين ؟ .

ولاحظ ميجريه ان وجهها احمر خجلا ، واحنت رأسها على شغل الابرة الذى فى يدها ، ومرت بضع لحظات قبل أن تقول :

ـ لماذا توجه لي هذا السؤال ؟ .
ـ لانى اعتقد ، بل اجزم ، انك تعرفين الرجل الثانى الذى اسكن لويز فيلون فى هذه العمارة .. هل انت التى أجرت له الشقة ؟.
ـ لا ...
ـ صاحب العمارة ؟ ...
ـ نعم ...
ـ سأذهب للتحدث معه ، فلا شك ان لديه معلومات اكثر .. واظن أننى سأذهب الى الطابق الرابع ايضا لاجرى بعض التحريات ...
وعندما سمعت هذه الجملة الاخيرة رفعت رأسها بطريقة تلقائية ونظرت الى أعلى بعينين قلقتين :
ـ الطابق الرابع ؟ ..
ـ نعم ، شقة البروفسور جوان ، اليست فى الطابق الرابع ؟ .. لقد علمت انه هو وزوجته يشغلان الطابق باكمله ..
ـ هذا صحيح ..
وحاولت ان تخفى القلق من عينيها وان تجعل نظراتها تبدو طبيعية، ولكنها ظلت ساهمة فى حين مضى ميجريه يقول :
ـ على أية حال استطيع ان أسألهما عما اذا كانا سمعا شيئا ليلة أمس ، هل كانا فى البيت وقتئذ ؟ .
ـ مدام جوان كانت فى البيت ..
ـ طوال اليوم ؟ .
ـ نعم ، فقد جاءت شقيقتها لزيارتها ومكثت معها حتى الحادية عشرة والنصف ...
ـ والبروفسور ؟ .
ـ توجه الى المستشفى فى الثامنة ...
ـ ومتى عاد ؟ .
ـ فى نحو الحادية عشرة والربع .. وقبل ذلك بقليل كانت شقيقة زوجته قد خرجت ..
ولم يفت ميجريه هـذا التناقض فى أقوالها ، ولـكنه استمر فى استجوابه لها :
ـ هل اعتاد البروفسور ان يذهب الى المستشفى فى الليل ؟ .
ـ كلا .. انه لا يفعل ذلك الا اذا كانت هناك حالة طارئة ..
ـ هل هو موجود الان فوق ؟ ..

— لا .. فانه لا يعود الى البيت — غالبا — الا قبل العشاء ..
— أليست له عيادة خاصة ؟.
— له عيادة فى شقته ، ولكنه لا يستقبل فيها المرضى الا فى الحالات الاستثنائية ..
— سأصعد الان لكى أتحدث مع زوجته ..
واخذت تراقبه وهو يقوم من مقعده ويتجه الى الكرسى الذى ألقى عليه معطفه ، وعندما مد يده لكى يفتح باب الغرفة تمتمت قائلة :
— مسيو ميجريه ...
وكان يتوقع منها أن تستوقفه .. واستدار ناحيتها وهو يبتسم نصف ابتسامة ، ورأى على وجهها تعبيرا ينم عن الاعتراف بالذنب وبين شفتيها كلمات تريد ان تقولها ولكنها لا تستطيع ..
— اذن فالبروفسور جوان هو الشخص الذى نبحث عنه ..
ولكنها — وسط ارتباكها — اخطأت فهم عبارته الاخيرة ، فصاحت :
— اتريد ان تقول انه هو القاتل .. ؟
— كلا بالتأكيد ، ليس هذا هو ما قصدته .. ولكن هناك شيئا آخر أكاد اجزم به ، وهو ان البروفسور هو الذى اسكن لويز فيلون فى هذه العمارة .. انه هو الرجل الاخر ..
وحاولت ان تقول ((نعم)) ولكنها لم تقلها بلسانها وانما بايماءة من رأسها ..
— لماذا لم تخبرينى منذ البداية ؟ .
— لانك لم تسألنى عنه ...
— ولكنى سألتك عما اذا كنت تعرفين الرجل الذى ..
— لا .. لقد سألتنى فقط عما اذا كنت قد رأيت أى رجل آخر ، غير الموسيقى ، يصعد الى شقة لويز فيلون ..
— انك تتهربين من المناقشة ..
— كـــلا ....
— هل طلب منك البروفسور الا تفتحى فمك بكلمة ؟ ..
— أبدا .. فان ذلك أمر لا يعنيه على الاطلاق ..
— وكيف عرفت ؟ .
— لانه لا يتكتم أسراره ، ولا يخفى حياته الخاصة ..
— لماذا اذن لم تقولى لى .!. ؟
— لا اعرف .. ربما كنت أعتقد انه لا داعى لادخاله فى الموضوع .. وفضلا عن ذلك — يا سيدى — فقد كان هو الذى انقذ حياة ابنى —

لقد اجرى له جراحة دون ان يتقاضى فرنكا واحدا ، وظل يعالجه لمدة سنتين ...

— واين هو ابنك ؟ ..

— أرسلوه الى الهند الصينية ، انه مجند فى الجيش ..

وانحدرت من عين المرأة دمعة ..

— هل تعرف مدام جوان الحقيقة ؟ .

— نعم ، ولكنها لا تظهر الغيرة على زوجها ، فقد اعتادت منه هذه الهفوات .

— بالاختصار فان العمارة كلها تعرف انلولو هيعشيقة البروفسور

— واذا كان البعض لا يعرفون فلانهم لا يهتمون بأن يعرفوا ... فالسكان هنا لا يعلقون اية اهمية على الشئون الخاصة للغير..وكثيرا ما كان البروفسور ينزل الىالطابق الثالث وهويرتدى البيجاما والروب دى شامبر دون ان يلفت انتباه احد .

— من اى نوع من الرجال هو ؟ .

— الا تعرفه ؟ .. ان الناس جميعا يعرفونه ، او يسمعون عنه على الاقل ...

ونظرت الى ميجريه باستنكار كانما تستنكر عليه الا يعرف جراحا مشهورا مثل البروفسور جوان .. والحقيقة ان ميجريه كان قد شاهد صور جوان كثيرا فى الصحف ، ولكن الفرصة لم تتح له من قبل لكى يراه شخصيا ..

— لابد أنه فى نحو الستين .. اليس كذلك ؟ .

— عمره بالضبط ٦٢ سنة ، ولكنه يبدو أصغر من ذلك كثيرا .. كما أن امثاله من الرجال البارزين لا يهتمون كثيرا بمسألة السن ..

ولاحظ ميجريه ان البوابة تتكلم عن جوان بحماس تماما كما لوكانت طالبة بالجامعة تتحدث عن استاذها المفضل .. واستطاع ان يستعيد من الذاكرة صورة ذلك البروفسور كما كان يراها فى الصحف ... وتذكرانه كان ذا رأس كبير وانف ضخم وذقن محببة وخدود غائرة واجفان منتفخة ...

— الا تعرفين ما اذا كان قد دخل الى شقتها امس وهو فى طريقه الى المستشفى .؟

وفكرت لحظة وهى تبحث عن انسب الكلمات للاجابة ، ثم قالت :

— لقد اخبرتك انه خرج فى الثامنة ، وان الموسيقى جاء بعد ذلك..

— وبعد ان عاد البروفسور من المستشفى .. الم يطرق باب شقة

لويز فداون ؟ .

وظهر عليها ، بما لا يدعو للشك ، ان كل ما يهمها هو ان تبعد أية شبهة عن جوان :

ــ انه ، بالتأكيد ، لم يمر عليها عند عودته .

ــ ما الذى يجعلك تؤكدين ؟.

ــ شقيقة زوجته .. لقد خرجت بعد بضع دقائق من وصوله ..

ــ هل تعتقدين انه قابل شقيقة زوجته ؟ .

ــ اعتقد انها كانت تنتظر الى حين عودته حتى تستطيـــع رؤيتـــه قبل ان تنصرف ..

وللمرة الثانية لاحظ ميجريه أن المرأة تكذب ما قالته فى البـــداية من ان شقيقة الزوجة انصرفت قبل وصول جوان ..

ــ أنك تدافعين عنه دفاعا حارا يا مدام كورنيه ..

ــ انني لا أتجاوز الحقيقة ..

ــ ربما كانت مدام جوان تعرف الحقيقة اكثر منك .. وارى الان من الضرورى ان أصعد اليها لمقابلتها ..

ــ هل تظن أن من اللياقة ان تصعد اليها وهى وحدها ؟ ..

ــ ربما كان معك حق .. فان هذا التصرف ليس لائقا بالمرة .. وخطا نحو الباب ، فاستوقفته مرة ثانية :

ــ الى أين تذهب ؟ .

ــ الى الطابق الرابع ! .

ــ ستندم ...

ــ سأترك باب الشقة نصف مفتوح .. وعندما يجىء البروفسور سأستجوبه هو الاخر ..

ــ على كل حال .. اتمنى لك التوفيق !.

ــ متشـــكر ...

وتساءل ميجريه ، وهو يخرج « أتراها صادقة فى هذا التمنى ؟» .. وسمع الباب يغلق خلفه ، ولكنه استدار لكى ينظر اليها من خـــلال الزجاج ، فرآها تقفز بسرعة من مكانها ، وفى لحظة خاطفة التقت نظراتهما عبر الزجاج ، فارتبكت واتجهت نحو موقد الغاز وتظاهرت بانها تضع بعض الانية عليه ، ولكن ميجريه ادرك أن وجهتهـــا الاصلية لم تكن الموقد وانما الرف الصغير القريب من النافذة الذى يحمل التليفون ..

الفصل الثالث

في طريق ميجريه الى زوجة البروفسور جوان بالطابق الرابع من بشقة لويز فيلون بالطابق الثالث، حيث كان المخبر لوكس جالسا في حجرة الجلوس وبين يديه صندوق مفتوح من الورق المقوى من ذلك النوع الذى توضع فيه الاحذية ..

وتوقف لوكاس عن العبث بمحتويات الصندوق عندما دق ميجريه جرس الباب . .

ــ اين عثرت على هذا الصندوق ؟

ــ فى الرف الاعلى داخل «دولاب» المطبخ . .

كان الصندوق ابيض اللون : وعلى مائدة صغيرة قريبة كان لوكاس قد وضع الشريط الاحمر الذى كان الصندوق ملفوفا به عند ما عثر عليه ، ونظر ميجريه الى ما فى الصندوق ، وتذكر « الكنوز » المماثلة التى كثيرا ما صادفته عند تفتيش البيوت القروية او بيوت الاحياء الفقيرة بالمدن ، والتى كانت تضم عادة عقود زواج ، وبعض الخطابات القديمة التى اصفر ورقها وبلى ، واحيانا ايصالات بعقارات او سلع مرهونة على ديون ، ولم تكن توضع دائما فى صناديق ، وانما كانت تحفظ احيانا فى سلطانية الشوربة او فى طبق الفاكهة . .

ولم يكن « كنز » لويز فيلون يختلف كثيرا عن هذه الكنوز الاخرى الا فى شىء واحد ، وهو انه لم يكن يضم أى عقد زواج ، كل ما كان فيه هو خطاب صغير ، وقصاصة من صحيفة قديمة ، ومجموعة من الصور ، ووثيقة رسمية تحمل ختم الدولة هى شهادة ميلاد صادرة عن مكتب صحة الحى الثامن عشر بباريس ، تقول البيانات المدونة بها

ان لويز مارى جوزفين فيلون مولودة فى حارة كامبراى بذلك الحى وانها ابنة ايرنست فيلون ، بائع « كرشة » متجول ، ويقيم بالقرب من سلخانة الافيليت وان امها فيلبين لى فليم ، وتعمل غسالة ..

وبين مجموعة الصور برزت صورة باليه لامرأة فى نحو الثلاثين من العمر يبدو انها ام لويز فيلون ، كانت صورة شمسية من ذلك النوع الذى يلتقطه محترفو التصوير على الارصفة ، وتظهر فى الجزء الخلفى من الصورة قطعة القماش الاسود التقليدية التى يستخدمها هؤلاء المصورون الجائلون والتى تحمل احيانا — كما فى هذه الصورة — بعض الرسوم الزخرفية المجردة من كل ذوق .. ويبدو ان المرأة لم تستمع لتعليمات المصور بان تبتسم اثناء التقاط الصورة ، فقد بدت مكتئبة ساهمة العينين ، ولا بد ان هذه الام قد انجبت عدة اطفال اخرين غير لويز فقد ظهر جسمها فى الصورة ، مترهلا ، وصدرها منهدلا . . .

وجلس لوكاس فى نفس المقعد ذى المساند الذى كان يشغله قبل أن يفتح الباب للمفتش ميجريه ، وعاد ينقب عن كنوز لويز فيلون داخل صندوق الاحذية .

ولم يتمالك ميجريه نفسه من الضحك فجأة عندما رأى على مسند الكرسى واحدة من تلك الروايات الغرامية البذيئة التى تحتفظ بها لويز فيلون فى حجرة نومها ، فقد كان واضحا ان لوكاس احضرها ليستعين بها فى قطع انتظاره الممل فى الشقة وحده ، وكان يبدو من انفراج الرواية ان لوكاس قرأ اكثر من نصفها . . .

وتلفت لوكاس الى المفتش محاولا استكشاف سبب ضحكه المفاجىء ، ثم امسك بسيجارته التى كان قد نسيها مشتعلة فوق المطفأة ، ووضعها بين شفتيه قائلا :

— لقد ماتت منذ سبع سنوات . . .

واشار الى الصورة الشمسية التى فى يد ميجريه ، ثم لم يلبث ان استخرج من الصندوق قصاصة الصحيفة القديمة التى تحمل اسماء مجموعة من الاشخاص ماتوا فى اليوم السابق لصدور هذا العدد من الصحيفة ، وبين هذه الاسماء كانت هناك علامة حول اسم فيلبين لى فيلم . . . .

وكان ميجريه قد ترك باب الشقة مفتوحا ، وارهف سمعه لصوت

المصعد ، ولاحظ منذ دخوله ان المصعد لم يتحرك سوى مرة واحدة حيث توقف عند الطابق الثانى ثم هبط ثانية مما يدل على ان الشخص الذى صعد تبعه لم يكن البروفسور جوان . . .

— الم تعثر على شيء من مخلفات والد لويز ؟

— لم اعثر الا على هذا الخطاب . . .

كان خطابا مكتوبا بالقلم الرصاص على نوع ردىء من الورق . وكانت طريقة كتابته والخط المكتوب به ، يدلان على ان كاتبه على قدر متواضع جدا من التعليم :

ابنتى المحبوبة لويز

اكتب اليك الان لا لشيء الا لكى اقول لك انهم اعادونى الى المستشفى وانا فى حالة سيئة جدا .. لن اعود الى اثارة الفضائح حولك مرة اخرى ، اريد فقط ان تكونى كريمة معى وان ترسلى لى قليلا من النقود لكى ادفعها ثمنا لما احتاج اليه من الدخان ... واننى لا آكل شيئا ، فهم يقولون ان الطعام يزيد حالتى سوءا ، انهم يتركوننى اموت جوعا يا ابنتى . سأرسل هذا الخطاب الى حانة قال لى البعض هنا انهم رأوك فيها اكثر من مرة ، وارجو ان يتمكن صاحب الحانة من الاهتداء الى مكانك .
ابوك

وكان الخطاب يحمل فى الركن الاعلى منه اسم « مستشفى بيزير » ، ولكنه لم يكن مؤرخا ، لذلك فقد كان من المتعذر معرفة الوقت الذى كتب فيه وان كان من الممكن التكهن — عن طريق فحص مدى اصفرار الورقة التى تحمل سطوره — بأنه كتب منذ سنتين او ثلاث سنوات . وتساءل لوكاس :

— الم تتلق لويز فيلون خطابات اخرى ؟ .. لماذا احتفظت بهذا الخطاب بالذات ؟ .. الان والدها مات بعد ايام من كتابته ؟ ..

— نستطيع ان نعرف كل شيء من مستشفى بيزير ..

— فعلا .. لابد من الاتصال بالمستشفى . . .

ولم يعثر الرجلان على اى خطابات اخرى ، وانما وجدا صورا كثيرة معظمها التقط فى اماكن النزهة ، وكانت لويز تظهر فى بعضها بمفردها وتظهر فى البعض الاخر برفقة بيبرو ، كما كانت توجد ايضا صور للقتيلة من النوع الذى يستخدم فى البطاقات الشخصية ، التقطت لها فى اشهر استديوهات التصوير . . .

وفيما عدا ذلك كان بالصندوق بعض الاشياء التافهة التى لاتبدو لها اهمية منها تماثيل حيوانات مصنوعة من الصينى والزجاج الملون ومطفأة سجاير وزهور صناعية من الورق الملون .

وربما كان من الطبيعى العثور على مثل هذه « الكنوز » فى شقة بحى « باربيه » او شارع « لاشابيل » او غير ذلك من الاماكن الفقيرة .. اما وجودها بشارع كارنو فامر يدعو الى الدهشة حقا ..

— هل بقى شىء فى الصندوق يالوكاس ؟

وبينما لوكاس يتأهب للاجابة .. اذا بالرجلين يهبان واقفين على رنين جرس التليفون ، وسارع ميجريه برفع السماعة :

— آلو . . .

وسمع صوتا نسائيا يقول :

— مسيو ميجريه موجود ؟ . . .

— انا ميجريه . . .

— آسفة لازعاجك ياجناب المفتش ، لقد اتصلت بك فى مكتبك ، فقالوا لى انك ربما تكون موجودا فى هذه الشقة او فى طريقك اليها ..

— من انت يا سيدتى ؟

— زوجة البروفسور جوان !

— هل تتكلمين الان من شقتك ؟

— نعم ، وأود ان انزل اليك الان لكى اتحدث معك ...

— اليس من الاوفق ان اصعد انا اليك ؟

وكانت لهجتها حازمة وحاسمة وهى تجيب :

— افضل ان انزل انا ، حتى اجنبك الحرج فيما لو عاد زوجى ووجدك فى شقتنا . . .

— كما ترين . . .

— سأكون معك بعد لحظة . . .

ولم يجد ميجريه الوقت الكافى لكى يشرح للوكاس من هو البروفسور جوان ومن هى زوجته ، فاكتفى بأن قال وهو يشير الى أعلى :

— انها السيدة التى تسكن فى الطابق التالى .

وفى خلال ثوان كانا يسمعان خطواتها وهى تهبط درجات السلم ، ثم وهى تدخل من باب الشقة المفتوح ، ثم صوت اغلاق الباب خلفها .. وعندما « نقرت » باصابعها على باب حجرة الجلوس تقدم ميجريه نحوها قائلا :



ـ ادخلي يا سيدتي . . .

ودخلت في هدوء وفي وقار غير متكلف ، تماما كما لو كانت تدخل شقة مألوفة لديها ، ولم تجل بعينيها حول الغرفة وانما ركزت نظرها منذ اللحظة الاولى لدخولها ، على ميجريه .

ـ اسمحي لي ياسيدتي ان اقدم لك المخبر لوكاس .. هل تتفضلين بالجلوس ؟

ـ شـــــكرا . . .

كانت طويلة القامة ، اما قوامها فلم يكن نحيفا ولا بدينا ، وانما كان اميل الى الامتلاء ، واذا كان جوان عمره ٦٢ فمن المحتمل ان تكون هي في الخامسة والاربعين ، ولكنها ـ ايضا ـ تبدو اقل من سنها . . .

وبابتسامة صغيرة قالت :

ـ اعتقد انك كنت تتوقع مني هذه الزيارة . . .

ـ هل ابلغتك البوابة بوجودي هنا . . . ؟

وترددت لحظة ، وعيناها في عينيه ، واتسعت ابتسامتها قليلا وهي تجيب :

ـ اجل ، ابلغتني . . اتصلت بي تليفونيا منذ دقائق . . .

ـ اذن فقد كنت تعرفين اني هنا . . واذا كنت اتصلت بي في مكتبي ، فانما كان هدفك من ذلك هو ان تجعلي تصرفك يبدو طبيعيا ..

وغمرتها موجة من الخجل ارغمتها على ان تطاطيء راسها ، ولكنها لم تفقد شيئا من وقارها او سيطرتها على اعصابها . .

ـ كنت اشك في انك تستطيع ان تعرف كل ذلك .. ولكن ، صدقني ، لقد كنت على استعداد للاتصال بك باية وسيلة . . فمنذ هذا الصباح ، بعد ان سمعت بما حدث في هذه الشقة ، وانا اتوق الى الحديث اليك

ـ ولماذا لم تفعلي . . ؟

ـ ربما كنت اود الا اقحم زوجي في هذا الموضوع ..

ولم يكف ميجريه عن ملاحظتها طوال هذه الفترة ، وقد ادهشه منها انها لم تضيع نظرة واحدة من نظراتها المركزة عليه في التطلع الى ما حولها او تأتي باية حركة تدل على محاولة استكشاف محتويات الحجرة ، الامر الذي حفزه على سؤالها :

— متى كانت المرة الاخيرة التى اتيت فيها الى هذه الشقة . . ؟

ومرة ثانية انتابها الخجل الى حد توردت معه وجنتاها ، ولكنها مضت تجيب بلا مبالاة :

— اوه ... اتعرف ايضا انى جئت الى هنا من قبل ، ولكن احدا لا يمكن ان يكون قد اخبرك بذلك ، حتى ولا البوابة ..

وفكرت لحظة ، ولكنها لم تستغرق طويلا فى البحث عن مخرج من هذا المازق . . .

— من المحتمل ان طريقة دخولى الى هذه الشقة لم تكن طريقة امرأة تدخل شقة لاول مرة ، خصوصا وان الشقة كانت مسرحا لجريمة قتل . . .

كانت السيدة مستقرة فوق الكرسى ذى المساند الذى كان لوكاس يجلس عليه ، فقد اخلاه لها وجلس على الاريكة فى نفس المكان الذى كانت تشغله جثة لويز فيلون فى الصباح ، اما ميجريه فكان واقفا وظهره ناحية المدفاة التى امتلات بكتل الخشب ، وهو متجه بعينيه واذنيه الى السيدة :

— على كل حال سأروى لك ما حدث . . . كان ذلك فى احدى الليالى منذ سبعة او ثمانية اشهر عندما تلقيت مكالمة من الفتاة التى كانت تسكن هنا ، ولا اذكر بالضبط ما قالته اثناء المكالمة ، فقد كانت فى حالة ذعر لان زوجى اصيب بنوبة قلبية مفاجئة . . .

— هل كان فى غرفة نومها فى تلك الساعة . . ؟

— نعم . . .

— كيف كان تصرفك ؟

— نزلت على الاثر ، وقدمت له الاسعافات اللازمة ؟

— هل لك دراية بالطب ؟

— كنت اشتغل ممرضة قبل ان اتزوج البروفسور جوان . . .

وادرك ميجريه عندئذ سر تحكم هذه المرأة فى اعصابها ، كما عرف نوع الطبقة التى تنتمى اليها ، وهما الامران اللذان شغلا تفكيره منذ ظهور المرأة . . .

— وبعد ان افاق . . ؟

— حاولت الاتصال باحد زملائه الاطباء ، ولكنه هب من مكانه وحال بينى وبين الوصول الى التليفون ، ثم طلب منى الا ابلغ أى طبيب من الاصدقاء او المعارف ، باى شيء . . .

— هل دهش عندما رآك بجانبه على فراش لويز فيلون ؟
— كلا ، فقد اطلعنى على علاقته بها ، ولم يحاول ابدا ان يخفى عنى شيئا . . .
— هل تركته بعد ذلك ام بقيت بجانبه ؟
— بقيت معه هنا الى ان صعدنا سويا ، وامضينا بقية الليلة فى هدوء وصفاء تامين . . .
— هل كانت هذه اول مرة تصيبه النوبة ؟
— اصابته نوبة اخف قبل ذلك بثلاث سنوات .

كانت تتكلم فى رزانة وتؤدة كما لو كانت لاتزال ترتدى ثياب الممرضات وتقف عند سرير احد المرضى .. واثار حديثها على هذا النحو دهشة لوكاس الذى لم يكن يعرف حقيقة الوضع ، ولم يكن يصدق اذنيه وهو يسمع زوجة تتحدث بمثل هذا الهدوء عن عشيقة زوجها . . .
وسأل ميجريه :
— ما الذى حفزك على ان تتحدثى معى الليلة ؟

— منذ ابلغتنى البوابة انك تعتزم استجواب زوجى داخل شقتنا .. وانا افكر فى اية وسيلة لتجنب هذا الاستجواب ، لذلك رأيت ان احضر اليك بنفسى لكى اتيح لك الحصول على ما تريده من معلومات عن طريق استجوابى انا .. هل تعرف البروفسور ؟
— اعرفه — فقط — بحكم شهرته . .
— انه رجل فذ حقا .. ويندر ان تجد نظيرا له .. فهو عبقرية لا يجود بمثلها الزمن الا مرة او مرتين فى كل جيل . .
واومأ المفتش موافقا على كلامها . . واحست منه انه يشجعها على الاستمرار فى الحديث عن زوجها :

— وهو يكرس حياته كلها لعلمه الذى يعتبره رسالة مقدسة يؤديها كاملة مهما كان الثمن .. فبالاضافة الى المحاضرات التى يلقيها والاستشارات التى تطلب منه بشأن الحالات المستعصية .. فانه يجرى يوميا ثلاث او اربع جراحات وكلها — كما اظنك تعرفه — من النوع الذى يبلغ اقصى درجات الخطورة . لذلك فلست ارى انك ستدهش اذا قلت لك انى ابذل اقصى ما استطيع لكى ابعد عنه اى اقلاق او تكدير . . .
— هل رأيت زوجك بعد موت لويز فيلون ؟
— نعم فقد عاد الى البيت لتناول الغداء .. وعندما خرج هذا

الصباح ، كانت اجراءات البوليس قد بدأت بالفعل في هذه الشقة ، ولكنه لم يعرف بحقيقة ما حدث الا فيما بعد . . .

ــ كيف كان يبدو اثناء الغداء . . ؟

ــ كان النبأ صدمة له . . .

ــ هل كان يحبها . . ؟

وحدقت في وجهه لحظة دون ان تجيب ، ثم حولت عينيها الى لوكاس اذ كانت ــ على ما يبدو ــ تجد غضاضة في وجوده . واستأنفت ، بعد تفكير ، حديثها الهادىء المتئد :

ــ من كل ما سمعته عنك يا مسيو ميجريه ، استطيع ان اقول انك تفهم الظروف وتقدرها حق قدرها . ولكن الاخرين لا يفهمون او يقدرون، ولهذا السبب ــ بالتحديد ــ اردت ان امنع هذه العلاقة من الذيوع ، فان الواجب يقتضي منا الا نعرض البروفسور للقيل والقال ... ان المهمة العظمى التي يضطلع بها لها من الاهميـــة للانســـانية كلها ما يستوجب منا الا نغامر بتلويثها او الحط من قدرها لان كل ما يمس البروفسور يمس ايضا رسالته الكبرى . . فلماذا نسبب له هذا الكدر الذي لا موجب له . . ؟

ورغما عن ميجريه وجد نفسه ينظر بأسف الى الاريكة التي كانت جثة لويز فيلون مسجاة عليها في الصباح ، وكانت نظرته هذه ابلغ تعليق على كلمات الزوجة « هذا الكدر الذي لا موجب له » ..

ــ هل احاول ان ارسم لك صورة سريعة لشخصيته . . .؟

ــ تفضلي . . .

ــ ربما كنت تعرف انه ولد لاسرة ريفية فقيرة في « سيفين » .. ؟

ــ اعرف انه جاء من الريف . .

ــ ان كل هذا المجد الذي صنعه لنفسه .. تحقق له بقوة الارادة وحدها ، واستطيع ان اقول بلا ادنى مبالغة ــ انه لم يعرف الطفولة ولا الشباب .. هل تفهم ما اعنيه ؟

ــ افهم بالطبع . . .

ــ انه ليس انسانا عاديا ، ولم يمر في حياته بالمراحل المعتادة لكل انسان ... كان قوة طبيعية خارقة منذ مولده .. ماذا اقول لك اكثر من ذلك ؟ .. اقول انه عبقري ؟ .. ان ذلك هو ما يقوله الاخرون ، وما سيقولونه دائما ..

ووافقها ميجريه مرة ثانية . . .

ـ والناس عموما يتخذون موقفا غريبا تجاه العباقرة ، فهم على استعداد تام للاعتراف بان العبقري يختلف عن غيره من حيث مستوى الذكاء ودرجة النشاط المهني .. فان المرضى يرون من الامور الطبيعية ان يستيقظ جوان في الساعة الثانية صباحا لكي يجري جراحة عاجلة لا يستطيع أي جراح آخر اجراءها ، ثم يتوجه الى المستشفى في التاسعة لمتابعة الحالات الاخرى .. الا ان هؤلاء المرضى انفسهم لايرون من الامور الطبيعية ان يكون جوان مختلفا عن الشخص العادي في النواحي الاخرى . . فهم يرتاحون لقدرته الفريدة على علاجهم ويصابون بصدمة عندما يسمعون عن خصائصه الفريدة في حياته الخاصة .

وكان من الممكن لميجريه ان يدرك ، سلفا ، نوع الكلام الذى ستقوله زوجة البروفسور بعد هذه الديباجة الطويلة ، ولكنه لم يشأ تغيير الموضوع او الاتجاه الى الحصول على المعلومات الاكثر قيمة ، وانما فضل ان يترك امامها فرصة الكلام بحرية خصوصا وانها تتكلم بهدوء يضفي على منطقها مزيدا من قوة الاقناع ، واسترسلت المرأة :

ـ ان زوجي لا يهتم ابدا بالمتع الطفيفة للحياة ، فهو لا يرتاد اماكن النزهة ولا دور اللهو . لا أذكر أنه منح نفسه اجازة ولو ليوم واحد ، كما أنه ليس له اصدقاء ، ولم يكن له في أي يوم صديق واحد ... والجهد الذى يبذله في عمله يكفي لاستهلاك طاقة عشرة رجال ... اما وسيلته الوحيدة في الترفيه عن نفسه فهي : النساء !

ونظرت الى لوكاس ، ثم الى ميجريه قائلة :

ـ ارجو الا اكون قد صدمتك . .

ـ اطلاقا . . .

ـ هل فهمت ما اعني ؟ .. انه ليس ذلك الرجل الذى يتودد الى المرأة او يغرم بها ، فليس لديه الصبر على التودد او الميل الى الغرام. ان ما يريده من اية امرأة هو ان ينتشي بافتراسها ، وما اظن انه عرف الحب الحقيقي مرة واحدة في حياته !

ـ حتى ولا معك ؟ .

ـ لطالما سألت نفسي هذا السؤال ، ولكني لم استطع الاجابة عليه حتى الان .. رغم اننا متزوجان منذ ٢٢ سنة .

ـ هل تزوج بامرأة اخرى قبلك ؟

— كلا . . فقد ظل طوال حياته اعزب قبل ان يتزوجنى ، وكانت تقيم معه خادمة عجوز ..

— فى نفس هذا البيت ؟

— نعم ، وكانت المصادفة وحدها هى التى قادته الى استئجار شقتنا الحالية وهو فى الثلاثين . ولكنه لم يفكر بعد ذلك ابدا فى الانتقال الى مسكن آخر حتى بعد ان عين فى مستشفى كوشان الذى لا يزال يعمل به ، والذى يقع فى الطرف الاخر من المدينة .

— هل كنت تشتغلين معه فى نفس المستشفى ؟

— نعم ، واظن اننى استطيع ان اشرح ظروف زواجنا بصراحة تامة . .

وكان وجود لوكاس مازال يضايقها ، كما كان لوكاس نفسه يعرف ان وجوده غير مرغوب فيه ولكنه كان مشدوها الى درجة لم يتمالك نفسه معها من البقاء ، واخذ يضع رجلا على رجل ، ثم يعود فيبدل وضع رجليه . . .

— عملت فى هذا المستشفى عدة أشهر دون ان الحظ خلالها انه يعيرنى أى انتباه ، وكنت اعرف — ككل من فى المستشفى — ان معظم الممرضات وقعن فرائس له على التوالى دون ان يترتب على ذلك أقل ضجة .. فقد كان ينفذ خطته مع كل ممرضة ثم يبدو فى اليوم التالى وكأنه لا يذكر شيئا ! .. وفى احدى الليالى عندما كنت اقوم بالخدمة معه بعد ان أجرى جراحة استغرقت ثلاث ساعات ، وجلس ينتظر النتيجة .. جذبنى من يدى ثم اغتصبنى بدون كلمة واحدة ! ..

— هل كنت تحبينه ؟

— اعتقد .. على كل حال كنت معجبة به ، وبعد بضعة ايام دهشت عندما دعانى لتناول الغداء معه فى مطعم سان جاك وهناك سألنى عما اذا كنت متزوجة .. وحتى ذلك الوقت لم يكن قد كلف نفسه مشقة السؤال عنى .. ولكنه بعد ان استفسر منى عن أسرتى وآخبرته ان والدى يعمل تاجر أسماك فى مقاطعة بريتانى .. هل يضايقك حديثى هذا يا مسيو ميجريه ؟ .

— كلا .. على الاطلاق !

— لكم أود منك ان تفهمه جيدا . . .

— الا تخشين ان يعود الان فجأة فلا يجدك . . ؟

— اطمئن .. فان ذلك ما كان ليفوتني ، فقبل ان انزل الى هنا اتصلت بالمستشفى حيث يقوم الان باجراء جراحة خطيرة . وتاكدت انه لن يعود قبل السابعة والنصف . .

وكانت الساعة في ذلك الوقت السادسة والربع .

— ماذا كنت اقول ؟ .. آه تذكرت .. كنا نتناول الغداء معا ، وظل يسالني كثيرا عن ابي ، وشعرت ان الامور اخذت تتعقد ...

— لمـــاذا ؟

— كان وضعا غريبا ، واتعشم الا تسيء فهمه .. ان الامر الذي يجهله معظم الناس هو ان جوان خجول الى درجة لا تكاد تصدق ، في علاقاته مع المجتمع الراقي ومجتمع الطبقة المتوسطة .. رغم انه جريء متهور — الى درجة لا تكاد تعقل — في علاقاته مع الطبقة الفقيرة ، ولهذا السبب ظل بلا زواج حتى سن الاربعين : فهو لم يكن يستطيع بعد ان وصل الى هذه المكانة المرموقة — ان يتزوج من فتاة فقيرة . كما ان خجله كان يمنعه من طلب فتاة من اسرة ثرية او متوسطة ، ولهذا السبب ايضا لم يتخذ اى اصدقاء ، ولم يظهر في اية مناسبة اجتماعية .. كانت كل فتاة اغتصبها — بما في ذلك الممرضات — تنتمي الى الطبقة الفقيرة ، اما انا فكنت من الطبقة المتوسطة ومن هنا احسست بان الامور تتعقد . . .

— انني افهمك جيدا . . .

— ولا شك انه تصور في البداية اني كسائر الفتيات الفقيرات ... فقد بدت عليه الرهبة عندما شرحت له ظروف معيشة اسرتي ، ولو كان يعرف ذلك من اول الامر لما جرؤ على ان ..

ولم تستطع ان تكمل الجملة ، ولكن تعبير وجهها وحركة يديها اغنياها عن نطق اية كلمة اخرى ...

ووضع ميجريه يده في جيبه باحثا عن الغليون وهو يقول :

اعتقد ان كلامك هذا يفسر لنا اشياء كثيرة . . .

— واقسم لك : يامسيو ميجريه ، انه حتى الان ، لا يستطيع ان يجد الشجاعة امام اية فتاة اخرى غير اولئك اللائي نشان في الحضيض .

— وكيف تزوجك اذن ؟

— بعد ان استمر في علاقته معي مدة من الزمن — لم يقطع خلالها

علاقاته المعتادة مع الاخريات ــ جاءني ذات يوم وهو شبه غائب عن الوعي ، وطلب مني ان اتزوجه . . واتيت لكي أعيش هنا ولكي ادير له البيت . وهذه هي كل القصة .

ــ والخادمة العجوز . . .

ــ تركت البيت بعد اسبوع من زفافنا . .

ــ هل تغير سلوكه بعد الزواج ؟

ــ لم يتغير فيه شيء .. وكنت اعلم عندما وافقت على الاقتران به ، انه لا يمكن ان يتغير .. ولست بحاجة لان اضيف الى كل ما قلته انى لا اغار عليه البته .. فقد رتبت حياتي على هذا الاساس ، وربما اعتبر البعض ذلك بلاهة مني ، ولكنى لا اشك في انك تفهم حقيقة ظروفي . .

لم يتذكر ميجريه انه ، طوال اشتغاله بمكافحة الجريمة ، اهتم بدراسة اية شخصية مثلما يهتم الان بدراسة هذه المرأة .. لقد كانت تعرف الكثير وتقوله بلا خوف او حياء .. بل على العكس ، بدا منها أنها تريد مساعدة البوليس بكل الوسائل ، على الوصول الى الحقيقة ..

لقد كانت تحاول ان تخبر ميجريه بكل شيء دون ان تترك زاوية من زوايا شخصية « رجلها العظيم » الا القت عليها الضوء . . .

ــ لقد استمر في مضاجعة ممرضات المستشفى ، وممرضاته الخصوصيات اللاتي كان يغيرهن على الدوام ، وغير اولئك من الفتيات الاخريات اللاتي توقعهن الظروف تحت يده ويتنسم فيهن انهن لن يسببن له مشاكل في حياته .. وربما كانت هذه هي أهم نقطة ياخذها بعين الاعتبار .. فانه لا توجد قوة في العالم تستطيع ان تقحمه في مشكلة تشغل فكره او وقته اللذين يهبهما لرسالته المقدسة في تخفيف الام المرضى وانقاذهم من براثن الموت . .

ــ وعلاقته مع لولو . . . ؟

ــ اتعرف ايضا اسم الشهرة الذى عرفت به القتيلة ؟ ! .. ساروى لك الان قصتها كاملة ، وسترى انها لا تختلف كثيرا عن الاخريات . هل استطيع اولا ان اتناول كوبا من الماء ؟

وكان لوكاس على وشك القيام لولا انها ، قبل ان تتم كلامها ،

كانت قد غادرت الحجرة فى طريقها الى المطبخ ، ولم تمض برهه حتى سمع الرجلان صوت الحنفية وهى تفتح .. وعندما عادت وجلست فى مكانها كانت شفتاها مبتلتين ، كما كانت قطرة من الماء تتدلى من ذقنها ...

لم تكن جميلة بمعنى الكلمة ، فان قسمات وجهها عادية ليس فيها ما يدعو الى الاغراء وان كانت تجذب الانظار الى التعلق بها ، كما كانت روحها وطريقة حديثها تبعث على الاطمئنان والارتياح الى درجة ان ميجريه تمنى ـــ لو انه مرض ـــ ان تقوم هذه المراة برعايته والاشراف على علاجه .

كذلك فقد كانت من ذلك النوع من النساء اللاتى يسر الرجال ان يتناولوا غداءهم او عشاءهم معهن ، فهى لا تعدم وسيلة فى فتح ابواب جديدة للنقاش والحديث . . . وهى اصلح مثال للمرأة التى يتخذها الرجل صديقة له تؤانسه وتسامره وتعرف كل شيء عنه دون ان تغضب او تضجر او تنفعل .

ـــ اعتقد انك تعرف عمره ؟

ـــ ٦٢ سنة .

ـــ تماما ، ولكنه لم يفقد شيئا من حيويته ، وانا هنا استخدم كلمة « حيويته » بمعناها الواسع الشامل ، ولكنى اعتقد ايضا ان اى رجل، عندما يصل الى سن معينة ، تراوده المخاوف والظنون بشأن اقتراب فقدان فحولته .. مما يجعله يغرق فى مزاولة النشاط الجنسى . .

وبينما كانت تتكلم تذكرت ان ميجريه نفسه تخطى سن الخمسين ، فاستدركت قائلة :

ـــ آسفة يا سيدى ، فانا لا اقصد التلميح اليك . .

ـــ لا بأس .. استمرى فى كلامك . .

وللمرة الاولى ابتسم كل منهما للاخر . . .

ـــ لست ادرى ما اذا كانت هذه قاعدة تسرى على جميع الرجال . ولكن الحقيقة هى ان زوجى يسرف الان فى نواحى الجنس اكثر من اى وقت مضى .. ومرة ثانية ارجو الا اكون قد اسأت اليك بهذا الكلام . .

ـــ أبدا . . بالمرة . . .

ـــ ومنذ نحو سنتين عرضت عليه حالة مريضة شـــابة هى لويز

فيلون ، واستطاع ان ينقذ حياتها بمعجزة .. واظنك تعرف تماما نوع الحياة التي كانت تحياها من قبل . فقد جاءت من نفس الحضيض الذي انجب الاخريات ، ولعل هذا هو ما اثار اهتمام زوجي بها . .

وهز ميجريه رأسه عدة مرات مؤمنا على كلامها ، فان كل ما تقوله يبدو حقيقيا لا اثر فيه للافتعال او المراوغة فضلا عن انه كلام واضح في مثل بساطة تقارير رجال البوليس .

ــ ولابد ان العلاقة بينهما بدأت في المستشفى عندما كانت لويز في فترة النقاهة . ويوم غادرت المستشفى كان زوجي قد استأجر لها شقة في شارع « لافاييت » وقد علمت بامر هذه الشقة من قبل ان تحل لويز فيها ، فقد انبانى جوان بها عرضا خلال احاديثنا ، ولكنه لم يذكر لي التفاصيل ، لانه لا يحب الخوض في حديث طويل حول هذه الشؤون ، ولاتزال هذه هي عادته حتى الان .. فكثيرا ما يحدث ، اثناء تناولنا الغداء ، ان يخبرني بما فعله وبما يعتزم ان يفعله . ورغم انه ينقل لي هذه الانباء بكلمات مقتضبه دون تمهيد سابق ودون توقع من جانبي .. فاني لا اطلب منه أى تفصيلات ، كما انه لا يعود الى الحديث عنها مرة ثانية .

ــ هل كنت أنت التي اقترحت عليه أن ينقل لويز لكي تقيم معكم في هذه العمارة ؟

وعندئذ أشرق وجهها بالسرور لان ميجريه استطاع ان يدرك هذه الحقيقة بفطنته ..

ــ لكي اساعدك على ان تمسك بكل خيوط الموضوع .. يجب ان ازودك اولا ببعض التفاصيل الاخرى ، واعتذر لاطالتي في الكلام فان الحوادث كلها ترتبط ببعضها البعض .. لقد اعتاد جوان فيما مضى ان يقود سيارته الخاصة بنفسه، ثم وقعله حادثفي ميدان الكونكورد منذ بضع سنوات ، وعلى وجه التحديد منذ اربع سنوات ، فقد صدم امرأة كانت تمر بالميدان ، ولحسن الحظ انها لم تصب باكثر من كدمات طفيفة .. بيد أن هذا الحادث ازعجه الى درجة انه توقف عن القيادة ، واستأجرنا سائقا في مقتبل العمر لم يكن زوجي يرتاح لعمله ، وقد قال لي انه لايطيق أن يرى شابا في مطلع حياته العملية يقف الساعات الطوال بجوار الرصيف في انتظار توصيلنا او العودة بنا . لذلك فقد اعفاه من هذا العمل بعد بضعة اشهر.. واقترحت عليه بعد ذلك أن أتولى انا القيادة ولكن اقتراحي هذا

لم يكن عمليا هو الاخر .. وفى النهاية لجأ جوان الى استخدام سيارات التاكسى فى جميع تنقلاته ، وظلت السيارة مركونة فى الجراج عدة أشهر الى ان اضطررنا لبيعها .. ونفس التاكسى هو الذى يحمل زوجى كل صباح فى جولته المعتادة بين مستشفيات المدينة ثم يتجه به اخر الامر الى شارع لافاييت .

وكان ميجريه لايزال يومىء برأسه موافقا .. فى حين بدت فى عينى لوكاس الرغبة فى النعاس .

ـــ وبمحض الصدفة ، خلت شقة فى هذه العمارة ..

ـــ لحظة من فضلك .. هل كان زوجك يقضى الليل عادة فى شارع لافاييت ؟

ـــ طرفا من الليل فقط .. فقد كان يحرص على العودة الى البيت فى وقت ما قبل الصباح حيث تحضر ممرضته التى تعمل ايضا سكرتيرة له ..

وبعد ان انتهت من هذه الجملة الاخيرة ، ندت عنها ضحكة مسموعة سارعت الى اخفائها باستئناف الحديث :

ـــ بالاختصار كانت الظروف كلها مهيأة : الشقة الخالية بالعمارة ، وتوفير الوقت الضائع فى الذهاب الى شارع لافاييت والعودة منه ، وتجنب اثارة شبهات الناس ، لذلك فقد سألته لماذا لايحضر الفتاة الى هنا ..

ـــ هل كنت تعرفينها ؟ ..

ـــ كنت أعرف كل شىء عنها بما فى ذلك علاقتها بعشيقها الاخر .. ذلك الموسيقى الذى يدعى بيرو ..

ـــ وهل كان زوجك يعرف ايضا هذه العلاقة ؟

ـــ نعم . ولكنه لم يكن يغار .. ربما كان لا يحب ان يرى لولو مع ذلك العشيق ، ولكن مادامت العلاقة بينهما تجرى بغير علمه .

ـــ استمرى .. لقد قبل جوان اقتراحك ، فماذا كان رأى لولو ؟

ـــ يبدو انها عارضت الفكرة فى اول الامر ..

ـــ ماهى ـــ فى رأيك ـــ حقيقة مشاعر لويز فيلون تجاه البروفسور ؟

وكان ميجريه قد بدأ ـــ بطريقة تلقائية ـــ يتحدث بنفس نبرة حديث مدام جوان ، عن ذلك الرجل الذى بدأ وكأنه موجود فى الحجرة رغم ان ميجريه لم يره شخصيا حتى الآن .

ـــ هل أكون صريحة معك ؟

ـ هذا ما ارجوه ..

ـ فى المقام الاول استطيع أن اقول لك أن الفتاة ـ كسائر الاخريات ـ وقعت تحت تأثيره . ربما تعتقد يامسيو ميجريه ، انى اقول ذلك على سبيل الزهو او التباهى بزوجى ، ولكن الحقيقة انه رغم بعد الشقة بينه وبين سن الشباب ورغم اهماله التام لما يسمونه « الاناقة » او « الوسامة » ..فانى لا اعرف الا النادر من النساء اللاتى استطعن مقاومته ، فان اية امرأة تشعر ـ بالغريزة ـ بقوته و ..

وفى هذه المرة لم تستطع ان تعبر عن المعنى الذى تقصده لا بلسانها ولا بتعبير وجهها ولا بحركات يديها .. وانما قالت مؤكدة :

ـ وعلى اية حال .. فستجد من تحرياتك واستجوابك للاشخاص المعنيين مايؤيدنى فيما اقول .. ونفس الشىء الذى حدث مع الاخريات حدث مع القتيلة .. مع فارق واحد هو ان جوان انقذ حياة الفتاة وعاملها بطريقة لم تتعودها فى حياتها السابقة .

وظهر لميجريه ان كل كلامها واضح ومنطقى ، فاخذ يستحثها على المزيد ..

ـ ولكى اكون صريحة الى اكثر الحدود احب ان ابدى لك نقطة اخرى قد يكون لها وزنها عندك .. وهى اعتقادى بأن الناحية المالية كان لها دورها .. ربما لم تكن الفتاة تهتم بالمال فى حد ذاته ، ولكنها ـ على الاقل ـ كانت تجد فى علاقتها مع زوجى ما يضمن لها الامن والاستقرار والحياة الخالية من المشاكل ..

ـ الم يحدث مرة أن اعربت عن رغبتها فى ترك زوجك لكى تعيش مع عشيقها الموسيقى ؟

ـ لم يخبرنى زوجى بشىء من هذا ..

هل وقعت عيناك ، مرة ، على هذا الموسيقى ؟

ـ اذكر انى مررت به صدفة وهو جالس بالصالة فى هذه الشقة ..

ـ وهل كان يأتى بانتظام ؟

ـ كان يأتى من آن لاخر عندما تكون هناك مناسبة تستدعى حضوره .. أما هى فقد تعودت أن تقابله فى فترات بعد الظهر ، لا ادرى أين على التحديد ..

ـ هل كان زوجك يعرف ؟

ـ ربما كان قد عرف ..

— هل كان يغضب لو انه عرف ؟
— ربما كان يتضايق ، لابسبب الغيرة .. ان من الصعب تفسير شعوره فى هذه الحالة ..
— الى اى حد كان زوجك متعلقا بالفتاة ؟
— كان يشعر بأنها مدينة له بحياتها ، وكان يتصور انه هو الذى خلقها ، فلولاه هو لكانت قد ماتت منذ سنتين .. وربما كان يفكر فى ذلك اليوم الذى يفقد فيه قوة تأثيره على النساء وتنصرف عنه سائر الاخريات ، وثمة تفسير اخير .. لا أقصد « تفسيرا » بل مجـــرد افتراض : انه لم يكن يحس بأى خجل وهو معهـــا ..
— وماذا كان يحس وهو معك ؟
واحنت رأسها فى نظرة شاحبة الى السجادة ..
— هناك فارق يامسيو ميجريه ، فانا سيدة .. أما هى ..
وكاد ميجريه ان يكمل كلامها قائلا : « اما هى فلا شيء ! » ..فقد كانت هذه الفكرة هى التى تدور فى رأسها فعلا .. والارجـــح ان البروفسور نفسه كان يشارك زوجته هذا الرأى ولكن ميجريهأمسك عن الكلام ، وقرر الا يضيف شيئا او يعلق بشيء .. وظل الثـــلاثة صامتين لفترة من الزمن بينما كان المطر مستمرا فى الخارج دون ان يصل اليهم صوت قطراته وهى تطرق النافذة ، وفى البيوت المواجهة لهم كانت الانوار قد اضيئت ، كما كان هناك ظل يتحرك خلفالستائر ذات اللون « الكريمى » باحدى الشقق ..
وقطع ميجريه السكون بان رفع الغليون الذى كان قد انتهى من تعبئته بالطباق ، ووضعه بين شفتيه قائلا :
— اتسمحين لى ان ادخن ؟
— تفضـــل ..
وكان طوال ذلك الوقت ، مصغيا بكل حواسه لحديث مدام جوان الى درجة انسته رغبته فى التدخين ، وبعد ان اشعل الغليون ادار الحديث نحو النقطة الرئيسية :
— اخبرينى يامدام جوان عما حدث ليلة أمس ..
— مالذى تود ان تعرفه منى على وجه التحديد ؟
— حدثينى أولا ، بشيء من التفصيل ، عما اذا كان من عادةزوجك أن يمضى الليل مع لويز ..
— لم يكن ذلك يحدث الا نادرا جدا .. فنحن نشغل الطابقالرابع

باكمله ، فالقسم الذى على اليسار هو مانسميه « الشقة » ... وعلى اليمين الجناح الخاص بزوجى ويشمل غرفة نومه وحمـــامه الخاص ومكتبته التى تزخر باكوام من النشرات والمطبوعات الطبيـة التى لانكاد تجد بينها موطئا لقدم . اما فى الوسط فيوجـد عيادته والمكتب الخاص بسكرتيرته التى هى ممرضته فى الوقت ذاته ..

— هل تنامان فى غرفتى نوم منفصلتين .. ؟ !

— نحن نفعل ذلك دائما وعلى اية حال فانه لايوجد ما يفصـل غرفة نومى عن غرفة نومه سوى حجرة تغيير الملابس ..

— هل لى ان أسألك — ياسيدتى — سؤالا خارجا عن حـــدود الحيـــاء ... ؟

— لاتتردد ياسيدى فى أى سؤال ، فان من حقك أن تستفسر منى عن أى شىء وان اجيبك عليه بوضوح تام ..

— الا تزال العلاقات الزوجية مستمرة بينك وبين البروفسور ؟..

ونظرت مرة اخرى الى لوكاس المسكين الذى احس الان بأن وجوده لم يعد يطاق ، ولكنه لم يدر ماذا يفعل .. ولم يكن امام مدام جوان الا ان تجيب .

— نادرا ..

— اتقصدين ان تقولى انها توقفت تماما تقريبا ؟

— نعم ...

— منذ متى ؟ ..

— منذ سنين .. !

— الا تشعرين بافتقادها ؟ ..

ولم تفاجأ بهذا السؤال ، وانما ابتسمت وهزت رأسها :

— انك تريد ان تنتزع منى اعترافا .. وانا مستعدة لان احيبـك باقصى ما استطيع من صراحة ، فلاقل انى افتقدها قليلا ..

— الا تشعرينه بانك تفتقدينها ؟ ..

— كلا ، بالتاكيد ..

— هل لك عشيق ؟ ..

— لم تخطر لى هذه الفكرة على الاطلاق ..

وسكتت برهة وعيناها فى عينيه ، كأنما تريد ان تستوثق من صدى اجابتها فى نفســـه :

— انك تصدقنى .. أليس كذلك ؟

— نعم ...

ــ اشكرك .. ان الناس لايتقبلون الحقيقة دائما ، ولكن المـــرأة التى تقبل الزواج من رجل مثل البروفسور جوان يجب ان تـــــكون مستعدة لبعض التضحيات ..

ــ هل اعتاد ان ينزل اليها ، لبعض الوقت ، ثم يصعد ثانية ؟

ــ نعم ...

ــ وهل فعل ذلك بالامس ؟

ــ لا .. فان ذلك لايحدث كل يوم ، فاحيانا ما تكفيه زيارة بضع دقائق لها ثم ينقطع بقية الاسبوع .. والامر كله يتوقف على ظــروف عمله ، وربما يتوقف ايضا على مدى الفرص التى يجدها فى الاماكن الاخــرى ..

ــ الم يتوقف عن علاقاته مع النساء الاخريات ؟

ــ نفس العلاقات التى وصفتها لك ..

ــ وبالامس .. ؟

ــ نزل اليها لبضع دقائق بعد العشاء ، وقد عرفت ذلك لانه لم يستخدم المصعد عند نزوله . فهذه علامة اكيدة ..

ــ وكيف تاكدت من انه امضى معها بضع دقائق فقط ؟

ــ لانى سمعته وهو يخرج من هذه الشقة ويدق الجرس طالبـــــا المصـــعد ..

ــ اكنت تتجسسين عليـــه ؟ ..

ــ انك تفزعني باسئلتك يامسيو ميجريه .. نعم ، كنت اتجسس عليه كما افعل دائما لابسبب الغيرة ولكن .. كيف اوضح لك ذلكدون ان تتهمنى بالغرور ؟ ... اننى اعتبر واجبى حمايته ومعــــــرفة كل مايفعله وكل مكان يذهب اليه .. ان اتبعه بافكارى واوفر لهالرعاية حيثما كان ..

ــ كم كانت الساعة عندئذ ؟

ــ حوالى الثامنة ، بعد ان تناول عشاءه على عجل .. فقد كان يتحتم عليه ان يتوجه سريعا الى مستشفى كوشان حيث كان قد أجرى جراحة خطيرة بعد الظهر وظل ينتظر بشغف ، نتائجها . لذلك فقد رأى ان يتوجه الى المستشفى لكى يلمس بنفسه حالة المريض ..

ــ اذن فقد امضى بضع دقائق فى هذه الشــــقة ثم هبط بالمصعد ؟

ــ نعم ، وكانت ممرضته ، مدموازيل ديكو ، تنتظره فى اســــفل العمارة ، كما هى عادتها دائما عندما يعود الى المستشفى ليـــلا ..

وهى تقيم فى مكان قريب من هنا بشارع ديزاكاسيا .. وهى تصحبه دائما فى هذه الرحلة الليلية الى المستشفى ..

ــ هل هى ايضا .. ؟

وضغط ميجريه على الكلمات لكى يوضح المعنى الذى يرمى اليه .

ــ اجل ، هى ايضا من وقت لاخر .. هل يبدو لك هذا عجيبا ؟

ــ لا ..

ــ وبينما انا فى الشقة .. وصلت شقيقتى فى الثامنة والنصف..

ــ هل تسكن شقيقتك فى باريس ؟

ــ فى شارع ســـان ميشيل ، بالمنزل المواجه لمدرسة التعدين .. ان انطوانيت ــ وهذا هو اسمها ــ تكبرنى بخمس سنوات ، ولم تتزوج حتى الان ، وهى تعمل فى مكتبة البلدية ، وتعطيك صـــورة ناطقة لما يمكن ان تكون عليه المرأة العانس ..

ــ هل تعـــرف نوع الحياة التى يعيشها زوجك ؟

ــ الى حد ما .. ولكن ماعرفته كان كافيا لكى تكرهه وتحتقره ، انها متدينة وتراه شيطانا مريدا ..

ــ وكيف يعاملها .

ــ انه يتجاهلها ، وهى لاتجىء لزيارتى الا نادرا ، وفى الاوقات التى تتأكد فيها اننى وحدى فى البيت ..

ــ هل تتجنبه ؟

ــ بقدر ما تستطيع ..

ــ ولكنها بالامس ..

ــ أرى ان البوابة قد اخبرتك بكل شىء .. صحيح انهما تقابلا بالامس ، فلم أكن أتوقع عودة زوجى قبل منتصف الليل على أقل تقدير .. وكنت أنا وشقيقتى نتجاذب الحديث ..

ــ ماذا كان موضوع حديثكما ؟

ــ احاديث عامة لاتدور حول موضوع على وجه الخصوص ..

ــ هل جركما الحديث الى الكلام عن لولو ؟

ــ لاأعتقد ..

ــ ولكنك لست متأكدة .. ؟

ــ فى الحقيقة اننا تحادثنا فى هذا الموضوع .. ولا أدرى لماذا حـــاولت ان انفى ذلك عنـــد الاجـــابة على ســـؤالك .. وتحـــدثنا

ايضا عن والدينا ..

ــ هل هما على قيــد الحياة .. ؟

ــ أمنا ماتت ، ولكن أبانا لايزال يعيش فى فينيستير ، ولنا أيضا بعض الاخوات الاخريات هناك ، فنحن ست شقيقات وشقيقان .

ــ هل يقطن احد منهم فى باريس ؟

ــ انطوانيت وأنا فقط .. وفى الحادية عشرة والنصف ، أو قبل ذلك بقليل فوجئنا بسماع صوت الباب وهو يفتح ، واذا بزوجى داخل علينا وكان كل مافعله هو انه حيا شقيقتى بايماءة خفيفــة دون أن يتكلم ، وبعد ذلك مباشرة استأذنت انطوانيت وانصرفت

ــ الم ينزل زوجك بعد ذلك ؟

ــ كلا .. فقــد كان متعبا وقلقا بشـــأن المريض الذى أجرى له الجراحة بعد الظهر ، لان حالته كانت أسوأ مما توقع ..

ــ اعتقد أن زوجك معه مفتاح لشقة لويز .. ؟

ــ هــذا أمر طبيعى ..

ــ وفى اثناء الليل ، هل حدث أى شىء غير عــادى ، .. هل سمعت أنت أو شقيقتك أى ضوضاء . ؟

ــ فى مثل هذه العمارة العتيقة لايمكنك أن تسمع ما يجرى فى اى شقة بنفس الطابق .. فكيف اذا كانت الشقة فى طابق آخر ؟

ونظرت الى الساعة التى تحيط بمعصمها . ثم اتت بحركة تدل على نفاد الصبر .

ــ أرجو أن تعذرنى يا مسيو ميجريه ، فان الوقت مر سريعا .. ولابد أن أعود الان الى شقتى ، فقد يحضر جوان فى أية لحظة . هل لديك اية أسئلة أخرى .. ؟

ــ ليس عندى مزيد من الاسئلة فى الوقت الحالى ..

ــ هل تعتقد أن من الممكن تجنب استجوابه ؟

ــ من غير الممكن أن أعدك بشىء .. ولكنى لن اضطر الى اقلاق زوجك الا اذا وجدت أن الضرورة تحتم هذا الاقلاق .

ــ وهل تشعر الان بوجود هذه الضرورة ؟

ــ الان .. لا ..

ونهضت ، ومدت يدها مصافحة فى خشونة أحس معها ميجريه كانه يصافح رجلا ، وكانت عيناها لاتزالان فى عينيه وهى تقول له :

ـ شكرا يامسيو ميجريه ..

وعندما استدارت لتخرج وقع بصرها على صندوق الاحذية ومجموعة الصور .. ولكن المفتش لم يستطع ان يرى الانطباع الذى ارتسم على وجهها .

ـ انني ساكون في البيت غدا طوال اليوم .. وتستطيع ان تجيء في أى وقت لايكون زوجي فيه موجودا .. ومرة اخيرة ، اتمشـــم الا تسيء فهمي .. ان ما اطلبه منك هو مجـــرد رجاء وليس امرا ..

ـ تاكدى انى فهمت طلبك من أول مرة ..

وعادت تقول :

ـ متشـــكرة ..

وهكذا خرجت ، واغلقت خلفها كلا من باب حجرة الجلوس وباب الشقة .. بينما اخذ لوكاس يحملق في وجه المفتش وقد بدا عليه كما لوكانت مطرقة قد دقت على راسه ، فقد كان خائفا من التفوه باية كلمة خشية ان يقول كلاما فارغا ، ففضل السكوت .. ومضى يراقب خفقات الدخان المتصاعد من غليون ميجريه على امل أن يتمكن من ان يطالع فيها نوع الافكار التي تدور في راس حضرة المفتش .

الفصل الرابع

في طريق العودة الى مبنى المحافظة جلس ميجريه في سيارة البوليس واسند ظهره الى الخلف ، ومضت به السيارة تذرع الشوارع وهو مستغرق في افكاره . والغريب انه لم يكن يفكر في البروفسور جوان ولا حتى في زوجته . وانما كان تفكيره منصبا — بطريقة تكاد تكون لاشعورية — على لويز فيلون . ولم ينس قبل مغادرته الشقة أن يحشر داخل جيوب محفظته صورها التى عثر لوكاس عليها في صندوق الاحذية .

وعلى الرغم من ان معظم هذه الصور التقطت لها وهى في اماكن اللهو والمرح والاستمتاع بالحياة .. فلم يكن يبدو على وجهها اى احساس بالسعادة . ولقد عرف ميجريه — بحكم عمله — الكثيرات من مثيلاتها اللاتى ولدن في نفس البيئة ، ومررن بنفس الطفولة ، وسلكن نفس هذا النوع من الحياة .. كانت الفتاة منهن تتميز غالبا برغبة جامحة في المرح الذى يبلغ حد الصخب والضجيج ، ثم ينقلب في لحظة واحدة الى بكاء صامت ودموع خرساء وثورة وتمرد ... في حين ان بعض الاخريات — ولاسيما أولئك اللاتى تقدم بهن العمر من مثيلات ديزيريه برو — كانت الواحدة منهن تكتسب صلابة وثباتا وجراة تصل الى حد الوقاحة وميلا فطريا الى السخرية بكل شىء ..

اما لولو فلم تكن من هذا النمط ولا ذاك ، فان من العسير استكشاف المعنى المختبىء وراء التعبير البادى في كل صورها . ذلك التعبير الذى لابد أن يكون قد ظل يكسو وجهها طوال حياتها .. لم يكن تعبيرا عن التجهم أو الاكتئاب أو الضيق بالحياة وانما كان عبوسا حزينا يتجلى في نظرة عينيها التى تماثل تماما نظرة تلميذة صغيرة نبذتها رفيقاتها فوقفت في مكان منعزل من فناء المدرسة ترافب ، عن كثب ، هؤلاء الصديقات والرفيقات وهن يلعبن ويمرحن .

واحس ميجريه انها تتمتع بقدر من الجاذبية ، ولكن كان من العسير عليه أن يستشف سر تلك الجاذبية أو يدرك مصدرها .. هل هو جمالها ؟ هل هو دقة قسمات وجهها ؟ وتذكر انه كان يستشعر دائما هذا النوع من الجاذبية عند استجواب مثيلاتها مما كان يدفعه — رغما عنه — الى الترفق بهن ومعاملتهن ، دون غيرهن من الناس بمزيد من الرقة واللين والاشفاق .

فانهن — فى الاغلب — فتيات صغيرات لم تنطفىء فيهن بعد جذوة الصبا المتفتح .. وأية فتاة منهن ، مهما ناهزت من العمر ، تبدو وكأنها لم تتخط مرحلة الطفولة المشرقة ، كما أن أية فتاة منهن — مهما بلغت من صغر السن — لابد أن تكون قد عاشت حياة عريضة حافلة واختزنت الكثير من الذكريات المريرة خلف لفتات عينيها اللتين خبا بريقهما وبين ثنيات وجهها الذى اكتسب جمالا سقيما كجمـــال الزهرة التى توشك على الذبول أو التى ذوت نصف أوراقها فعلا .

وتخيلها ميجريه وهى فى احدى غرف الفندق الذى ينزل به بييرو فى شارع ريكيه او فى أية غرفة أخرى فى حى باربيه ، تضيع أيامها مستلقية على الفراش تنام حينا وتقرأ حينا وتنظر حينا آخر من خلال النوافذ ذات الالواح الزجاجية المصبوغة باللون الاخضر . وتخيلها مرة ثانية وهى تجلس الساعات فى احدى مقاهى ذلك الحى الفقير تراقب بييرو وهو منهمك فى لعب الورق مع ثلة من اصدقائه .. ثم تخيلها وهى تراقص بعض الغرباء فى ملهى رخيص مقام داخل بدروم ، وتأمل صـــورتها وهى تخاصر هؤلاء الغرباء وتميل معهم على انغام الموسيقى بينما بدا عليها الوقار وكأنها تقمصت شخصية أخرى . وتخيلها مرة رابعة وهى تقف على ناصية احد الشوارع مطأطئة الرأس تبحث بعينيها على الارصفة عن خيال رجل قادم ، ولكنها لاتقوى على النظر الى اكثر من خياله ولاتستطيع أن تبتسم وهو يمر بها .. ثم تسرع الخطى لكى تسبقه وتتقدمه الى صعود سلالم بيت من تلك البيوت العامة وتذكر اسمها ، بصوت خافت ، لسيدة الدار الجالسة فى المدخل .

ومنذ اكثر من سنة انتقلت لكى تعيش فى تلك العمارة الفخمة بشارع كارنو فى شقة أوسع كثيرا مما كانت تتمنى ، وافخر كثيرا مما كانت تأمل .. وهنا شق على خيال ميجريه أن يحيط بصورتها وهى فى حضرة رجل مثل البروفسور جوان .

× × ×

عندما وصل ميجريه الى مبنى المحافظة كانت معظم الاضواء قد اطفئت ، وفي تباطؤ مضى يصعد السلم الذى حملت جميع درجـــاته اثار اقدام مختلفة عن الاحذية المبتلة بماء المطر . ثم فتح باب غرفته حيث كان جانفييه لايزال في انتظاره . وبدأ التناقض واضحا بين برودة الجو في الخارج والدفء الذى يغمر المبنى من الداخل ، فقد كان جو الغرفة ساخنا الى درجة أن ميجريه أحس — عند دخوله — بالدم يندفع الى شرايين راسه .

— هل من جديد يا جانفييه ؟

كانت جميع اجهزة البوليس قد جنحت للبحث عن بيير ايرود ، ففي محطات السكك الحديدية اخذ رخبرو البوليس يستوقفون كل مسافر يلمحون في وجهه اية مشابهة للاوصاف والصور التى يحملونها . ولم يقتصر الامر على ذلك بل امتد نشاط البوليس الى مطارات باريس أيضا ، وحتى فرقة تفتيش البيوت العامة هبت للمشاركة في عملية البحث فأخذت تجوب جميع الفنادق والغرف المفروشة فى حى «الاشابيل»

ومنذ الظهيرة والمخبر لابوانت لايكف عن الدق بقدميه في شارع ريكيه هائما حائما حول فندق « دوفار » لعل وعسى يهتـــدى الى الامساك بذلك الموسيقى الذى دوخ العشرات من رجال البوليس ، وكان الشارع — منذ هبط عليه الليل — أخذ يغص بمجموعات كبيرة من الفتيات الجائلات المتربصات .

أما المفتش جانين ، الذى أخذ على عاتقه مهمة البحث الكبير ، فلم يكن يتوقف عن طلب المزيد من البيانات والتحريات .. ومع كل ساعة تمر كان رجال البوليس يزدادون اقتناعا بأنهم يبحثون عن ابرة وسط كومة من القش .. فان هـــذا الحى الذى يقع في الركن الشمالى الشرقى من باريس ، هو بمثابة غابة من الهياكل الحجرية يستطيع أى رجل أن يختبىء بينها شهورا . اما اكتشاف الجرائم التى ترتكب فيه فأمر موكول — في الغالب — الى الصدفة ، والناس هناك من الرجال والنساء يعيشون على هامش القانون في عالم يجدون فيه من فرص الاختفاء والايواء مايزيد على مايطمعون فيه . وكل مايستطيعه البوليس — عادة — هو أن يلقى بالشباك بين الحين والاخر على أمل أن يسعده الحظ ، مرة بين عشرات المرات ، بالعثور على شخص مطلوب القبض عليه منذ شهور وربما منـــذ سنوات ، ولكن معظم الحالات التى يوفق فيها رجـــال الامن الى

الامساك بمجرمى ذلك الحى تعتمد على مكالمة تليفونية يتطوع فيها شخص ما بدافع الحقد الشخصى ، او غانية ، بدافع الغيرة ، الى الابلاغ عن المكان الذى يختبىء فيه المجرم المطلوب .

لذلك فلم يكن هناك جديد سوى ماذكره جانفييه من أن خبير الطلقات النارية اتصل بمكتب ميجريه اثناء تغيبه .

ـ وماذا قال ؟

ـ قال انه سيبعث اليك صباح الغد بتقريره عن الحادث ، وذكر ان الرصاصة التى قتلت لويز فيلون اطلقت من سلاح اتوماتيكى عيار ٥ر٦ ملليمتر ..

ورفع ميجريه حاجبيه متعجبا .. فان خبراء الجريمة يطلقون على هذا النوع من السلاح اسم « مسدس الهواة » لان من ينوى القتل يستخدم ، عادة ، سلاحا من طراز اكبر واقوى اثرا .

ـ الدكتور بول تكلم ايضا وهو يطلب منك الاتصال به ..

ونظر جانفييه الى ساعة المكتب موجدها تجاوزت السابعة والربع فاستأنف قائلا :

ـ لقد ذكر لى انه فى خلال الفترة مابين السابعة والسابعة والنصف سيكون موجودا فى مطعم لابيروز ، حيث يتناول عشاءه .

واتصل ميجريه بالمطعم وبعد بضع دقائق كان الدكتور يتحدث اليه .

ـ لقد قمت بتشريح جثة الفتاة التى ارسلتها لى ، واذا لم اكن مخطئا فانى اعتقد انى رأيتها من قبل .

ـ ان الفتاة اعتقلت عدة مرات قبل مصرعها .

كان من المؤكد أن الدكتور لم يتعرف على لولو عن طريق وجهها الذى تشوه بفعل الطلقة القاتلة ، وانما عن طريق جسمها .

ـ مما لاشك فيه ان الرصاصة اطلقت عليها من مسافة قريبة جدا فهذا الامر لايحتاج الكشف عنه الى خبير .. ولكنى استطيع ان اقدر هذه المسافة بانها تتراوح ما بين ٣٠ و٣٥ سنتيمترا ، ولايمكن ان تكون أكثر من ذلك .

ـ اعتقد أن الوفاة حدثت بعد الاصابة مباشرة ؟

ـ الوفاة حدثت فى الحال تقريبا .. ومازالت المعدة تحتوى على اطعمة لم تهضم بعد ، من بينها سردين ..

وتذكر ميجريه انه شاهد فى صفيحة القمامة بالمطبخ علبة فارغة من علب السردين المحفوظ ..

— لقد شربت القتيلة ايضا نبيذا ابيض مع العشاء .. هل يهمك ذلك ؟

ولم يدر ميجريه كيف يجيب .. فان من المتعذر ، فى هذه المرحلة من التحقيق ، معرفة الاشياء الصغيرة التى قد تظهر اهميتها فيما بعـــد ..

— وقد اكتشفت شيئا آخر ربما أدهشك .. هل تعرف أن الفتـــاة حامل ؟

ودهش ميجريه فعلا الى درجة انه سكت لحظة قبل ان يستانف اسئلته :

— فى كم شهر ؟

— حمل حديث .. منذ ستة اسابيع فقط ، واغلب الظن انها لم تكن تعرف . لان المراة لاتعرف عادة انها حامل الا بعد ..

— ولكنك لاتستطيع أن تؤكد انها لم تكن تعرف ..

— الشىء الذى استطيع أن أؤكده هو انها لم تكن تعرف منـــذ مدة طويلة ..

— هل هذا رايك النهـــائى ؟

— قطعا .. وستطلع بنفسك على التفاصيل الفنية فى تقريرى ..

ووضع ميجريه السماعة وتلفت الى جانفييه الذى كان واقفا بالقرب منه فى انتظار انتهاء المكالمة ..

— لقد كانت لويز حاملا ..

ولكن جانفييه الذى لم يكن قد الم بالموضوع من جميع نواحيه .. ظل صامتا دون أن يبدو عليه اى تاثر ، ثم اتجه بالحديث الى ناحية اخرى متسائلا ..

— ماذا سنصنع مع المخبر لابوانت ؟

— لابوانت .. آه ، اظن اننا يجب ان نرسل مخبرا آخر ليحل محله ..

— هل نرسل لوبير ؟ انه لايقوم باى عمل محدد الان ؟

— ولوكاس ايضا ، يجب أن يحل محله مخبر آخر . ان بقاءه هنـــاك قد يكون بلا جدوى .. ولكنى افضل ابقاء الحراسة على الشقة .

— اننى على استعداد لان اذهب بنفسى لكى أحل محله وان اقضى الليلة فى الشقة حتى الصباح ..

— لامانع عندى ..

والقى ميجريه نظرة على الطبعات الاخيرة من صحف المساء . ولم تكن قد ظهرت فيها اية صورة لبيرو .. وغلب على ظنه أن هذه الصورة وصلت متأخرة جدا الى محررى الاخبار فى تلك الصحف ، مما تعذر معه نشرها ، ولكن الصحف استطاعت ان تغطى بعض التفصيلات :

« علمنا ان البوليس يواصل البحث عنعشيق القتيلة لويز فيلون، وهو موسيقى يعمل فى صالة رقص . واسمه بييرابرود ، وشهرته بيرو . وقد كان آخر من زار القتيلة ليلة أمس .

وقد سبق اتهام بييرابرود قبل ذلك فى عدة حوادث ، وتمكن الان منالاختفاء ، والمعتقد انهمختبىء فىحى «الاشابيل» الذى يعرفه جيدا»

هز ميجريه كتفيه ، ونهض من مقعده ، ثم توقف برهة قبل أن يتجه الى الباب وعندئذ سأله جانفييه :

— فى حالة حدوث أى تطور جديد .. هل اتصل بك فى البيت ؟

— نعم ..

فلم يكن ثمة داع لبقائه فى مكتبه ، واستقل سيارة عائدا الى بيته ، وكالعادة فتحت مدام ميجريه الباب قبل أن يدير المفتاح داخل « الكالون » ولم تقل انه تأخر . وكان العشاء معدا فوق المائدة .

— هل اصبت ببرد ؟

— لااعتقد ..

— ينبغى أن نغير حذاءك .

— قدماى ليستا مبتلتين .

فان ميجريه لم يكن قد سار على قدميه فى الشوارع المبتلة ، وانما كان يتنقل بسيارة البوليس أو التاكسى طوال اليوم .. ورأى على كرسى بغرفة المائدة نسخة من نفس الصحيفة التى طالعها منذ دقائق فى غرفة مكتبه ، لابد اذن أن زوجته المت بالحادث ، ولعلها قدا اكتفت بما قرأته ، فلم توجه اليزوجها اية اسئلةاو استفسارات

ولاحظت انه لم يخلع رباط عنقه كما هى عادته ، عندما يجلس للعشاء . فادركت انه يعتزم الخروج مرة ثانية . وعندما انتهى العشاء تابعته بعينيها وهو يفتح البوفيه لكى يصب لنفسه كوبا من « البروتيل » .

— هل أنت مصمم على الخروج ؟

— لست متأكدا تماما حتى الان .

والحقيقة انه كان يتوقع مكالمة تليفونية من البروفسور جوان ، ولم يكن هناك سبب معقول يدعوه الى مثل هذا التوقع ، ولكنه كان يتساءل فيما بينه وبين نفسه . الم يعرف جوان بعد ان البوليس يريد استجوابه ، لاشك انه الان – بعد ان عرف الكثيرون حقيقة علاقته مع لويز فيلون – يحس بالدهشة لان المحققين فى الحادث لم يحاولوا الاتصال به أو الحصول على اية معلومات منه .. وربما تطوع هو بالاتصال والادلاء بما لديه من أقوال .

واتجه ميجريه الى التليفون وطلب شقة لويز فيلون .. فرد عليه جانفييه الذى كان قد تسلم نوبته فى حراسة الشقة وسأل :

– اى اخبار جديدة ؟

– لاجديد ياسيدى المفتش .. لقد ابلغت زوجتى اننى لن أعود الى البيت قبل الصباح ، وأنا مرتاح جدا لمهمتى هنا ، وسأقضى الليلة على هذه الكنبة المريحة .

– هل تعرف ماذا كان البروفسور عاد من الخارج ؟

– ابلغنى لوكاس انه سمعه وهو يصعد الى شقته فى السابعة والنصف ، ولم اسمعه يخرج منذ أن وصلت الى هنا .

– أرجو لك ليلة سعيدة .

x x x

هل يمكن ان يكون البروفسور جوان قد خمن ان زوجته تحدثت الى ميجريه ؟ وهل استطاعت الزوجة ان تخفى عنه هـذا الحديث الذى دار فى شقة لويز فيلون ؟ ما هى الموضـوعات التى تناولاها بالحديث فيما بينهما اثناء تناولهما العشاء معا على انفراد ؟ وبعد ان انتهى العشاء هل انسحب البروفسور الى عيـادته لكى يخلو بنفسه لبعض الوقت ؟

وصب ميجريه كوبا ثانيا من ((البرونيل)) تجرعه دفعة واحدة وهو واقف فى مواجهة البوفيه ، ثم خطا نحو شماعة المعاطف ومد يده لكى يأخذ معطفه الثقيل .

– الافضل ان تأخذ معك الكوفية .. هل ستتأخر كثيرا ؟

– ساعة او ساعتين ..

واضطر الى السير على قدميه حتى بلغ شارع فولتير حيث امكنه العثور على تاكسى وقال لسائق التاكسى :

– صالة جريلو ..

كانت الشوارع قد خلت تقريبا من الحياة فيما عدا المناطق المحيطة

بمحطتي سكة حديد الشرق والشمال ، وهذه المحطة الاخيرة تذكر ميجريه دائما بسنوات عمله الاولى فى خدمة البوليس ..

وفى شارع « لاشابيل » اسفل خط المترو الممتد فوق سطح الارض ، كانت الاشباح المعتادة تتجول فى نفس الاماكن التى اعتادت التسكع فيها كل ليلة . واذا كان من السهل على اى شخص ان يفهم ما الذى تهدف اليه الفتيات من تجوالهن ، وما الذى تنتظره كل منهن .. فان من العسير على اى شخص ان يفهم الاسباب التى تدعو بعض الرجال الى التلطع على جانبى الشارع وسط الظلام والبرد القارس دون القيام باى عمل على الاطلاق .. فلم يكونوا جميعا يبحثون عن رفقة مؤقتة ، كما انهم لم يكونوا جميعا ينتظرون مواعيد محددة للقاء ما . كانوا رجالا من مختلف الاعمار والاجناس خرجوا جميعا مع المساء ، كما تخرج الفئران من جحورها ، لكى يظهروا الجرأة والجسارة وهم على أعتاب الحى الذى يقطنونه .

وكانت اللافتة المضاءة بالنيون فوق مدخل صالة جريلو ، تلقى ضوءا بنفسجيا على شريط من الرصيف ، وقبل ان ينزل ميجريه من التاكسى استطاعت اذناه ان تلتقط اصوات موسيقى مشوشة ، او بالاحرى اصوات ضوضاء متنافرة تغطى على الانغام الخافتة .

وعلى مسافة قريبة وتحت عمود مصباح كهربائى ، كان يقف اثنان من رجال البوليس بالملابس الرسمية فى نوبة خدمة .. وعند باب الصالة وقف رجل فى مثل قامة الاقزام ، ويبدو انه كان يستنشق الهواء النقى بعد ان سئم هواء الصالة الملىء بالابخرة والدخان ، ولكنه لم يلبث ان تدحرج الى داخل الصالة عندما رأى ميجريه ينزل من التاكسى .

وقبل ان ياخذ ميجريه سمته الى المدخل شاهد رجلين يندفعان خارجين وهما يتدافعان بالمناكب ، ومرا به فى لحظة خاطفة ثم تفرقا الى الاعماق المظلمة من الحى .. وعلى مائدة البار كان الجالسون يحولون رؤوسهم الى الجهة الاخرى عندما يمر بهم ميجريه على امل الا يتيحوا له فرصة التعرف عليهم ، ثم يعودون الى الاعتدال ، واستئناف الشراب بعد ان يبتعد عنهم ، وكان ميجريه قد تعود مثل تلك المناظر فى مثل هذه الاماكن .

واقبل صاحب الصالة ذو القامة المدكوكة والجثة الضخمة قائلا :

ــ اذا كان بيير هو الشخص الذى تبحث عنه يا جناب المفتش ..

وكان يتعمد الكلام بصوت مرتفع ويضغط على كلمتي « جناب المفتش » حتى ينبه جميع الموجودين في الصالة .. وكانت الصالة سابحة وسط ضباب من الاضواء العليلة ذات اللون « الموف » التي تنتشر في الركن المخصص للرقص ، وتتبدد في سائر انحاء الصالة الاخرى حيث تحيل جميع الموجودين الى اشباح ، ومن ثم يصعب التفرقة بين الزبائن الجالسين الى الموائد والزبائن القابعين داخل اية مقصورة من المقاصير المترامية في الخلف .

ومضت الفرقة تعزف ، وقام بعض الزبائن يرقصون ازواجا .. ولكن الضوضاء توقفت تماما ، وتحولت جميع الاعين نحو المكان الذي يقف فيه ميجريه وهو يبحث حواليه عن مائدة خالية ..

ــ هل ترغب في الجلوس في مكان مريح يا سيدي .. ؟

ــ هل يوجد مكان خال ؟

ــ تفضل معي يا جناب المفتش ..

وسار صاحب الصالة بجانب ميجريه وسط الموائد المغلفة بالظلام ، كانه بائع متجول يحاول اغراء زبون « لقطة » على شراء « تحفة » زهيدة الثمن ..

ــ انا في خدمتك يا سيدي .. هل تود ان تشرب شيئا ؟

ــ مارك ..

وتلفت صاحب الصالة الى « البارمان » صائحا :

ــ « مارك دوبل » ممتاز لجناب المفتش ميجريه .

وتطلع ميجريه الى الشرفة المعلقة بالحائط ، فوجد افراد الفرقة الاربعة منهمكين في العزف ، وكل منهم يرتدي « بنطلونا » اسود وقميصا حريريا ذا لون احمر داكن له اكمام طويلة منسابة ، وكانوا قد تمكنوا من العثور على عازف آخر بدلا من بيبرو ، فقد كان بينهم شخص ما يعزف على الساكسفون ويجلس بجانب عازف الاكورديون .

ــ هل تريد التحدث معي يا سيدي ؟

وهز ميجريه راسه الى اليمين ثم الى اليسار ، واشار الى الشرفة المعلقة ..

ــ تريد احدا من الفرقة ؟

ــ اريد اكثر افراد الفرقة معرفة ببيبرو ..

ــ اذن فالشخص المطلوب هو لوي عازف الاكورديون وقائد الفرقة في الوقت ذاته . هل تستطيع الانتظار ، يا سيدي ، لمدة ربع ساعة

الى ان تحين الاستراحة . وعندئذ ياتى لوى اليك على الفور ؟ اظن انك لست مستعجلا ؟

وقام خمسة او ستة اشخاص من بينهم واحد ممن كانوا مشتركين فى الرقص ، وغادروا القاعة ريثما يستنشقون بعض الهواء النقى ونظروا الى ميجريه بفضول وهم يمرون به ولكنه لم يعرهم اى انتباه ، بينما اخذ الباقون يعودون رويدا الى احاديثهم وضوضائهم .

واستطاع ميجريه ان يتعرف على عدد من الفتيات .. ولكنهن لم يجئن لالتقاط الزبائن ، وانما لمجرد الاستمتاع بالرقص . فان مثل واحدة منهن ــ فى الغالب ــ كانت تراقص صديقها الدائم . وكانت احيانا تغمض عينيها وتستسلم النشوة حتى يتخدر جسمها .. واحيانا اخرى تسند خدها الى خد زميلها ويتلامس جسداهما ولكن بغير التصاق .. وعلى وجه العموم فقد كانت جميع الفتيات مستغرقات فى الرقص الذى يضعنه فى مصاف الشعائر المقدسة ..

وكان بين الفتيات عدد من العاملات فى المحال التجارية والكاتبات على الالة الكاتبة ممن لم يكن يدفعهن الى ارتياد هذه الصالة اكثر من مجرد الاستماع الى الموسيقى والرقص على انغامها .. ولم يكن الجالسون الى الموائد او داخل المقاصير يستقرون فى مقاعدهم طويلا فهم ــ ان لم يقوموا للرقص ــ قاموا للتجول خارج الصالة .

وخلافا لما هو الحال فى معظم النوادى الليلية لم تكن هذه الصالة تحفل بالمشاهد الغرامية العنيفة او جلسات الحب الفاضحة .. وفى باريس كلها لم يكن ليوجد اكثر من صالتين او ثلاث صالات اخرى على هذا النمط ، لا يؤمها سوى الزبائن الدائمين الذين يستهلكون من عصير الليمون والمياه الغازية اكثر كثيرا مما يستهلكون من المشروبات الروحية .

وفى اثناء العزف كان افراد الفرقة الاربعة يوجهون ، من شرفتهم المعلقة ، نظرات الى اسفل تلتقى عند ميجريه . ولكن تعبيرات وجوههم كانت مبهمة .. تحمل تجسيدا لافكار من العسير التكهن بها . وكان عازف الاكورديون شابا وسيما فى نحو الثلاثين مائلا الى السمرة له ملامح تشبه وجوه نجوم السينما .. وعلى جانبى وجهه ترك شعر لحيته ينمو ــ على الطريقة الاسبانية ــ لكى يصبح امتدادا لشعر راسه يغطى صدغيه .

وتوقف العزف قليلا .. ولكن جمهور الراقصين ظلوا منتظرين فى

اماكنهم من حلبة الرقص فى حين ظهر بين الموائد « جرسون » يحمل حقيبة ضخمة فوق مريلته ويجمع الحساب من الزبائن .

وكانت الرقصـــة التالية « تانجو » وتغيرت الاضواء من اللون « الموف » الى الاحمـــر الذى بهتت تحته قمصـــــان افراد الفرقة ومساحيق وجوه الفتيات .

وبعد دقائق وضع افراد الفرقة آلاتهم جانبا . وتقدم صــاحب الصالة الى اسفل الشرفة المعلقة ، وتفوه بكلمات غير مســـموعة الى عازف الاكورديون المسمى لوى ، ونظر لوى مرة اخرى الى مائدة ميجريه ، ثم شرع فى النزول على درجات الســـلم المثبتة فى الحائط . وان هى الا لحظات حتى اصبح وجها لوجه امام ميجريه .

ــ تستطيع ان تجلس ..

ــ اننا سنستأنف العزف بعد عشر دقائق ..

ــ مدة كافية جدا .. ماذا تود ان تشرب ؟

ــ لا شىء ..

واعقب ذلك فترة صمت .. كان الجالسون الى الموائد الاخرى يراقبونهما باهتمام ، وكان البار مزدحما بالجالسين ومعظمهم من الرجال ، وفى بعض المقاصير انفردت الفتيات بانفسهن حيث انهمكت كل واحدة فى اصلاح زينتها .

وكان لوى هو البادىء بالخوض فى الموضوع ، فقال فى مرارة :

ــ لقد اخطأت اختيار الشجرة التى تريد ان تنزع لحاءها .

ــ هل تعنى بيرو .. ؟

ــ ان بيرو لم يقتل لولو .. ولكنها نفس الحكاية القديمة ..

ــ لماذا اختفى اذن ؟

ــ لانه يعلم ان التهمـــة ستلصـــق به ، وليس من المعقول ان يسعى بقدميه الى الاعتقال والسجن .

ــ هل هو صديقك ؟

ــ صديقى نعم ، وربما كنت اعرفه اكثر من اى شخص آخر .

ــ وربما كنت تعرف اين هو الان ؟

ــ لو عرفت لما قلت !

ــ اجب على سؤالى : اتعرف ام لا تعرف ؟

ــ لا اعرف ، ولم تصلنى اى اخبار عنه منذ اغلقنا الصالة ليلة امس ..

واهتز صوت لوى بغضب مكبوت وهو يقول :

— هل قرأت الصحف .. هل رأيت كيف سارعت كلها الى توجيه الاتهام الى بيرو دون غيره ؟ .. انهم يتصورون ان اى شخص يعمل عازفا فى فرقة موسيقية لابد وان يكون « عصبجيا » .. كل الناس يعتقدون ذلك ، أو ربما كنت انت أيضا تفكر هذا التفكير ..

— كلا ..

— هل ترى زميلى هذا البدين الذى يدق على الطبلة ! .. قد لا تصدقنى اذا قلت لك انه حاصل على شهادة « الباشو » ، وانه درس بالجامعة ايضا .. انه من اسرة متيسرة ، وهو لا يعمل هنا الا لانه مغرم بالموسيقى ، وفى الاسبوع القادم سيتزوج من فتاة تدرس الطب . انا ايضا متزوج — ان كان هذا يعنيك — ولى طفلان وزوجتى على وشك انجاب طفل ثالث ، وانا اعيش مع اسرتى فى شقة من اربع غرف فى شارع فولتير ..

كان ميجريه يعرف ان كل ذلك صحيح .. فهو بحكم كونه مفتش بوليس — يعرف من حياة هذا النمط من الناس مثل ما يعرف لوى ، او ربما اكثر مما يعرف لوى ، وان كان لوى يجهل هذه الحقيقة .

وساله ميجريه بصوت هادىء النبرات :

— لماذا لم يتزوج بيرو .. ؟

— هذه حكاية اخرى ..

— هل كان السبب هو عدم رغبة لولو فى الاقتران به .. ؟

— لم اقل ذلك ! ..

— هل تعلم ان بيرو اعتقل منذ بضعة اعوام بتهمة التكسب بوسائل غير اخلاقية ؟ ..

— اعلم ..

— حسنا ؟ ..

— مرة ثانية اقول لك ان هذه حكاية اخرى ..

— اية حكاية ؟ ..

— انك لن تفهم .. ! .. اولا وقبل كل شىء اود ان اقول لك ان بيرو ولد لقيطا ، وتربى فى ملجأ عام .. هل تهمك مثل هذه المعلومات ؟

— بالتاكيد .

— وعندما بلغ السادسة عشرة لفظه الملجا .. القى به فى

الشارع ، ووجد نفسه منبوذا وسط الناس ، وبذل كل ما استطاع من جهد لكي يعيش .. ولو كنت انا مكانه لفعلت اشياء اسوأ كثيرا مما فعل . فانا — كمعظم الاخرين — لي والدان شرعيان نشأت بينهما وما زلت اجد منهما الرعاية حتى الان ..

كان لوى يحس بالزهو لانه ابن شرعي ولكنه — في الوقت ذاته — كان يستشعر الحاجة الى الدفاع عن اولئك الذين يولدون على الارصفة ويقضون طفولتهم في ملاجيء اللقطاء ، ولم يتمالك ميجريه نفسه من ان يبتسم في رثاء .

— علام تبتسم ؟

— لانى اعرف كل ذلك ..

— لو كنت تعرف بييرو حقا لما اطلقت جميع رجالك في اعقابه ..

— كيف علمت ان البوليس يبحث عنه ؟

— ان الصحف لا تخترع الكلام الذى تنشره ، كما ان اى شخص يستطيع ان يلمس المطاردة الرهيبة التي تجرى الان على نطاق حي « لا شابيل » كله .. فان رجال البوليس الذين يقومون بتفتيش الفنادق والبيوت فضلا عن المخبرين الذين تكشف عنهم وجوههم الغريبة ونظراتهم المريبة .. كل هؤلاء لا يمكن ان ياتوا الى هذا الحي لمجرد العبث ..

لم يكن لوى يحب البوليس ، ولم يكن يحاول اخفاء شعوره هذا .. واستمر يقول :

— في وقت من الاوقات اضطر بييرو الى اتباع وسائل غير شريفة لكي يعيش ..

— وهل كف الان عن اتباع هذه الوسائل ؟ ..

— لن تصدقنى اذا قلت لك انه خجول رقيق الاحساس ، ولكنها الحقيقة !

— هل كان يحب لولو حقا ؟ ..

— نعم ..

— هل تعرف عليها عندما كانت تعيش من التسكع في الشوارع ؟

— نعم ..

— وتركها تستمر في حياة الشوارع ؟

— وما الذى كان يمكن ان يفعله غير ذلك ؟ ..

— ثم سمح لها بان تتخذ من رجل آخر عشيقا دائما لها يتكفل

بنفقاتها .. ؟

ــ هنا الاختلاف !

ــ لماذا ؟ ..

ــ لست اظنك بحاجة الى معرفة قيمة الاجر التافه الذى يتقاضاه من هذه الصالة .. هل تتصور انه يستطيع ، بهذا الاجر ، ان يتحمل نفقات اسرة .. ؟

ــ انك تتحمل نفقات اسرتك ، اليس كذلك ؟

ــ لقد اخطأت التقدير مرة اخرى .. ان زوجتى تعمل « خياطة » ، وهى تشتغل عشر ساعات يوميا بالاضافة الى تحمل اعباء البيت وتربية الاطفال .. انك لن تفهمنى لانك لم تولد فى هذا الحى ولم تعش بين اهله ولم تحس آلامهم .. ولو كنت قد عرفت احدا منهم .

وتوقف عن الكلام فجأة بعد ان غلبه التأثر ، ثم نظر فى ساعته قائلا :

ــ لم يبق غير اربع دقائق ..

وكان باقى افراد الفرقة يراقبون زميلهم من اعلى وقد ارتسمت على وجوههم تعبيرات لا معنى لها .

ــ الشىء الوحيد الذى اريد ان اؤكده لك هو ان بييرو لم يقتل لولو .. واذا كان قد عجز عن انتشالها من بين مخالب ذلك البروفسور ..

ــ اذن فأنت تعرف من هو عشيق لولو الدائم .. ؟

ــ وماذا لو كنت اعرف ؟ !

ــ هل بييرو هو الذى اخبرك ؟

ــ الجميع يعرفون العلاقة بين لولو والبروفسور منذ ان وقعت تحت تأثيره فى المستشفى ..

ــ كيف كان موقف بييرو من هذه العلاقة ؟

ــ كان يرى ان الفرصة قد واتت لولو التخلص الى الابد من حياتها الماضية ولبدء حياة جديدة سهلة تتطمئن فيها الى مستقبلها .. ولذلك فهو لم يعترض !

ــ ولولو ؟

ــ لابد ان لديها اسبابها الخاصة ..

ــ وما هى هذه الاسباب ؟

ــ هذا ليس من شأنى !

ــ من اى نوع من الفتيات كانت لولو ؟

ونظر لوى حواليه وهو يتفحص الفتيات الجالســات الى الموائد المجاورة ، وظهر على وجهه تعبير اراد ان يشير به الى ان لولو لم تكن تختلف عن الاخريات ، ثم قال وكأنه يفسر لغزا غامضا :

ــ لقد كانت تعيسة طوال حياتها ، ولم تعرف السعادة حتى وهى هنــاك ..

وكان من الواضح انه استخدم كلمة « هناك » للاشارة الى شارع كارنو الذى لم يكن يرغب فى نطق اسمه ، فقد كان هذا الشــارع يبدو لاهالى حى « لاشابيل » وكأنه عالم آخر !

ــ وبين الحين والاخر كانت تأتى الى هنا لكى ترقص ..

ــ هل كان يبدو عليها التعاسة ؟

وهز لوى كتفيــه كأن الســؤال لا يعنيه فى شىء .. فان كلمة التعاسة قد فقدت معناها فى حى « لاشابيل » ، وليس هناك فتــاة واحــدة ، من بين عشرات الفتيــات اللاتى تزخر بهن الصــالة ، تستشعر السعادة الحقيقية ، وحتى عاملات المحلات التجــارية كن يرقصن وعلى محياهن مظاهر الاكتئاب والانقباض ، ويطلبن عــزف المقطوعات الموسيقية التى تبعث على الشجن .

ــ لم تبق لدينا اكثر من دقيقة واحدة ، وبعدها سيكون عليك ان تنتظر نصف ساعة اخرى ان اردت الحصــول منى على مزيد من المعلومات ..

ــ هل قال لك بيرو اى شىء عند عودته من شارع كارنو ليلة مس ؟

ــ لقد اعتذر ، وذكر ان هناك اخبارا هامة .. ولكنه لم يوضح نوع هذه الاخبار ..

ــ هل كان يبدو مكتئبا ؟

ــ انه دائما مكتئب ..

ــ هل كنت تعرف ان لولو حامل .. ؟

وعندئذ بهت لوى .. ونظر الى المفتش فى تمعن وهو لا يصــدق ما سمع ، ثم استسلم للدهشة ، واخيرا قال بصوت واجم :

ــ اواثق انت مما تقول ؟

ــ هــذا هو ما اثبته تقرير الطبيب الشرعى الذى قام بتشريح الجثة ، وهو لا يمكن ان يخطىء ..

— في كم شهر ؟
— ستة اسابيع .

واحس لوى بنفسه يغوص داخل المقعد الذى يجلس عليه ، واستبد به الجزع ربما لانه تذكر ان لديه طفلين وان زوجته توشك ان تضع طفلا ثالثا .. ونادى على الجرسون الذى كان واقفا على مقربة منهما يحاول التسمع لما يقولان :

— آتنى بشراب يا ارنست .. اى شراب !

ونسى ان الدقيقة الباقية قد مرت .. وحانت منه لفتة الى البار فراى صاحب الصالة يتفرس فيهما من بعد ، ثم عاد الى الحديث مع ميجريه :

— لم اكن اتوقع ذلك !
— ولا انا ..
— اظن ان البروفسور بلغ سن الشيخوخة ..
— ان الرجال يستطيعون انجاب اطفال وهم في سن الثمانين ..
— اذا كان ما تقوله صحيحا .. فهو سبب آخر يحملنا على الاقتناع بان بيرو لا يمكن ان يكون قاتل لولو ..
— انصت لي لحظة يا لوى ..

وكانت الشكوك لا تزال تساور لوى وهو ينظر الى المفتش ، ولكنه كان قد تخلى عن موقفه التهجمي تجاهه ، ومضى ميجريه يقول :

— قد يحدث ان يتصل بك بيرو بوسيلة او باخرى .. لست اطلب منك ، في هذه الحالة ، ان تستدرجه الى ايدىالبوليس ، وانما — فقط — ان تخبره بأني اود ان اتحدث معه في اى وقت يشاء وفي اى مكان يريد .. هل فهمت ؟
— وستخلى سبيله بعد ذلك ؟
— لم اقل اني ساوقف عمليات البحث عنه ، كل ما اعد به هو اني ساتركه ينصرف في امان بعد ان انتهى من حديثي معه ..
— عم تريد ان تساله ؟
— لا اعرف الان ..
— الا تزال عند ظنك بانه هو الذى قتل لولو .. ؟
— ليس عندى اية ظنون ..
— لا اعتقد انه سيتصل بي ..
— ولكن ، في حالة اتصاله ..

ــ سابلغه رسالتك .. والان هل تاذن لى .. ؟

وكان الجرسون قد احضر له كوبا من شراب داكن اللون . فافرغه فى جوفه دفعة واحدة ، ثم مضى يصعد السلم الى الشرفة المعلقة ، وشبك احزمة الاكورديون حول وسـطه وكتفيه .. ولم يوجه اليه سائر افراد الفرقة اى سـؤال ، ولكنه انحنى عليهم وهمس لهم بكلمة او كلمتين .. كان يذكر لهم اسم المعزوفة التالية !

وعلى البار كان الرجال يتجهون بانظارهم الى الفتيـات اللاتى يتحركن بين الموائد وكل رجل منهم يحـاول ان يسـتقر على راى بخصوص اختيار الفتاة التى سيتخذها شريكة مؤقتة له ..

ورفع ميجريه رأسه صائحا :

ــ جارسون ..

ــ الحساب خالص يا جناب المفتش .. انت الليـلة ضيف على الصالة ..

ووجد ميجريه ان من العبث مجادلته ، فنهض من مكانه واتخـذ طريقه الى الباب ، وقبل ان يخرج كان صـاحب الصـالة قد جاء لتوديعه ، وصافحه قائلا بلهجة تهكمية :

ــ اتمشم ان تكون عثرت على اى جديد ..

ــ اشكرك على « المارك » .

ولم يكن من المجدى محاولة العثور على تاكسى فى هذه المنطقة .. ومن ثم فقد ظل ميجريه يسـير على قدميـه الى ان بلغ شـارع « لاشابيل » . وعلى طول الطريق ظل يدفع عنه الفتيـات اللاتى لا يعرفنه واللاتى كانت كل واحدة منهن تسعى بوسيلتها الخاصـة الى ايقاعه فى شباكها .

وبدات تهبط على المدينة غلالة من الضباب الذى يشبه «شابورة» الصباح ، وبدت مصابيح السيارات محاطة بهالات من الضوء المتناثر ، كما ظهرت أنوار ميدان باربيه ، على مسافة ثلثمائة ياردة ، متلألئة خلف غلالة الضباب .

وعندما بلغ ميجريه الميدان وجد نفسه ينعطف الى شـارع ريكيه الذى يقع على مسيرة بضع خطوات ، وامام فندق دوفار شاهد المخبر لوبير مستندا بظهره الى الحائط وبين شفتيه سيجارة متدلية .

ــ هل من جديد .. ؟

ـ افواج من الرجال والفتيات يروحون ويجيئون ازواجا ، ولكنني لم ار بييرو بينهم ..

كان لوبير في مثل سن ميجريه تقريبا ، ولكنه امضى حياته في خدمة البوليس دون ان يحصل على ترقية واحـــدة ، وخطر لميجريه ان يرسله الى بيته لكي يهيىء له الراحة في فراشه ، كما خطر له ان يتصل تليفونيا بالمخبر جانفييه ويطلب منه ، هو الاخر ، مغادرة شقة لويز فيلون والعودة الى بيته ، كذلك فكر ميجريه في ان يوقف عمليات التفتيش في محطات السكة الحديد ، فقد كان مقتنعا تماما بأن بييرو لن يحاول الهرب من باريس ، ولكنه وجد نفسه مضطرا لاتبـــاع الروتين ، فلم يكن من حقه ان يقحم نفسه في اية مخاطرة .

ومع دخان السيجارة كانت تنبعث من فم لوبير رائحة الكحول ، فما دامت الحانة الواقعة على ناصية الشارع مفتوحة فهو لن يكف عن التردد عليها بين الحين والاخر لكي يحتسي كأســا من شرابه المفضل وهو « الروم » ، ولعل هذا هو السبب في انه ظل حتى الان مجرد مخبر بوليس عادى ..

ـ طابت ليلتك ايها المخبر العجوز .. اذا حدث اى شيء اتصل بي في البيت .

× × ×

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة ، وبدأت جماهير مشاهدي حفلة السواريه في دور الســينما تتدفق الى الشـــارع .. كانوا يسيرون ازواجا ، وكل فتاة تتأبط ذراع صديقها او تلف ذراعها حول خصره ، وعلى النواصي وعند مداخل البيوت كانت تقف ازواج اخرى تتبادل العناق والقبل ، في حين كان البعض يسرعون الخطى اللحاق بالاوتوبيس .

وخلف الشوارع الكبيرة المضاءة كان كل شارع جانبي يحتفظ بظلاله واسراره الخاصة ، كما كانت تبرز في اكثر من مكان منه لافتة صفراء تحمل اسم فندق مماثل لفندق دوفار .

وانتحى ميجريه جهة الاضواء ، وعندما وصل الى ميدان باربيه دخل الى حانة غارقة وسط الانوار الكشافة ازدحمت بنحو خمسين من الرجال الجالسين حول مائدة البار النحاسية .

وكان ميجريه يعتزم ان يتناول كاسا من « الروم » ، ولـــكنه ـ تحت تأثير الشراب الذى تناوله في صالة جريلو ـ وجد نفسه يقول

« للبارمان » بطريقة تلقائية :
— مارك ..

لا شك ان لولو ارتادت هذه الحانة ضمن ما ارتادت من حانات ومقاهى ومطاعم حى « لاشابيل » تماما مثل هاتيك الفتيات اللاتى يتعلقن الان بمائدة البار متحفزات للاستجابة لاية نظرة من اى رجل .

وبعد أن احتسى « المارك » نهض الى كابينة التليفون واسقط عملة فى فتحة الصندوق ، ثم ادار رقم المحافظة .. ولم يكن يعرف الشخص الذى يقوم بنوبة الخدمة الليلية هناك ، ولكنه استطاع أن يتعرف على الصوت الذى رد عليه .. انه لوسيان ، وهو مخبر جديد تحت التمرين يؤدى عمله بوقار وجدية يحسد عليهما فضلا عن انه يوالى دراسته النظرية باهتمام وجلد ، ويعطيها اكبر قدر ممكن من الاجتهاد استعدادا لخوض امتحان يؤهله الحصول على ترقية .

— ميجريه يتكلم .. هل من جديد ؟

— لا شيء يا سيدى ، فيما عدا اثنين من الاجانب اشتبكا منذ لحظات فى معركة بالسكاكين فى شارع « دى لاجوت » ، ومات احدهما متأثرا باصابته عند وضعه على النقالة اما الاخر فأصيب اصابة طفيفة وتمكن من الهرب .

لقد وقعت هذه المشاجرة على مسافة ثلثمائة ياردة من المكان الذى يقف فيه ميجريه وفى نفس الوقت الذى كان يسير فيه بشارع « لاشابيل » ، اى قبل عشرين دقيقة ، ورغم ذلك فهو لم يسمع بها او يلم باى خبر عنها ، وربما كان القاتل قد مر به فى الشارع دون ان يلقى اليه اى انتباه .

وكان لابد أن تقع حوادث ومآس اخرى قبل ان ينقشع الليل عن ذلك الحى ، واحدة منها او اثنتان قد يصل خبرهما الى علم البوليس اما الحوادث الاخرى فانها تظل خافية عن رجال الضبط والربط مددا قد تصل الى شهور .

ان بيرو ايضا مختف الان عن اعين رجال الامن فى مكان ما من ذلك الحى بين ميدان باربيه وسلخانة لافاييت . هل كان يعلم ان لولو حامل ؟ .. هل ابلغته بهذا النبأ ليلة مصرعها ؟ .. هل كان هذا الابلاغ هو السبب الذى دعاها الى ان تتصل به فجأة فى صالة جريلو وتطلب منه ان يحضر اليها سريعا ؟ ..

لقد قال الطبيب الشرعى انها حامل فى ستة اسابيع ، ومعنى ذلك

ان الشكوك بخصوص هذا الحمل لابد وان تكون قد ساورتها خـلال البضعة الايام الاخيرة على الاقل ..

هل باحت بنبا حملها للبروفسور جوان .. ؟

من الممكن ان تكون قد باحت له رغم انه امر بعيد الاحتمـال ، فان الفتاة التي من هذا النمط تفضل اولا ان تستشير طبيبا محليا او قابلة ..

ووجد ميجريه انه لا يستطيع الاهتداء الى اى استنتاج الا عن طريق التخمين ، فلم يجد بدا من ان يستمر فى تخمينه .. اذا كانت لويز فيلون قد تاكدت ، بعد استشارة الطبيب او القابلة ، من انها حامل فعلا .. فلابد انها عادت على الفور الى شقتها وجلست تنتظر لحظـات قبل ان تنتهي الى قرار .. لقـد قالت مـدام جوان ان البروفسور مر على لولو فى شقتها بعد العشاء ولكنه لم يبق معها اكثر من بضع دقائق .

وعاد ميجريه الى مكانه من البار ، وطلب كاسا ثانية .. كان المكان قد اجتذبه الى درجة لم يستطع معها مغادرته ، فقد شـعر انه افضل بقعة الجلوس والتفكير — وسط الضجيج — فى شئون لولو وبيرو .

وبطريقة لاشعورية وجد نفسه يتمتم : « انها لم تخبر البروفسور جوان .. »

ان بير ايرود هو الشخص الذى يحوز ثقتها اكثر من غـيره ، لابد اذن انها افضت اليه — دون غيره — بالنبا ، فعلا .. هـذا هو التفسير الوحيد لزيارته العاجلة لها فى شقتها .

وفى هذه الحالة ، هل يمكن ان يكون هو الذى قتلها ؟ .. هنـا بيت القصيد !

اولا : يجب التاكد من انها كانت تعلم بوجود جنين فى احشائها ..

ثانيا : ينبغى الاخذ فى الاعتبار انها كانت تعيش فى شارع كارنو غريبة عن سكان العمارة وغريبة عن اهالى الحى باكمله .. ولو كانت بقيت فى الحى الذى نشات فيه لكان من المرجـح انها ذهبت لعرض نفسها على احد اطبائه .. اما فى شارع كارنو فان الامر يبدو اقل احتمالا ..

وقرر ميجريه ان يكون اول عمل له فى صباح اليوم التالى هو

توزيع نشرة على جميع اطباء وقابلات باريس لمعرفة ما اذا كانت لويز قد استشارت اى واحد منهم او اية واحدة منهن حول موضوع حملها .. فان هذه النشرة قد تكشف عن حقائق خطيرة ، فمنذ المكالمة التى اجراها ميجريه مع الطبيب الشرعي وهو مقتنع تماما بأن حمل لولو هو مفتاح السر كاله .

ماذا — يا ترى — يفعل البروفسور جوان الان ؟ .. هل ينـــام فى استرخاء واطمئنان ؟ .. ام تراه يستغل ساعات الليل فى اعداد مقال علمى عن فن الجراحة ؟ ..

واتجه تفكير ميجريه بعد ذلك الى مدام برو ، خادمة لويز فيلون ، التى تعيش فى مكان غير بعيد من الحى بجوار ميدان كليشى .. لماذا لم تشر من قريب او بعيد الى البروفسور اثناء استجوابها ؟ .. لقد كانت تقضى كل صباح فى الشقة ، فهل من المعقول ، انها تجهل شخصية عشيق لولو .. ؟ ولقد كانت تتبادل الاحاديث مع سيدتها بدون كلفة ، وبالتالى فهى الشخص الوحيد الذى يعرف ادق اسرار لويز فيلون .

وهم ميجريه بأن يتوجه الى بيت مدام برو لاعادة استجوابها مرة ثالثة ، ولكنه وجد ان الوقت متاخر جدا ..

وانتقل ميجريه بعد ذلك ، بافكاره ، الى البوابة .. لقد التزمت ، هى الاخرى ، الصمت ازاء البروفسور لانها تدين له بالفضل وتشعر نحوه بالجميل ، ولانها ايضا — شعوريا او لاشعوريا — ترتبط بعلاقة حب معه .

والحقيقة انه يمكن القول بان جميع النساء يعملن على حمـــاية سمعة البروفسور وابعاد اية شبهة عنه ، ولعل اهم ما فى التحقيق كله هو تلك القوة السحرية التى يؤثر بها عليهن رغم بلوغه ٦٢ سنة !

ويبدو انه لم يكن يبذل اية محاولة لاغرائهن او اكتساب مودتهن وانما كان يستخدمهن — وهن مسلوبات الارادة — كادوات للتنفيس من غرائزه ، ولكن واحدة منهن لم تستشـــعر اية ضـــغينة له ازاء تسخيره لهن ، وعبثه بهن .

ووجد ميجريه ان من الضرورى ايضا استجواب لوسيل ديكو ، المرضة الخصوصية البروفسور ، وكذلك شقيقة مدام جوان ، فهى

المرأة الوحيدة ، على ما يبدو ، التى فشل البروفسور فى ايقاعها فى اسره .

ومرت سيارة تاكسى ، فسارع ميجريه الى الدخول اليها ..

— الى اين ؟

— شارع ريشار لى نوار ..

— مسيو ميجريه ! .. ما هى آخر اخبار قتيلة شارع كارنو ؟ ..

وعلى ذكر هذه العبارة تذكر المفتش ضرورة استجواب سائق التاكسى الذى اقل البروفسور ليلة امس من المستشفى الى بيته .

وقبل ان يتحرك التاكسى كان المصورون الصحفيون قد هجموا عليه من كل جانب واخذوا ينهالون على ميجريه بآلات التصوير واضواء « الفلاش » الباهرة مما جعله يغمض عينيه نصف اغماضة فى حين بدأ يحس بتقزز فى معدته من اثر شراب « المارك » الذى احتساه فى الحانة وفى صالة جريلو ..

وظل ميجريه سارحا بافكاره مع لولو .. ووسط الظلام المخيم داخل التاكسى اخرج محفظته ، وانتزع منها مجموعة الصور التى خلفتها فى شقتها ، ولاحظ للمرة الثانية ان امها ، ايضا ، لم تبتسم وهى جالسة على الرصيف امام المصور المتجول .

الفصل الخامس

في صبيحة اليوم التالى نهض ميجريه وهو لايزال يحس غصة في حلقه من تأثير مشروب ((المارك)) وتوجه الى مبنى المحافظة في التاسعة صباحا لحضور الاجتماع اليومى لرؤساء الاقسام بجهاز الامن ، وقد تعمد الا يكثر من الكلام اثناء الاجتماع لانه كان يتصور أن رائحة الكحول الكريهة لا تزال تنبعث من فمه ، ومن ثم كان يخشى ان تصل الى انوف زملائه .

كان الاجتماع معقودا في حجرة مدير المباحث العامة التى تطل نوافذها على نهر السين . وكان كل حاضر في الاجتماع يحمل معه عددا من الملفات المكدسة بالاوراق . وبدا اليوم مظلما منذ بدايته ، كما كانت مياه النهر تبدو متعكرة ، في حين اخذ المارة في الشوارع يسرعون الخطى ، كما كان الحال في اليوم السابق . وكان معدل الاسراع في السير يزداد بشكل واضح فوق جسر سان ميشيل المقام فوق نهر السين حيث كانت الرياح الباردة تعصف به من كل جانب مما جعل الرجال يرفعون ايديهم للامساك بقبعاتهم حتى لا تطير مع الهواء ، بينما اخذت كل سيدة تبسط ذراعيها على اطراف ثوبها حتى لا تعبث بها الريح .

ورغم ان الحاضرين لم يكونوا قد تناولوا شيئا من ((المارك)) في الليلة السابقة ، الا ان حالاتهم النفسية لم تكن خيرا من حالة ميجريه ، فان كلا منهم كان يبدو ضيق الصدر سيىء المزاج ، ولا شك ان الجو المقبض والظلام المخيم في الخارج كان لهما اكبر الاثر في توتر اعصاب جميع الحاضرين .

وفي التاسعة والربع اوقف المجتمعون مناقشاتهم عندما دق جرس احد اجهزة التليفون الموضوعة بجانب مكتب مدير المباحث العامة .

فقد كان المعتاد الا يوصل عامل التليفون اية مكالمة الى هذه الحجرة اثناء عقد الاجتماعات الا اذا كانت المكالمة ذات اهمية خاصة .

ـــ المخبر جانفييه يطلب التحدث مع المفتش ميجريه فى امر عاجل .. الو مسيو ميجريه .. جانفييه على الخط ..

ـــ ارجو تحويل المكالمة الى غرفتى .

فقد توقع ميجريه ان تكون المكالمة طويلة ، ولذلك فضل ان يتلقاها فى غرفة مكتبه ، واستاذن فى مغادرة الاجتماع .. ولم يكد يستقر خلف مكتبه ويضع السماعة على اذنه حتى اكتشف فى صوت جانفييه لهجة مشحونة بالقلق .

ـــ اهذا انت يا جناب المفتش ..

ـــ ماذا حدث ؟

ـــ لقد جاء الان فقط .. هل اروى لك التفاصيل ؟

وادرك ان جانفييه الذى نام ليلته على الاريكة فى شقة لولو ، كان هو الاخر متوتر الاعصاب ..

ـــ تكلم ..

ـــ اليك ما حدث .. كان ذلك منذ بضع دقائق .. عشر دقائق على الاكثر ، وكنت انا فى المطبخ اتناول بعض القهوة التى اعددتها بنفسى .. نسيت ان اقول لك انى كنت قد خلعت معطفى وربطة عنقى قبل ان اشرع فى النوم ..

ـــ هل امضيت ليلة هادئة ؟

ـــ .. لم اسمع اى صوت مزعج اثناء الليل ، ولكنى لم استطع ان انام ، غفوت لفترة وجيزة فى ساعة متاخرة جدا من الليل .

ـــ استمر ..

ـــ ولكن منذ بضع دقائق .. فى العاشرة تقريبا عندما دخلت الى المطبخ اعد لنفسى قدحا من القهوة حدث ان تبينت صوت حركة خافتة خارج الشقة ، ثم صرير مفتاح يولج فى ثقب الباب ويدور فى داخله وظللت واقفا فى مكانى من المطبخ فى وضع استطيع ان ارى منه حجرة الاستقبال ، انفتح الباب .. ودخل شخص لم اتبينه فى البداية . ولكنى سمعت وقع اقدامه وهو يسير عبر الصالة متجها الى حجرة الجلوس ، ثم رايته يفتح بابها وعندئذ عرفته . انه البروفسور جوان ! وهو اطول قامة مما كنت اتوقع كما انه نحيف اكثر مما كنت اتخيله وكان يرتدى معطفا طويلا غامق اللون وحول

رقبته كوفية من الصوف وعلى رأسه قبعة ويداه مكسوتان بالقفاز . .

ــ وماذا فعل داخل الشقة ؟

ــ هذا بالضبط هو ما اود ان اقوله لك .. انه لم يفعل شيئا !..
سار بضع خطوات في داخل حجرة الجلوس في بطء وتؤدة كما لو كان يدخل غرفة بشقته الخاصة ، وقد دهشت حينما وجدته يحملق باستغراب الى سجادة الحجرة ولكنى ، ادركت سريعا سبب استغرابه .. فقد كان ينظر الى حذائي الذى تركته على السجادة.. وفجأة ادار رأسه الى الخلف فرآني ، وصوب نظراته نحوى وهو يقطب جبينه .. مجرد تقطيبة صغيرة ، ولكنه لم يندهش ولم يظهر عليه اى احساس بالحرج او الخوف .. فقد اطال النظر الى وهو سرحان شارد اللب كانه يفكر في اشياء اخرى بعيدة ، او كانه فيحاجة الى بعض الوقت ليرتد الى الواقع . واخيرا سالنى بصوت متزن مهيب :

ــ هل انت من رجال البوليس ؟

وكنت قد اصبحت فريسة للدهشة بظهوره الفجائى وطريقته في مواجهة الامور ، فلم استطع ان افعل شيئا اكثر من ان اومىء برأسي .. ومرت دقيقة كاملة من الصمت ،مضى ــ خلالها ــ يتفحصنى الى ان استقر بصره عند قدمي العاريتين الا من الجوارب .. وكان الانطباع الذى تركته نظراته في نفسي هو الاحساس بانه تضايق لوقوفى امامه على هذا النحو .. ولكن هذا هو مجرد انطباع فمن الجائز انه لم ينتبه لقدمي على الاطلاق .. ورأيت ان اقطع الصمت فتجاسرت قائلا :

ــ ما الذى كنت تنوى ان تفعله يا بروفسور جوان ؟

ــ اذن فانت تعرف من انا ؟ !

ان هذا الرجل يجعلك تشعر امامه بانك ضئيل الى درجة العدم ، وعندما يثبت عينيه عليك تحس بان اهتمامه بك لا يزيد عن اهتمامه برسم من الورق معلق على حائط ..

ــ لم اكن انوى ان افعل اى شيء على التحديد ، وانما اردت فقط ان القى نظرة .

ثم مضى ينظر حواليه وهو يتشمم رائحة القهوة الاتية من المطبخ وكان اكثر شيء استرعى نظره هو الكنبة والمخدة الموضوعة على

طرفها والحاق الذى تركته بلا ترتيب عندما نهضت ، ثم عاد يقول بصوت غريب النبرات .

— اين هو رئيسك ؟ اننى فى حيرة من امره ، لماذا لم يأت كيف لم يدفعه حب الاستطلاع للحضور لاستجوابى حتى الان ؟ تستطيع ان تخبره — يا بنى — بانى مستعد للقائه فى اى وقت .. اننى ذاهب الان الى مستشفى كوشان وسابقى هناك حتى الحادية عشرة .وقبل ان اعود الى البيت لتناول الغداء سأمر بمستشفى سان جوزيف.. اما فى فترة بعد الظهر فسأجرى جراحة هامة فى المستشفى الامريكى.

والقى نظرة اخيرة حوله ثم استدار خارجا واغلق باب حجرة الجلوس خلفه كما سمعته أيضا وهو يغلق باب الشقة ..

وسارعت الى فتح النافذة لكى اشاهده وهو يغادر العمارة .. فرأيت سيارة تاكسى تنتظر امام الرصيف وبجانبها فتاة فى انتظاره تحمل حقيبة ســوداء اللون تحت ابطها .. وعندما وصل الى باب العمارة فتحت له باب التاكسى فتقدمها الى الدخول ثم دخلت خلفه . واعتقد ان هذه الفتاة تنتظره كل صباح لكى تصاحبه الى المستشفى، كما اعتقد ايضا انها تتصل به تليفونيا من غرفة البوابة لكى تخبره انها فى انتظاره على الرصيف . . هذا هو كل ما رأيته وفهمتــــه ياسيدى المفتش ..

— شكرا جزيلا ..

— هل تعتقد انه متيسر الحال ؟

— المعروف انه جمع ثروة كبيرة..فهو يطلب اجرا باهظا لاجراء اية جراحة ، رغم انه يجرى الجراحات للفقراء مجانا .. ولكن لماذا تسال هذا السؤال ؟

— لانى لاحظت شيئا غريبا ليلة امس .. فعندما وجــدت انى لا استطيع النوم نهضت لكى اسلى نفسى بالبحث بين مخلفات القتيلة .. فوجدت اشياء لم اكن اتوقع وجودها هنا .. لقد قلبت جميع ملابسها الخارجية والداخلية واحذيتها وجواربها وحقائب يدها وغير ذلك من اشيائها الاخرى . فلم اعثر على سلعة واحدة مشتراه من محلات الدرجة الاولى .. وحتى المعطفان المصنوعان من الفراء — وهما اثمن شيء عندها — اشترتهما من محل لبيع الثياب المستعملة وطبيعى ان هذه الاشياء ليست هى التى كانت تقتنيها القتيلة عندما كانت تعيش فى حى « لاشابيل » ، ولكنها ايضا ليست من النـــوع الذى تقتنيه عشيقة رجل يملك ثروة كبيرة . كما انى لم اعثر على

دفتر شيكات ولا على اية وثيقة تشير الى انالقتيلة حسابا فى احد البنوك . ولم يكن فى حوزتها — عند مصرعها — أكثر من بضع عملات نقدية من فئة العشرة فرنكات بعضها فى احدى حقائب يدها والبعض الاخر فى درج ((الكومودينو)) الملحق بسريرها .

— اظن انك تستطيع الان العودة ، فقد انتهت مهمتك .. هلمعك مفتاح الشقة ؟

— هناك مفتاح فى حقيبة يد القتيلة .

— اغلق باب الشقة ، وثبت خيطا رفيعا بين ((الدلفتين)) حتى نعرف فيما بعد ما اذا كان ثمة شخص فتح الباب .. وبالمناسبة ، هل جاءت الخادمة هذا الصباح ؟ .

— لا ..

وتذكر ميجريه انه لم يخبر الخادمة فى اليوم السابق عما اذا كانت ستواصل المجىء بانتظام لتنظيف الشقة ام ان مدة خدمتها قد انتهت، كذلك فانه لم يهتم بسؤالها عما اذا كانت قد قبضت اجرها عن الشهر الاخير ..

x x x

عندما عاد ميجريه الى حجرة مدير المباحث العامة وجد ان الاجتماع قد انتهى .. فتوجه ثانية الى مكتبه وجلس يفكر ، هذه المرة ، فى المخبر لوبير الذى ظل واقفا طوال الليل فى شارع ريكيه.. لابد ان يكون قد اصيب الان بالاعياء التام ان لم يكن قد مات منالبرد، وربما يكون قد دخل الى الحانة الواقعة على ناصية الشارع بعد ان فتحت ابوابها فى الصباح ، لكى يدفء جسمه ببضع كؤوس من ((الروم)) .

واتصل ميجريه بقسم بوليس ((جوت دور)) .

— الو .. هل المفتش جانين موجود ؟ لم يصل بعد ؟ ميجريه يتكلم .. ارسلوا أحد رجالكم الى شارع ريكيه لكى يقابل مخبرا يقوم بالخدمة هناك .. نعم المخبر لوبير .. ابلغوه — اذا لم تكن قد حدثت تطورات جديدة — بان فى امكانه ان يملى تقريرا شفويا بالتليفون ، عن مهمته ، ثم يتوجه الى بيته لينام ..

واخذ ميجريه يستعيد الى ذهنه جميع الاجراءات التى قرر — وهو فى طريقه من حى ((لاتسابيل)) الى بيته ليلة آمس — ان يجريها هذا الصباح ، ثم رفع السماعة وطلب المخبر لوكاس ..

— كيف تسير الامور ؟ ..

ـ على ما يرام ياسيدى المفتش .. ولكن رجال البوليس لم يتمكنوا حتى الان من الاهتداء الى مكان بيرو .. وقد حدث ليلة امس ان قبض اثنان من رجال بوليس الدورية فى الحى العشرين على شاب اعتقدا انه بيرو ، وساقاه الى قسم البوليس حيث وجد أن ملامحه تشبه ملامح بيرو فعلا الى حد كبير ، كما تصادف ايضا انه يعمل عازفا فى فرقة موسيقية فى ملهى بميدان « بلانش » ،ولكنه لم يكن هو ..

ـ لوكاس .. اريد منك ان تتصل بمستشفى بيزير .. اطلب موظف الاستعلامات بالمستشفى وحاول ان تعرف منه ما اذا كان ايرنست فيلون ، والد لويز فيلون مات فى المستشفى او انه غادره بعد انتهاء علاجه بها .. واذا كان لا يزال على قيد الحياة فينبغى ان تعرف عنوان اقامته الان .. هل معك الخطاب الذى ارسله الى لويز من المستشفى ؟

ـ نعم ، معى ..

ـ اريد منك ايضا ان تستجوب جميع سائقى التاكسى الذين يرابطون بسياراتهم عادة فى الموقف المجاور لمستشفى كوشان ، فلابد ان واحدا منهم اوصل البروفسور جوان الى بيته اول امس عندما وقعت الجريمة .

ـ اية اوامر اخرى ياسيدى .. ؟

ـ هذا هو كل المطلوب منك الان ..

كان كل ذلك جزءا من الاجراءات الروتينية المعتادة فى مثل هذه الظروف .. ونظر ميجريه فوق مكتبه فوجد كومة من الاوراق التى تتطلب منه قراءتها والتوقيع عليها ، وعلى الجانب الاخر من المكتب راى التقريرين المفصلين اللذين كتب اولهما الطبيب الشرعى واعد ثانيهما خبير الطلقات النارية .

وترك ميجريه كل هذه الاوراق جانبا ، وامسك بالتليفون لكى يدير رقم طبيبه الخاص الذى يتردد عليه مرة كل شهر ويتخذه صديقا شخصيا له .

ـ الو ..

ـ هل انت مشغول الان يادكتور ؟

ـ عندى اربعة او خمسة مرضى فى غرفة الانتظار ، وهو عدد اقل من المعدل المعتاد فى مثل هذا الوقت من العام .

— هل تعرف البروفسور جوان ؟

— طبعا .. لقد اجرى جراحات العديد من مرضاى ، فقد اعتدت ان احول اليه الحالات المستعصية ، وقد سمح لى فى بعض المرات بان احضر معه وهو يجرى جراحاته الفريدة .

— ما رايك فيه .. ؟

— انه احدى معجزات العصر .. ليس يكفى ان اقول لك انه اعظم اطباء هذا الجيل ، فهو — بدون مبالغة — اعظم جراح شهدته هذه البلاد . وهو ليس كسائر الجراحين الذين يملكون يدا سحرية فحسب ، وانما يتميز عنهم جميعا بعقليته النادرة .. ونحن مدينون له باكتشافات كثيرة فى عالم الطب كان لها ابلغ الاثر فى العلاج الجراحى ، وستظل خالدة لا تنسى .

— ما هو رايك فيه بوصفه انسانا لا طبيبا .. !

— ما الذى تريد ان تعرفه على التحديد ؟

— رايك الشخصى .

— من الصعب ان اوضح لك شخصيته ، كل ما استطيع ان اقوله هو انه يعيش فى برج عاجى ، ويترفع عن الناس ويقيم حاجزا عاليا حوله يعزله عن الجميع وخصوصا امثالى من صغار الاطباء المحليين، الذين يطلق عليهم اسم « صغار المتكسبين من آلام المرضى » ويبدو لى انه يتعمد البقاء بمنآى عن الناس جميعا .

— أفهم من ذلك انه ليس محبوبا ؟

— ان الناس يرهبونه اكثر مما يكرهونه ، فان له طريقة خاصة فى الاجابة على الاسئلة التى قد يتجاسر بعض الناس فيوجهونها اليه . وتزداد شدة غلظته وخشونته كلما كان المريض اكثر ثراء. وهناك قصة مشهورة عن سيدة عجوز تملك ثروة طائلة طلبت منه، ذات مرة ، ان يجرى لها جراحة دقيقة بعد ان عرضت عليه مبلغا من المال يزيد على عشرة امثال ما يتقاضاه فى مقابل اية جراحة اخرى .. *فهل تدرى ماذا كان جوابه ؟ لقد قال لها* « ربما ساعدتك هذه الجراحة على اطالة عمرك شهرا او شهرين ، ولكن الوقت الذى ساقضيه معك فى غرفة العمليات يكفى لانقاذ حياة كاملة لمريض آخر .. » ومع ذلك فان اعضاء هيئة مستشفى كوشان يحبونه الى درجة العبادة .

فقال مبجريه : — وخصوصا الممرضات .. ؟ !

— اذن فقد سمعت عن علاقاته بالمرضات ؟ ان لديه قدرة فذة في هذه الناحية ايضا ! وكثيرا ما يحدث بعد ان ينتهي مباشرة من احدى جراحاته ان يأمر الممرضة التي عاونته في الجراحة بان تلحق به في غرفة استراحته الخاصة ... انك تفهم طبعا ما اعني .

— نعم .. لا داعي للاستطراد ... هل هذا هو كل ما تعــرفه عنــه ؟

— نعم ، ولكنه بالرغم من ذلك .. رجل عظيم .

— شكرا يا عزيزي ..

وانتهت المكالمة ، وعاد ميجريه الى افكاره ، ومن خلال الافكار لاحت له صورة ديزيريه برو ، خادمة لويز فيلون .. واخذ طيفها يلح عليه الى حد ان وجد نفسه مسوقا للذهاب اليها في بيتها .

كان في امكانه ان يرسل أي مخبر لاستجوابها أو ان يستدعيها اليه، فهذا هو ما يفعله معظم رؤساء اقسام البوليس في مثل هذه الظروف، بل ان بعضهم لا يغادرون مكاتبهم طوال اليوم .

وفي طريقه الى الخروج مر على المخبر لوكاس الذي كان مشغولا في اجراء مكالمة تليفونية مع مستشفى بيزير .

— سأتغيب لمدة ساعة او ساعتين ..

واستقل احدى سيارات البوليس الى حي « لاشابيل » وانطلق خلف ميدان كليشي الى شارع « فوليه » حيث تقيم مدام برو في منزل مقوض آيل للسقوط لم يكد ميجريه يقترب منه حتى اكتشف ان جدرانه لم تعرف الطلاء منذ عشرات السنين . وفي الداخل كانت جميــع ابواب الشقق مفتوحة على مصاريعها ، فقد كانت الشقق مكتظة بالاسر المكدسة داخلها الى حد ان بعض افرادها ، وخصوصا الاطفال ، كانوا لا يجدون لهم مكانا بالداخل فينطلقون على « البسطة » او يتجمعون في فناء السلم حيث تتاح لهم حرية اللعب والعبث ..

وكانت شقة مدام برو تقع في الطابق الرابع في الجانب المواجــه « للمنور » ، ولم يكن هناك مصعد ، وبدأ ميجريه يتخذ طريقه على السلالم المتآكلة التي كانت كل سلمة منها تنحدر بشدة الى اسفل . وعند كل طابق كان ميجريه يتوقف لحظات وهو يتشمم — في امتعاض — روائح غريبة لا تسر الانف .

— من الطارق ؟

قالتها مدام برو بصوت مرتفع اقرب الى الصياح ، بينما وقف

ميجريه صامتا امام باب شقتها المفتوح الذى يكشف عن الصالة وجزء من غرفة النوم التى رأى بداخلها سريرا يتمدد عليـــه رجـــل لا يظهر منه الا قدماه .

ـــ ادخل .. اننى لا استطيع القيام من مكانى !

كانت تجلس فى المطبخ امام ((طشت)) غسيل موضوع فوق موقد غازى ، وفوجىء ميجريه بمنظرها وهى بالملابس الداخلية وقدماها حافيتان ، اما هى فلم تظهر عليها أية دهشة لهذه الزيارة المفاجئـــة من جانب المفتش ، ونظرت اليه دون ان تتحرك من مكانها ،ولم تقل اى كلمة تحية او ترحيب ، وانما ظلت صامتة تنتظر منه ان يبادئهـــا بالكلام ..

ـــ لقد كنت امر من هنا عرضا ، فرأيت ان ازورك فى طريقى .

فقالت متهكمة : ـــ هذا امر واضح .

كان بخار الغسيل يملأ جو المطبخ ويغطى زجاج النافذة بطبقة كثيفة من الغيام يتعذر معها رؤية اى شىء فى الخارج . وارتفعت اصوات ((الشخير)) الصادرة من غرفة النوم فتململت مدام برو فى جلستها واغلقت باب المطبخ .

ـــ ان زوجى لا يزال نائما ..

ـــ مخمور ؟

ـــ كما هو دائما ..

ـــ لماذا لم تخبرينى بالامس عن عشيق لولو الدائم ؟

ـــ لانك لم تسألنى عنه .. هل تذكر ؟ لقد سألتنى فقط عمـــا اذا كنت قد شاهدت اى رجل فى شقة القتيلة .

ـــ الم يحضر ابدا الى شقتها اثناء وجودك ؟

ـــ ابدا ..

ـــ ولكنك كنت تعرفين انه البروفسور !

والقت اليه بنظرة استخفاف وفى وجهها ما يكشف بوضوح عن انها تعرف ايضا اشياء اخرى اكثر مما يتصور ، ولكنها كانت مصممة على كتمانها .

ولم يكن اصرارها على الكتمان راجعا الى وجود مصلحة خاصة لها فى اخفاء الحقيقة او الى محاولة ابعاد الشبهة عن احد .. وانما كان هذا الاصرار قائما على مبدأ عاهدت نفسها عليه ! فقد كان طبيعيا ان تحقد على رجال البوليس لانهم ظلوا يطاردونهـــا طوال

حياتها ، والقوا بها في غياهب السجن مرات عديدة .
ــ ألم يحدث ان تحدثت لويز معك عن البروفسور ؟
ــ حدث ..
ــ ماذا قالت لك عنه ؟
ــ قالت لي اشياء كثيرة جدا !
ــ هل كانت تعتزم ان تهجره ؟
ــ لا اعرف ما اذا كانت هذه الفكرة قد راودتها ام لا .. وعلى كل حال فهي لم تكن سعيدة في تلك الشقة ..
وحتى ذلك الوقت لمتكن المرأة قد دعته الى الجلوس، بل تركتهواقفا
وسحب ميجريه من الصالة كرسيا نصف متهالك وجلس عليه دون ان تدعوه هي الى الجلوس ، وهو يسمع صوت طقطقة مفاصل الكرسي التي تنوء تحت ثقل جسمه رغم أنه جلس نصف جلسة ..
ــ ما الذي منعها من ان تهجره ؟
ــ لم يخطر لي ان اسألها هذا السؤال ..
ــ هل كانت تحب بيرو حقا .. ؟
ــ مظهرها كان يؤكد انها تحبه ..
ــ هل كان جوان ينفق عليها بسخاء ؟
ــ كان يعطيها كلما طلبت ..
ــ وهل كانت تلح عليه في الطلب ؟
ــ لم تكن تطلب الا عند الحاجة .. واذكر مرة انها استدانت مني عشرة فرنكات لان البروفسور انقطع عنها اسبوعا كاملا دون ان يعطيها ــ قبل انقطاعه ــ ما يكفي لنفقات البيت خلال تلك الفترة. وكثيرا ما كنت اكتشف عند خروجي لشراء حاجياتها ان كل ما بقي معها لا يتعدى بضع قطع صغيرة من النقد في حقيبايدها او فيالدرج.. وعندما الفت نظرها تقول لي : « سأطلب منه عندما يجيء في المرة القادمة » .
ــ هل كانت تعطي بعض هذه النقود لبيرو ؟
ــ هذا ليس من شأني ..
وتنهدت الخادمة العجوز وهي تقول في لهجة اسف :
ــ آه .. لو انها كانت استمعت الى نصيحتي ..
ــ ماذا كانت نصيحتك لها ؟
ــ اولا لم يكن ينبغي لها ابدا ان توافق على الانتقال الى تلك

الشقة فقد كانت تعيش فيها شبه سجينة وسط جدران صماء .

— الم يكن يسمح لها بالخروج ؟

— فى معظم الاحوال كانت هى التى لا تجرؤ على الخروج ، لانهـا كانت تنتظر دخول البروفسور اليها فى اى وقت من اوقات النهـار او الليل ، عند مغادرته بيته او عودته اليه .. انها لم تكن سيدة نفسها ، وانما كانت خادمة مثلى تماما ، مع فارق واحد هو انالخدمة المطلوبة مني هى العمل ، اما الخدمة المطلوبة منها فكانت الاستلقاء على الفراش ! لو انها بقيت فىشقتها الاولى بشارع «الافاييت» او اية شقة اخرى بعيدة .. لكان هو الذى يتحتم عليه ان يذهب اليهـا ولكن ، ما جدوى الندم بعد ان وقع المحظور ؟ قل لى ، ما الذىتريده منى بالضبط ؟

— ان تساعدينى بما لديك من معلومات ..

— ومن اجل هذه المعلومات تجىء الى بيتى ،وتكلمنى بمنتهى الرقة وتخلع قبعتك احتراما لى .. وغدا ، اذا شاء لى الحظ العاثر أن اقع بين يديك فلن تتردد فى ان تزج بى الى السجن .. ما هى المعلومات التى تريدها ؟

ونهضت لكى تنشر بعض قطع الغسيل على الحبل الممتد بينجدران المطبخ ..

— هل كنت تعرفين آن لولو حامل ؟

وعندئذ استدارت اليه بغتة ..

— من الذى اخبرك ؟

— الطبيب الشرعي ..

— اذن ، فقد صدق حدسها .. !

— متى افضت اليك بهذا النبأ ؟

— قبل ثلاثة ايام من مصرعها ..

— ولكنها لم تكن متأكدة ؟

— كلا . فلم تكن قد ذهبت بعد الى الطبيب .. كانت تخاف من الذهاب اليه .

— لماذا ؟

— اعتقد انها كانت تشفق من ان يخيب املها ..

— هل كانت تتوق الى الانجاب ؟

— كانت تتمنى ان تصبح اما .. وقد ظهر عليها الابتهاج قبل ان

تتاكد من الحمل ، ولكنها كانت متلهفة الى التيقن وقطع الشكوك . وقد اخبرتها ان الاطباء اليوم يستطيعون اجراء اختبار خاص للتأكد تماما من الحمل وهو فى مراحله الاولى حتى لو لم يكن مر عليه اسبوعان او ثلاثة اسابيع .

ــ وهل ذهبت لاستشارة اى طبيب ؟

ــ لقد سألتنى عما اذا كنت اعرف طبيبا موثوقا به .. فاعطيتها عنوان طبيب اعرفه جيدا يتخذ له عيادة فى مكان قريب من هنـــا بشارع ((دى دام)) .

ــ وهل تعتقدين انها ذهبت اليه فعلا ؟

ــ اذا كانت قد ذهبت اليه فانها لم تخبرنى بذلك .

ــ هل كان بيرو يعرف ؟

ــ أليست لك خبرة بالنساء ؟ هل رأيت فى حياتك امرأة تخبر رجلا بمثل هذه الاشياء قبل ان تتاكد منها ؟

ــ هل تظنين ان البروفسور لم يكن يعرف هو الاخر .. ؟

ــ استخدم ذكاءك ..

ــ لو كانت لولو بقيت على قيد الحياة .. فما الذى كان يمكن ــ فى تصورك ــ ان يحدث ؟

ــ اننىلا أضرب الرمل !

ــ هل كانت تحتفظ بالطفل ؟

ــ طبعا ..

ــ هل كانت تستمر فى علاقتها مع البروفسور ؟

ــ نعم .. الا اذا قررت ان تهرب مع بيرو ..

ــ ألم تقل لك لولو من هو الشخص الذى تعتقـــد انه والد الطفل ؟

مرة ثانية نظرت اليه فى استخفاف كمنتريد انتقول له ((الا تستطيع التمييز بين الغث والسمين ؟)) .

ــ لست أظنك تتصور أنه الرجل العجوز .. ؟

ــ ربما يكون هو ..

ــ دعك من قراءاتك فى الكتب والصحف عن ان الرجال ، مهمــا بلغ بهم كبر السن ، يمكنهم ان ينجبوا اطفالا .. فان الامر كلهيتوقف على النساء ، ان المراة لا تساق كما تساق السائمة ولا توضع فى حظيرة مغلقة كما توضع الماشية ، وانمــا هى تستطيع ، بوسائلها الخاصة ، اختيار الرجل الذى تنجب منه طفلها ..

وفى تلك اللحظة استيقظ زوج مدام برو ، واخذ يتحرك فى فراشه ويزمجر بصوت مرتفع مناديا زوجته ، وقامت مدام برو وفتحت باب المطبخ .

— دقيقة واحدة يا جول .. ان عندى زائرا .. ساحضر لك القهوة حالا .. ثم تحولت نحو ميجريه قائلة :

— هل من اسئلة اخرى ..

— ما هو شعورك تجاه البروفسور جوان ؟ .. هل تكرهينه ؟

— قلت لك انى لم اره على الاطلاق ..

— ولكنك ومع ذلك ، تحسين نحوه بكراهية . .اليس كذلك ؟

— اننى اكره جميع الناس الذين على شاكلته ..

— اذا افترضنا انك عندما وصلت الى الشقة صباح امس وجدت مسدسا بجانب جثة لولو او على السجادة فى مكان كان يمكن ان تصل اليه يدها .. فهل كنت تشعرين بميل الى التخلص من المسدس حتى ينتفى احتمال الانتحار ، وبذلك تحوم الشبهة حول البروفسور ؟

— وهل تعتقد اننى من الغباء بحيث اتصور ان البوليس عندما تتاح له فرصة الاختيار بين شخصية مرموقة مثل البروفسور ولقيط بائس مثل بييرو ، سيتردد فى توجيه التهمة الى الموسيقى اللقيط ؟

وصبت القهوة فى اناء كبير ، واضافت السكر ، وصاحت بأعلى صوتها مخاطبة زوجها :

— اننى آتية ..

ولم يحاول ميجريه ان يوجه اليها اى اسئلة اخرى وانكان لم ينس قبل خروجه ان يسألها عن اسم وعنوان الطبيب الذى ذهبت اليه لويز لاستشارته بخصوص حملها ..

× × ×

كان طبيبا حديث التخرج ، لايزال فى بداية العهد بممارسة مهنة الطب والعلاج ، وكانت عيادته خالية الا من مريض واحد او مريضين ومن بعض المعدات الاساسية التى اشتراها ((نصف عمر)) ، وعندما كشف له ميجريه عن شخصيته ظهر عليه اهتمام غير عادى ، واخذ ينصت الى كلام المفتش باصغاء تام ..

— اعتقد يا سيادة المفتش ، ان فتاة بالاوصاف التى ذكرتها جاءت الى عيادتى منذ بضعة أيام .

ــ هل أعطتك اسمها ؟
ــ نعم وقد دونته في تذكرة خاصة بها ..
ــ متى بدأت تحس بأنها حامل ؟

وارتبك الطبيب الشاب ازاء هذا السؤال كأنه تلميذ يمر بامتحان قاس ، لكنه حاول ان يغطي ارتباكه بمظهر من الجدية ، كما جاهد في ان يضفي على مسلكه مظهرا من الاهمية ، حيث راح يبحث وينقب داخل الدولاب المخصص لحفظ تذاكر المرضى . وكان الدولاب خاويا الا من بضعة ملفات متناثرة في ارضيته من بينها ملف يحمل اسم ((امراض النساء)) ، لم يكد الطبيب يقلب اوراقه حتى عثر على التذكرة المطلوبة ، ثم مضى يقرأ ما تتضمنه من بيانات .

ــ لويز فيلون . السن ٢٥ سنة . آنسة لم يسبق لها الزواج .. جاءت يوم السبت الماضي بتوصية من سيدة عجوز كانت قد ترددت على العيادة في الصيف الماضي لعلاجها من مرض نسائي ..
ــ ما اسم هذه السيدة العجوز .
ــ ديزيريه برو . متزوجة . سنها ٥٠ سنة .
ــ اكمل ..
ــ قالت لي لويز فيلون انها تحس باعراض الحمل ، وتريد أن تتأكد من حقيقة هذه الاعراض .

ــ لحظة من فضلك .. هل كان يبدو عليها القلق .. ؟
ــ استطيع ان اؤكد لك انها كانت تبدو هادئة تماما ، فلم يكن يظهر عليها اى أثر للقلق ، وهو امر اثار دهشتي ، لاني تعودت من اية فتاة في مثل ظروفها ان تطلب مني ، في لهفة واسترحام ، البدء في اعداد اللازم لاجراء عملية اجهاض لها .. ان هذه الحالة تتكرر عشرين مرة كل اسبوع في هذا الحي ، ولست اعرف على التحديد معدل حدوثها في الاحياء الاخرى .. بالاختصار ، وقعت الفحص الطبي على لويز وطلبت منها عينة البول المعتادة ، وعندئذ سألتني عما سأفعله بعد ذلك ، فأخبرتها اني ساجرى اختبار الارانب الذي نستطيع به التعرف على نوع الهرمونات الموجودة في بول المرأة ، وبالتالي نتأكد مما اذا كانت حاملا ام غير حامل ..
ــ وكيف كان رد الفعل في نفسها ؟
ــ سألتني بلهفة عما اذا كان هذا الاختبار يقتضي قتل ((الارنبة)) . وطلبت منها ان تعود لزيارتي في العيادة يوم الاثنين لمعرفة نتيجة الاختبار .

ـ وهل جاءت في الموعد ؟

ـ جاءت في الخامسة والنصف مساء ، وابلغتها ان نتيجةالاختبار اثبتت ، فعلا ، أنها حامل فشكرتني .

ـ وماذا قالت بعد ذلك .. ؟

ـ كانت لا تزال متشككة ولكني اكدت لها انحملها امر مقطوع به وليس فيه ظل الشك او الارتياب ..

ـ وهل كانت سعيدة بهذا الحمل ؟

ـ كانت أسعد مما يمكن ان تتصور !

واخذ ميجريه يستجمع احداث الجريمة بحسب ترتيبها الزمني .. في الساعة السادسة مساء الاثنين غادرت لولو عيادة الطبيب عائدة الى شقتها في شارع كارنو .. وفي حوالي الثامنة ـ بعد العشاء ـ نزل البروفسور ـ حسب ما قالت زوجته ـ لكي يمضي بضع دقائق في شقة لولو قبل ان يمضي في طريقه الى المستشفى ..

وحتى حوالي العاشرة ظلت لولو وحيدة في الشقة ،وفي ذلكالوقت تناولت بعض السردين المعلب وشربت قليلا من النبيذ الابيض ، ثم ذهبت ـ على ما يبدو ـ الى فراشها الذي وجد غير مرتب فيصباح اليوم التالي .. من المحتمل ان يكون ثمة رجل قد شاركها الفراش قبل مقتلها ..

وفي خلال فترة انفرادها بنفسها بالشقة .. كان بيرو قد بدا عمله في صالة جريكو ، وكان يمكنها ان تتصل به تليفونيـــا بعد انصراف البروفسور من عندها مباشرة ، ولكنها فضلت الانتظار فلم تتصل به الا في نحو التاسعة والربع اي بعد اكثر من ســـاعة من انصراف البروفسور وبعد اكثر من ثلاث ساعات من مغادرتها عيادةالطبيب..

هل اتصلت به وطلبت منه ان يقطع ساعات عمله وان ينتقل من حي « لاشابيل » الى حي « الاتوال » ويصعد اليها في شقتها ... لكي تطلعه على نبأ حملها ؟ اذا كان هذا هو ماقصدت اليه فلمـــاذا تأخرت كل هذا التأخير في الاتصال به ؟

هل قفز بيرو الى سيارة تاكسي في طريقه من صالة جـــريكو الى شارع كارنو .. ؟ لقد قالت البوابة انه مكث في شقة لولو حـــوالي العشرين دقيقة .

أما البروفسور جوان فانه ـ طبقا لما قالته البوابة وما قالتهزوجته

نفسها ـ قد عاد من المستشفى بعد الحادية عشرة بقليل ، وصــعد الى شقته مباشرة دون ان يتوقف عند الطابق الثالث حيث شقة محظيته.

وفى صبيحة اليوم التالى ، وفى الساعة الثامنة ، عندما بدأت مدام برو عملها فى الشقة وجدت لويز مقتولة فوق الكنبة فى حجرة الجلوس، وقد أصرت فى أقوالها على انها لم تعثر على اى مســدس فى مكان قريب من الجثة .

كما ان الدكتور بول الطبيب الشرعى الذى يتميز دائمــا بالدقة التامة فى تقديراته ، حدد موعد الجريمة بانه بين التاسعة والحادية عشرة . ونظرا للمكالمة التليفونية التى اجرتها لولو مع بيرو بعــد التاسعة يمكن القول بان الجريمة وقعت فيما بين التاسعة والنصــف والحادية عشرة .

أما آثار بصمات الاصابع التى أمكن اكتشافها فى الشقة فهى لاربعة اشخاص فقط هم : لولو والخادمة والبروفسور وبيير ايرود ولا احد غيرهم ! .. فقد ارسل موى خبير البصمات احد المخبــرين الى مستشفى كوشان لتصوير بصمات البروفسور جوان المدونة ضــمن الملف الذى يضم اوراق تعيينه .. بينما أمكن الحصول على بصــمات الاشخاص الثلاثة الاخرين دون اية صعوبة ، فقد كانت ثلاثتها محفوظة فى ادارة تحقيق الشخصية .

ومما لاشك فيه ان لولو لم تكن تتوقع ـ فى اللحظة التى لقيت بها مصرعها ـ أن احدا سيهاجمها من الخلف ويطلق عليها الرصاص لقد كانت ساعة مقتلها فى شعور بالاطمئنان التام والامان من كــل خطر لان قاتلها تمكن من ان يصيبها بالرصاصة القاتلة من مكان قريب جدا قال خبير الطلقات النارية انه على مسافة تتراوح مابين ٢٠ و٢٥ سنتيمترا ..

كذلك فان الشقة لم تتعرض لاى سلب او نهب او تنقيب اوتفتيش مما يدل على ان الحافز على القتل لم يكن السرقة ولا محاولة الاستيلاء على اوراق او وثائق من اى نوع .

وأفاق ميجريه من أفكاره وتصوراته على حركة الطبيب وهو يعيد تذكرة لويز فيلون الى الملف ثم يعيد الملف الى مكانه من الدولاب .

ـ شكرا يادكتور .. اعتقد انك لم تسمع شيئا عن القتيلة منذ ان زارتك هنا فى المرة الاخيرة ، اقصد ان أحدا لم يات اليك للسؤال

عنها او يتصل بك تليفونيا للاستفسار عن حملها او أى شأن آخر من شئونها ..

ـ كلا ، لم يتحدث معى احد على الاطلاق فى هذا الشأن ،ولكنى أعتقد أن خادمتها العجوز التى بعثت بها الى عيادتى تعرف أشياء كثيرة عنها ..

ـ هل قرأت نبأ مصرعها فى الصحف ؟

ـ نعم ولكنى لم أكن متأكدا تماما أنها هى .. فان الاسماء تتشابه لاسيما وأنها تقطن فى حى « الاتوال » الذى يزخر بأمهر الاطباء فى حين أن مرضاى كلهم تقريبا من أبناء حى « لاشابيل » الفقراء ، ولا أدرى ما الذى دفعها الى استشارة طبيب صغير مثلى .. على أية حال فانى كنت أتوقع أن يستجوبنى البوليس ، ولو لم تحضر أنت الى اليوم لجئت اليك بنفسى .

× × ×

وبعد بضع دقائق كان ميجريه يقف فى كابين التليفون داخل حانة صغيرة بشارع « دى دام » حيث اخذ يدير رقم منزل البروفسور جوان ..

وكان ميجريه يعلم ان البروفسور غير موجود فى البيت فى هذا الوقت من الصباح وعلى الطرف الاخر من الخط رفعت مدام جوان السماعة وتعرفت على صوت ميجريه على الفور دون ان تظهر عليها اية دهشة ، فقد شرعت تحدثه كما لو كان صديقا قديما .

ـ مرحبا مسيو ميجريه ..

ـ لقد قلت لى بالامس ان شقيقتك انطوانيت تعمل فى مكتبة عامة، هل أستطيع أن أسأل عن اسم هذه المكتبة .

ـ مكتبة البلدية بميدان سان سولبيس ..

ـ اشكرك ..

ـ هل اهتديت الى جديد .. ؟

ـ لاشىء فيما عدا ان لويز فيلون كانت حاملا ..

ـ أوه !

قالتها فى جزع .. واحس ميجريه بالندم لانه ابلغها ذلك النبأ المثير عبر اسلاك التليفون . فقد فوت على نفسه فرصة تسجيل رد الفعل الذى ظهر من انفعالها ومن تعبيرات وجهها ..

ـ هل يدهشك النبأ ؟

— يدهشنى ؟ نعم ، وربما كان من السخافة أن أندهش ، ولكنى لم اكن اتوقع ان يحدث ذلك لمثل هذا النوع من الفتيات ، فاننى انسى احيانا ان تركيبهن الجسمانى مماثل لتركيب الاخريات ..

— هل تعرفين ما اذا كان زوجك قد علم بهذا النبأ ؟
— لو كان علم به لتحدث معى بشأنه ..
— ألم يحدث أن انجب أى طفل من قبل ؟
— ابدا ..
— الا يرغب فى انجاب اطفال ؟
— انه لايعير مثل هذه المسائل اى اهتمام .. المهم اننا لم ننجب اطفالا .وأغلب الظن اننى انا السبب فى عدم الانجاب ..

وحملته سيارة البوليس السوداء الصغيرة الى ميدان سان سولبيس وهو أكره ميادين باريس جميعا الى نفس ميجريه ، فهو كلما توجه اليه شعر كأنه يخرج من اضواء العاصمة الى جو الريف الحزين .. وحتى المحلات التجارية فى ذلك الميدان كانت تبدو فى عينى ميجريه مختلفة عن سائر المحلات الاخرى ، اما المارة فكانوا يسيرون بخطوات متكاسلة ، وتعلو وجوههم امارات الكآبة .

وكان منظر المكتبة مقبضا واكثر كآبة من اى مكان آخر فى الميدان فقد كانت اضواؤها سقيمة كما كان يخيم عليها جو من السكون والوحشة يجعلها اقرب ما تكون الى كنيسة بلا مصلين .. ففى مثل هذا الوقت من النهار لم يكن يجئ اليها اكثر من ثلاثة او اربعة أشخاص يمضون معظم وقتهم فى تصفح المجلدات المكسوة بالغبار .

واخذت انطوانيت ترقبة منذ دخوله من باب المكتبة ، وكانت تبدو فوق الخمسين من العمر . وكانت تكسو نفسها بمظهر بغيض من الثقة تحاول ان توهم به من حولها انها عليمة بكل حقائق الحياة .

— انا المفتش ميجريه من المباحث الجنائية ..
— اننى اعرفك من الصور التى تنشرها لك الصحف ..

قالت هذه الجملة بصوت خفيض كأنها تقف امام محراب تحافظ بكل حواسها على قدسيته .. بيد ان الانطباع الذى احس به ميجريه هو العودة بالذاكرة الى ايام التلمذة عندما كان يقف فى احترام واجلال امام مدرسته العجوز . لاسيما حين سمحت له انطوانيت بان يجلس فى مواجهتها تفصل بينهما مائدة مغطاة بمفرش من الجوخ الاخضر تتخذ منها لنفسها مكتبا .

وتذكر ميجريه ما قالته مدام جوان عن شقيقتها انطوانيت من أنها « تعطيك صورة ناطقة لما يمكن أن تكون عليه المرة العانس » ..

وأخذ يرمقها من قريب فوجدها اكثر بدانة من شقيقتها زوجة البروفسور ، ولكنها اقل منها حيوية . وكان وجهها يبدو بلا تعبير ، او بالاحرى بتعبير لامعنى له تماما مثل ذلك التعبير الجامد الذى يرتسم على وجوه الراهبات اثناء تجوالهن خارج الدير .

ـ اعتقد انك جئت الى هنا لكى توجه لى بعض الاسئلة ..

ـ اعتقادك فى محله .. لقد أبلغتنى شقيقتك أنك كنت فى زيارة لها ليلة أول أمس ..

ـ هذا صحيح ، فقد وصلت عندها فى نحو الثامنة والنصف ، واستمرت الزيارة حتى الحادية عشرة والنصف . فقد اضطررت الى الانصراف بمجرد أن عاد الشخص الذى تعرفه ..

كانت مرتاحة الى استخدام كلمة « الشخص » التى شحنتها بكل ما فى نفسها من احتقار وكراهية لزوج شقيقتها ، فقد بلغ بها بغضها للبروفسور حدا جعلها لاتطيق أن تنطق باسمه .

ـ هل يحدث كثيرا أن تقضى المساء فى بيت شقيقتك ؟

وبدا على المرأة ماجعل ميجريه يشك فى أنها ـ هى الاخرى ـ على جانب كبير من الحذر ، وانها ربما كانت أكثر تحفظا وتكتما من البوابة أو من مدام برو .. فإن الشاهدتين الاخريين كانتا تتحوطان فى كل كلمة لخوفهما من ان تثيرا الشبهات حول البروفسور .. أما هذه الشاهدة الجديدة فهى ، على العكس .. تتحوط فى كل كلمة لخوفها من أن تقول شيئا يبرىء البروفسور ..

وأجابت فى أسف ..

ـ ان مثل هذه الزيارة لاتتم الا فيما ندر ..

ـ هل معنى ذلك انك لا تزورين شقيقتك الا مرة كل ستة اشهر مثلا .. أم مرة كل سنة .. أم مرة كل سنتين ؟

ـ ربما كان الاصوب مرة كل سنة ..

ـ هل تمت هذه الزيارة بناء على موعد سابق ..

ـ لا اظن ان الاخت تحتاج الى تحديد موعد لزيارة أختها ..

ـ هل ذهبت الى هناك دون ان تعرفى ما اذا كانت اختك موجودة فى البيت أم لا ..؟ اليس لديك تليفون فى منزلك ؟

ـ بلى ..

— ألم تتصلى بشقيقتك قبل أن تتم الزيارة ؟
— هى التى اتصلت بى ..
— هل اتصلت لكى تطلب منك زيارتها ..؟
— كلا .. وانما تحدثنا معا فى موضوعات مختلفة ..
— ماهى هذه الموضوعات ..؟

— كان معظمها يدور حول الاسرة .. فان شقيقتى لم تتلق من أسرتنا خطابات منذ مدة طويلة ، فى حين أنى أكثر اتصالا بشقيقينا وشقيقاتنا الاخريات .

— هل قالت لك انها ترغب فى رؤيتك ؟
— لم تقل ذلك تماما .. وانماسالتنى عما اذا كنت غير مشغولة؟
— كم كانت الساعة حينئذ ؟
— حوالى السادسة والنصف وكنت قد عدت توا الى بيتى وبدأت فى اعداد الطعام ..

— ألم تكن هذه المكالمة مدعاة لاستغرابك ..؟
— لا ، وانما أردت فقط أن استيقن من أن « ذلك الشخص » لن يكون موجودا ، ولن يهبط علينا أثناء زيارتى .. ماذا قال لك عن هذه الزيارة .
— هل تقصدين البروفسور جوان ؟
— نعم ..
— اننى لم استجوبه بعد ..

— لماذا ؟ هل تعتقد أنه برىء ..؟ الانه جراح مشهور وعضو فى أكاديمية الطب ، و ..

ودون أن ترفع عقيرتها أخذت نبرات صوتها ترن وسط السكون الموحش ، ولكن ميجريه لم يتركها تسترسل ، وانما قاطعها بصوت هادىء ..

— ماذا حدث بعد أن وصلت الى شارع كارنو ؟
— اخذت المصعد ، وفتحت لى شقيقتى الباب ، فقبلتها ، ثم خلعت معطفى وقبعتى ..
— أين جلستما ؟
— فى الحجرة الصغيرة المجاورة لغرفة نوم شقيقتى والتى تسميها حجرة تغيير الملابس .. فان حجرة الجلوس الكبيرة تبدو رسمية جدا ، ولا تستخدم الا نادرا ..

ــ وماذا فعلتما ؟

ــ فعلنا مانفعله عادة أية شقيقتين فى مثل عمرينا عندما تتقابلان بعد فرقة استمرت لمدة أشهر .. جلسنا نتسامر ونتبادل الحديث.. ونقلت لها ــ من جانبى ــ أخبار جميع أفراد الاسرة ، وخصصت جانبا من حديثى لاخبار ابن عمنا فرانسوا الذى رسم قسيسا فى العام الماضى ، وأخذ يتاهب الان للسفر الى شمال كندا لكى يبدأ عمله هناك كمبشر ..

ــ هل قدمت لك شقيقتك اى شراب ؟

وفاجاها هذا السؤال الذى جعلها تحس بالخجل الى درجة أن لون وجهها تغير قليلا ..

ــ شربنا قهوة فى البداية ..

ــ وبعد ذلك ؟

ــ عطشت عدة مرات وقلت لشقيقتى اننى أخشى أن أكون قد أصبت ببرد عند نزولى من المترو وأنا فى الطريق الى بيتها ، فقد كان الهواء داخل المترو ساخنا ، كذلك كانت شقة أختى دافئــة الى درجة السخونة ..

ــ هل كان الخدم موجودين بالشقة ؟

ــ كان هناك الطباخ وخادمة واحدة عند وصولى ، وقد أوى كل منهما الى فراشه فى حوالى التاسعة بعد أن استاذنا وتمنيا لنا ليلة طيبة .. ان شقيقتى تحتفظ بنفس الطباخ منذ ١١ عاما ، أما الخادمات فانهن يتغيرن باستمرار .. وأظن أن أسباب هذه الظاهرة الغريبة فى غير حاجة الى ايضاح ؟

ولم يحــاول ميجريه استيضــاح هــذه الاسباب ، فقــد كان يفهمها جيدا ..

ــ اذن ، فقد كنت تعطسين ..

ــ واقترحت شقيقتى أن تعد لى قدحا من التودى الساخن ، ثم ذهبت بنفسها الى المطبخ لاعداده ..

ــ وماذا فعلت أثناء فترة تغيب شقيقتك خارج الحجرة ؟

ــ أخذت أتصفح احدى المجلات واسترعى نظرى فيها مقال عن قريتنــا ..

ــ هل طال انتظارك لشقيقتك ..؟

ــ لم أنتظر أكثر من الوقت اللازم لغلى كوبين من الماء ..

ـ فى زياراتك السابقة لشقيقتك .. هل كنت تنتظرين الى حين وصول البروفسور قبل أن تنصرفى ؟

ـ لقد كنت احاول دائما ان أتجنب لقاءه ..

ـ هل كانت عودته ليلة أول امس مفاجأة لك ؟

ـ كانت شقيقتى قد أكدت لى أنه لن يعود قبل منتصف الليل .

ـ كيف كان يبدو ؟

ـ كما هو دائما .. رجل يتصور نفسه فوق مستوى القوانين الطبيعية والقيم الاخلاقية والمثل العليا .

ـ ألم تلاحظى عليه أى انفعال ؟

ـ لم أحمل نفسى مشقة ملاحظته ، فقـد سارعت الى ارتداء معطفى وقبعتى وخرجت وأغلقت الباب خلفى ..

ـ وفى خلال ساعات تسامركما ، ألم تسمعا اية ضوضاء قريبة الشبه بصوت اطلاق الرصاص ؟

ـ كلا .. فحتى الحادية عشرة كان أحد السكان بالطابق الاعلى يعزف على البيانو بعض مقطوعات اعتقد أنها من تاليف شوبان .

ـ هل كنت تعرفين ان عشيقة زوج أختك حامل ؟

ـ ســواء عرفت أو لم أعرف .. فهذا أمر لايثيرنى ولا يهمنى على الاطلاق ..

ـ هل ذكرت لك أختك شيئا عن هذا الحمل ؟

ـ انها لم تتحدث قط عن هذه الفتاة ..

ـ ألم ترو لك اى شىء عن لويز خلال زياراتك السابقة ؟

ـ لا ..

ـ ولكنك تعرفين كل شىء عن الفتاة ..؟

وتضرج وجهها فقد أحست ان المفتش اكتشف كذبها ..

ـ لابد أنها تحدثت عن الفتاة فى البداية عنـدما نقلهـا ذلك « الشخص » لكى تسكن فى نفس العمارة ..

ـ هل كانت شقيقتك مستاءة من هذا النقل ؟

ـ ان لكل شخص آراءه وافكاره الخاصة . ولا شك أن اية سيدة مكان شقيقتى تحكم عليها الظروف بأن تعاشر مثل هذا الزوج كل هذه السنين ، لابد وأن تهتز فى نظرها جميع القيم !

ـ معنى ذلك أن اختك لم تكن تحاسب زوجها على علاقاته ولم تعارض فى سكن لويز فيلون فى الطابق الاسفل لسكناها مباشرة ..

ـ ما الذى تهدف اليه من كل هذه الاسئلة ؟

ووجد صعوبة فى الاجابة علىهذا السؤال ، فقد كان كلمايسعى اليه هو تكوين فكرة شاملة دقيقة بقدر الامكان ، عن الاشخاص الذين لهم صلة بالقتيلة وعن القتيلة ذاتها .

وتوقفت انطوانيت عن الكلام عندما جاء شابيطلب بعض الكتب، فقد قامت معه تاركة ميجريه وحده لبضع دقائق .. وعندما عادت كانت قد اختزنت فى نفسها شحنة جديدة منالحقد على زوجشقيقتها ، فلم تترك لميجريه فرصة توجيه سؤال جديد ، وانما بادرته قائلة .

ـ متى ستلقى القبض عليه ؟

ـ هل تعتقدين أنه هو الذى قتل لويز فيلون ؟

ـ ومن غيره يمكن أن يكون القاتل ؟

ـ من الجائز أن يكون عشيقها الاخر بييرو .. مثلا !

ـ وما الاساس الذى تبنى عليه توجيه التهمة الى هذا الشاب؟

ـ الغيرة .. أو ربما لانها كانت تعتزم هجرانه ..

ـ ولماذا لاتقول ان الرجل العجوز كان يعانى من الغيرة اكثر من الشاب ؟ ألا ترى أن شخصا فى مثل سنه لابد أن يجن عندما يرى الفتاة تفضل عليه رجلا ثانيا أكثر شبابا ..؟ ثم لماذا لاتفترض أن الفتاة قررت الهرب منه هو ؟ اليس ذلك هو الاقرب الىالمنطق؟

كانت تبذل كل جهدها لكى تستميله الى الاقتناع بوجهة نظرها ، ولكى تضع فى روعه أن البروفسور هو المجرم الحقيقى ..

ـ لو كنت عرفته على حقيقته لادركت أنه لايرعى أى حرمة للحياة الادمية ولا يفكر كثيرا قبل أن يقدم على ازهاق روح أىانسان

ـ اننى أعتقد ـ على العكس ـ أنه يكرس نفسه لانقاذالبشر.

ـ كلام فارغ !.. ان كل مايهدف اليه هو الظهور أمام العالم بمظهر أعظم جراحى عصره ، والدليل على ذلك أنه لايجرى غير الجراحات الصعبة .

ـ ربما كان السبب هو أن الاطباء الاخرين يستطيعون علاج الحالات السهلة ..

ـ انك تدافع عنه بدون أن تعرفه !..

ـ اننى احاول الوصول الى الحقيقة .

ـ ان الامر ليس بهذا التعقيد الذى تتصوره ..

ـ هناك دليل واحد ، على الاقل ، ينفى عن البروفسور تهمة القتل .. فبناء على تقرير الطبيب الشرعى ـ وهو قلما يخطىء ـ حدثت الوفاة قبل الساعة الحادية عشرة ، فى حين أن البوابة رأت البروفسور وهو يدخل من باب العمارة بعد الحادية عشرة ، ثم شهدته يأخذ المصعد الى الطابق الرابع مباشرة دون أن يمر بالطابق الثالث ..

ـ وما يدريك أنه لم يغادر المستشفى مرة سابقة فيما بين التاسعة والنصف والحادية عشرة ؟

ـ الامر فى غاية البساطة .. نستطيع الاتصال بالمستشفى لمعرفة ماذا كان البروفسور انقطع عن العمل خلال تلك الفترة ..

ـ وهل اتصلت بالمستشفى ؟

وهنا جاء الدور على ميجريه لكى يحمر وجهه خجلا ..

ـ لم اتصل بعد !

ـ الافضل لك أن تتصل بالمستشفى وتتأكد بنفسك !.. فان ذلك أجدى من تجنيد رجالك لمطاردة ذلك الشاب المسكين الذى لم يرتكب اثما ..

ـ انك تكرهين البروفسور ؟

ـ اننى أمقته هو وأمثاله من المنحرفين !

قالت هذه الكلمات بعنف وحرارة جعل الثلاثة أو الاربعة قراء الموجودين فى المكتبة يرفعون اعينهم فى وقت واحد ، عن الكتب التى بين أيديهم ..

وقبل أن ينصرف ميجريه قالت له انطوانيت بازدراء :

ـ لقد نسيت قبعتك ..

ـ ظننت انى تركتها عند المدخل ..

وظهرت عليها علامات التقزز وهى تشير باصبعها من بعيد الى القبعة الموضوعة على المفرش الاخضر فوق المائدة ، فقد كانت ترى أن وجود قبعة رجل فى مكان قريب منها خطيئة لاتغتفر .

كانت انطوانيت على حق ! . .
فان الصواب لم يجانبها عندما اثارت نقطة هامة في التحقيق، وهي احتمال أن يكون البروفسور هو القاتل .. فمن الممكن — من الناحية النظرية — أن يكون البروفسور قد غادر المستشفى خلال فترة ارتكاب الجريمة ثم عاد الى استئناف عمله دون أن يحس به أحد .

ولم يتصل ميجريه بالمستشفى تليفونيا ، وانما وجد من الاصوب ان يتوجه الى هناك بنفسه ، لكي يستطيع ان يعاين مخارج المستشفى ومداخله ومكان الحجرة الخاصة بالبروفسور وامكان مغـــادرته له والعودة اليه ليلا دون ان تقع عليه عين ، وغير ذلك من الملاحظات الاخرى التي يمكن على اساسها تاييد او نفي اتهام البروفسور .

وعندما وصل ميجرية الى مستشفى ((كوشان)) الذي يقع في حي ((سان جاك)) كان البروفسور جوان قد غادره ومعه ممرضـــته الخصوصية مدموازيل ديكو ، في طريقهما الى مستشفى سان جوزيف الواقع في حي آخر بعيد .. ونظر ميجريه الى ساعته فوجدها جاوزت الحادية عشرة ، وعندئذ تذكر ما قاله البروفسور للمخبر جانفييه ، عندما التقى به منذ نحو ساعتين في شقة القتيلة ، من أنه سيبقى في مستشفى كوشان حتى تمام الحادية عشرة . وشعر ميجريه بالارتياح لانه لن يقابل البروفسور ، فالحقيقه انه كان — لاسباب لا يعرفها — لايرغب في مواجهة ذلك البروفسور العملاق في هذه المرحلة الراهنة من التحقيق ..

وكان قسم الجراحة الذي يرأسه جوان يقع في الطابق الثاني من المستشفى ولم يستطع ميجريه الصعود اليه الا بعد مفاوضات طويلة

مع موظف الاستعلامات الذى اشترط عليه أولا الحصول على اذن خاص من المدير العام .. وفى الممر الطويل المؤدى الى قسم الجراحة كانت الممرضات يرحن ويجئن فى خفة ونشاط وكان عددهن اكثر مما توقع ميجريه ، ولمح بينهن واحدة فى أواسط العمر ، وخط الشيب مفرقها ، وبدت اكثر اتزانا من زميلاتها ، وعندما مرت به استوقفها قائلا :

— هل أنت رئيسة الممرضات ؟

— أنا رئيسة نوبة النهار ..

وكشف لها عن شخصيته ثم أفهمها انه يريد ان ينفرد بها قليلا لكى يوجه اليها بعض الاسئلة ..

— عم تريد ان تسالنىعلى وجه التحديد ؟

— عن نظام العمل بالمستشفى وغرف استراحة الاطباء و . . .

ولم يقو ميجريه على الاعتراف بانه انمـــا اراد ســـؤالها عن البروفسور جوان على وجه التحديد !

وقادته الى باب حجرة مكتب صغيرة ، وفتحت الباب ، ولكنها لم تدعه الى الدخول ..

— هل هذه هى غرفة العمليات التى تبدو فى نهاية الممر ؟

— نعم ، انها واحدة من غرف العمليات ..

— ماذا يحدث عندما يقضى احد الجراحين طرفا من الليل فى المستشفى ؟

— لست افهم قصدك .. هل تعنى عندما يجىء أحد الجراحين الى هنا لاجراء عملية ؟ ..

— ليس هذا بالضبط ماأقصده .. ان لم اكن مخطئا فانه يحدث احيانا ان يتواجـــد الجراحون هنا خلال الليل لاســباب اخرى كان يكونوا ، مثلا ، فى انتظار نتائج جراحة خطيرة ، أو تتبع تطورات احدى الحالات التى تدعوالى القلق ..

— نعم ، ان ذلك يحدث فى احيان كثيرة .. لكن ما اهميته بالنسبة لك ؟

— أين يمضون الليل فى مثل هذه الاحيان ؟

— ليست هناك قاعدة عامة . فان الامر يختلف تبعا للظروف ..

— أية ظروف ؟

— ظروف الجراحة ذاتها .. اذا لم تكن تقتضى منهم الانتظـــار

لفترة طويلة فانهم يستخدمون غرفة مكتبى كاستراحة ، أو يتجولون فى هذا الممر ذهابا وجيئة .. أما اذا كان الامر يحتاج الى انتظار عدة ساعات فانهم يصعدون الى بيت الاطباء فى الطابق العلوى وهو ركن مخصص لراحتهم واقامتهم ويمكن استدعاؤهم منه فى اية لحظة عند حدوث أى طارىء .

— هل يصعدون بواسطة السلالم ؟ ..

— بواسطة السلالم أو بواسطة المصعد .. وهناك غرفتان أو ثلاث غرف معدة لاستقبالهم فى أى وقت وهى تقع فى الطابق الرابع ، وفى معظم الاحوال يلتزمون بالبقاء داخل احدى هذه الغرف الى حين استدعائهم .

وبدا من الواضح عليها انها مندهشة من هذه الاسئلة ومن الهدف الذى يرمى اليه المفتش من كل هذه الاستفسارات ، فهى لم تكن تعرف شيئا عن الحادث لان الصحف لم تشر الى اسم البروفسور جوان من قريب او بعيد هى تروى التفاصيل الكثيرة عن ملابسات مقتل لويز فيلون وربما لم يكن احد فى المستشفى كله يعرف حقيقة علاقة البروفسور بالقتيلة ..

— أليس من الممكن أن أتحدث مع أى شخص كان يعمل فى النوبة الليلية أول أمس ؟

— بعد الساعة الثامنة مســاء ؟

— نعم فى الليلة قبل الماضية ، أى ليلة الاثنين — الثلاثاء ..

— ان جميع الممرضات الموجودات هنا الان يعمل فى نوبة النهار ، وبالتالى فانهن مثلى — يتغيبن عن المستشفى اثناء الليل .. ولكن من المحتمل أن احدا من الاطباء المقيمين كان يقوم بالخدمة فى الليـــلة التى ذكرتها .. يمكنك الانتظار لحظة ؟

ومضت تفتح ابواب ثلاث أو أربع غرف على التوالى وتتطلع الى داخل كل منها بنظرات باحثة ، ثم عادت بعد قليل وبرفقتها شـــاب طويل بارز العظام احمر الشعر يضع على عينيه نظارة سميكة ، واشارت له الى ميجريه قائلة :

— انه أحد رجال البوليس السرى ..

ثم دلفت الى داخل حجرتها ، وجلست خلف مكتبها الصغير دون أن تقدم الشاب الى ميجريه أو تهتم بدعوة الرجلين للدخول الى

الحجرة رغم انها تركت بابها مفتوحا ..

وبدأ ميجريه بتقديم نفسه ، وعندئذ قال الطبيب الشـــاب :

— مسيو ميجريه .. انني اعرفك ! هل استطيع ان اؤدى لـــك اية خدمة ؟

— هل كنت موجودا هنا ليلة الاثنين — الثلاثاء ؟

— لقد امضيت جانبا كبيرا من تلك الليلة هنا ، فقد كان البروفسور قد اجرى جراحة هامة لطفل رضيع بعد ظهر يوم الاثنين وكانـــت الجراحة عسيرة للغاية فطلب منى ان ابقي بجانب الطفل لاراقب واسجل بنفسي كل مايجد في حالته من تطورات ..

— ألم يعد الى المستشفى في المساء ؟

— عاد ، وامضى فترة طويلة من الليل بالمستشفى ..

— هل أمضى كل هذه الفترة معك في هذا الطابق .. ؟

— وصل بعد الثامنة بقليل ومعه سكرتيرته وتوجهنا جميعا على الفور الى غرفة الطفل المريض ومكثنا معه بعض الوقت ننتظر اى تحسن في حالته ولكن أملنا لم يتحقق تماما ، فان الجراحة لم تنجح مائة في المائة كما كنا نتوقع وكما هو المعتاد في اية جراحة يجريها البروفسور بنفسه .. هل اشرح لك تفاصيل الحالة ؟

— لاداعى فانني لن أفهم كلمة واحدة منها .. ولكن ، قل لى : هل مكثتم مع الطفل مدة طويلة ؟

— لم تكن المدة طويلة جدا ، كما انها لم تكن ايضا ، قصيرة ..

— ساعة مثلا .. أو ســـاعتين ؟

— اقل من ساعة .. وبعدها اصرت مدموازيل ديكو على ان يصعد البروفسور الى غرفته الخاصـــة ببيت الاطباء ليســـتريح قليلا ، خصوصا وانه كان قد اجرى جراحة عاجلة في الليلة السابقة .. وصعد البروفسور فعلا الى الطابق الرابع لكى يسترخي ويستجم ..

— ما نوع الملابس التى كان يرتديها عند صعوده .. ؟

— ملابسه العادية التي جاء بها من بيته .. اذ لم يكن يتوقع ان يجرى اية جراحة ولم تكن به حاجة الى دخول غرفة العمليات ..

— هل بقيت مدموازيل ديكو معك ؟

— بقيت دقائق معدودة ثم غادرت حجرة المريض ..

— الى اين ؟

ــ قالت انها ستلحق بالبروفسور لترى ما اذا كان يحتــاج الى شيء .. ثم عادت بعد حوالى ساعة ونصف ساعة ..

ــ ومتى عاد البروفسور ؟

ــ نزل بعدها بنصف ساعة اى قبل الحادية عشرة بقليل ، وتوجهنا كلنا مرة ثانية الى حجرة الطفل المريض وكنت انا قد ظللت اتابع فحصه مرة كل ١٥ دقيقة .. وابلغت البروفسور بالتطورات الاخيرة ، فقال لى ان فترة الخطورة قد مرت بسلام . ثم استدار خارجا فى طريق عودته الى بيته .

ــ ومعه مدموازيل ديكو .. ؟

ــ انهما دائما يأتيان معا وينصرفان معا ..

ــ معنى ذلك ان البروفسور ظل متغيبا عن هذا الطابق طوال الوقت ما بين التاسعة الا الربع حتى الحادية عشرة .. ؟

ــ كان فوق ، فى الطابق الرابع .. باحدى غرف الاطباء ، وكان من الممكن استدعاؤه فى اى وقت خلال هذه الفترة .. لقد كان متغيبا حقا ، ولكنه كان تحت الطلب دائما كأنه موجود تماما ..

ــ هل طلبه احد خلال فترة تغيبه ؟

ــ لا ..

ــ هل كان فى امكانه مغادرة المستشفى دون ان يخطر احدا .. ؟

ــ ممكن جدا ، اذا نزل بواسطة السلالم ..

ــ هل كان من الممكن أن يخرج من باب المستشفى دون أن يلفت اليه نظر الموظف الجالس عند المدخل ؟ ..

ــ هذا ممكن ايضا .. فان موظفى المستشفى لا يلقون اهتمــاما كبيرا لدخول الاطباء وخروجهم وخصوصا اثناء الليل .

ــ اشكرك على هذه المعلومات .. هل استطيع ان اعرف اسمك ؟

ــ مانسوى ..

ــ الاسم بالكامل ؟

ــ راؤول مانسوى ..

ــ حسنا ..

ــ اعتقد انه ليس من حقى ان اسأل عن سبب كل هذا الاهتمام بالبروفسور .. ؟

وكان ميجريه قد شرع فى الانصراف ومد يده الى الطبيب الشــاب مصافحا ثم استدار سائرا فى الممر الطويل فى طريقه الى المصعد ونزل

الى الطابق السفلي ، وعبر فناء المستشفى حيث وجد سيارةالبوليس السوداء الصغيرة تنتظره امام الباب الخارجي ..

لقد وجد في كلام الدكتور مانسوى ما يؤيد التهمة الموجهة الى البروفسور جوان من جانب شقيقة زوجته . فمن المحتمل جدا — من واقع نظام المستشفى — ان يكون البروفسور قد انتهز فترة استراحته ليتوجه سريعا الى شارع كارنو ثم يعود دون ان يلحظ احد غيابه .

وعندما وصل ميجريه الى مبنى المحافظة كان تفكيره مشغولا بالبروفسور الى درجة انه نسى ان يلقى بنظرته المعتادة عبر النافذة الى حجرة الانتظار وقبل ان يدخل الى مكتبه سار من امام غرفة المفتشين حيث هب المخبر لوكاس على الفور لكي يستوقفه .

— سيدى المفتش .. لقد حصلت على معلومات من مستشفى بيزير ..

وكان ميجريه قد اوشك ان ينسى امر هذا المستشفى وامر والد لويز فيلون الذى كان يحل بها منذ سنوات ..

— ان الرجل مات من ثلاث سنوات متأثرا بحالة تليف فى الكبد . وكان آخر عمل يزاوله قبل دخوله الى المستشفى هو بيع «الكرشة» بالقرب من سلخانة « لافيليت » !

لقد مات والد لويز منذ ثلاث سنوات .. وماتت أمها منذ سبع سنوات ، ولم يظهر لها اى اقارب آخرين ولو بحافز من المطالبة بنصيبهم فى ميراثها ان كان ما خلفته يمكن ان يسمى « ميراثا » ..

— هناك رجل فى حجرة الانتظار جاء منذ نصف ساعة . ويقول انه يريد التحدث اليك فى امر هام ..

— ما اسمه ؟

— لوى ..

— هل هو موسيقى ؟

— يقول انه يعمل عازفا فى صالة جريلو ..

— آتنى به ..

ودخل ميجريه الى غرفة مكتبه وخلع قبعته ومعطفه . وجلس خلف المكتب ، وانتقى غليونا من بين مجموعة الغلايين المكدسة بجانب مقبض النشافة ، وبعد بضع لحظات كان عازف الاكورديون يدخل الى الغرفة برفقة لوكاس .

— تستطيع ان تتركنا وحدنا يا لوكاس ..

كان يبدو على لوى التوتر والاضطراب ، واخذ يدور بعينيه في انحاء الغرفة قبل ان ينتقي له مقعدا يجلس عليه وتململ عند الجلوس كأنما يخشى من ان تكون ثمة مصيدة اعدت له . وقال ميجريه يطمئنه :

— تستطيع ان تخلع معطفك اذا شئت ، فان حديثك معي — كما ارى — سوف يطول ..

— لا داعي ، فالامر كله لن يحتاج الا الى بضع دقائق .. لقد اتصل بي تليفونيا .

— متى ؟

— هذا الصباح بعد الساعة التاسعة بقليل ..

والقى لوى نظرة فاحصة الى المفتش ، وسكت هنيهة ، ثم سأل :

— الا تزال عند وعدك .. ؟

— تقصد ما قلته لك بالامس ؟ طبعا .. اذا كان بيرو بريئا فليس له ان يخاف ..

— انه لم يقتلها .. والا لكان قد اخبرني ..

— ما الذي قاله لك ؟

— لقد نقلت اليه رسالتك ، واوضحت له انك مستعد لمقابلته في اى مكان يشاء وفي اى وقت يريد وانك ستطلق سراحه بعد انتهاء المقابلة .

— ولكن هناك نقطة ينبغي ان اوضحها لك من الان حتى يكون كل منا على بينة من الاخر .. فلست اريد ان يقع اى خطأ او سوء فهم .. اذا وجدت ان بيرو برىء فسيكون في امكانه ان ينصرف حرا طليقا دون ان يخشى اية مطاردة بعد ذلك . اما اذا وجدت انه مذنب او لمست منه ما يبعث على الارتياب فانى اعد بالا استغل مقابلته لي ، اقصد انى ساتركه يذهب من حيث جاء ولكن عمليات البحث عنه سوف تستانف على الفور ، هل تفهم الان .. ؟

— نعم ، وهذا الكلام — تقريبا — هو ما ابلغته به ..

— وماذا قال ؟

— قال انه مستعد للقائك والاجابة على كل اسئلتك ، فليس لديه ما يخفيه ..

— هل سيحضر لمقابلتي هنا ؟

— نعم ، ولكن بشرط ..

— ما هو .. ؟

— الا يتعرض له احد من رجالك او يمسه اى سوء وهو فى طريقه الى هذا المبنى .

— حسنا ..

— وهناك شرط آخر ..

— هيه .. ؟

— الا يحضر المقابلة احد من المصورين او المخبرين الصحفيين ، حتى لا يتخذوا منه مادة لملء اعمدة صحفهم !

كان لوى يتكلم بتؤدة ويزن كل كلمة قبل ان ينطق بها ، ولم تكن عيناه — طوال الوقت — تتحولان عن عينى ميجريه .. وانقطع الحديث لحظة ثم عاد المفتش يسأله :

— هل يمكنك الاتفاق معه على التعجيل بالمقابلة ؟ كم من الوقت يلزم للاعداد لها ؟

ونظر الى الساعة فوجدها لم تتجاوز الثانية عشرة ظهرا . وكان من المعتاد ان يهـدأ مبنى المحافظة تمـاما ويكاد يخلو من الزوار والموظفين فى الفترة ما بين الثانية عشرة والثانية بعد الظهر وبالتالى فان هاتين الساعتين من النهار هما الفترة التى يؤثرها ميجريه على غيرها القيام بالاعمال التى تحتاج الى الكثير من الدقة ، كمـا انه يخصصها — قدر استطاعته — لاجراء اى تحقيق او اسـتجواب ذى طابع حساس .

— انه يستطيع ان يكون فى هذه الغرفة خلال نصف ساعة ..

— انصت اذن .. فى هذه الحالة يلزم اتخاذ بعض الاحتيـاطات .. اعتقد انه لا يزال لديه بعض النقود ، اخبره بان يأخذ تاكسى الى الجانب المواجه المخزن الواقع على رصيف « الاورلوج » ففى هذا المكان لا يوجد الا القليل النادر من الناس ، وبذلك نتأكد من ان احدا لن ينتبه اليه او يتعرف على شخصيته ، وسأرسل انا واحدا من المخبرين لانتظاره عند بوابة المخزن لكى يرافقه الى هنا عن طريق فناء قصر العدالة .. وتستطيع ان تؤكد له ان المقابلة ستجرى فى تكتم تام ..

ونهض لوى وهو يحس بثقل المسئولية التى يتحملها تجاه صديقه وزميله ، ثم ثبت عينيه على وجه المفتش وهو يصافحه مودعا ويشد على يده :

ـــ انني اثق في وعدك وفي كل كلمة قلتها لي .. وسيتم كل شيء في ظرف نصف ساعة او ساعة على الاكثر ..

ولم يلتفت اليه ميجريه وهو يخرج ، وانما امسك بالتليفون واتصل بمطعم ((دوفين)) ..

ـــ ارسلوا وجبة غداء لشخصين ومعها اربع زجاجات بيرة من الحجم الكبير ..

ثم تحدث مع زوجته لكي يخبرها انه لن يستطيع العودة الى المنزل لتناول الغداء .

وفي لحظة من الاحساس بعبء المهمة التي يحملها على عاتقه .. غادر الحجرة متوجها الى مكتب مدير المباحث العامة لكي يبلغه بالتجربة الجديدة التي يعتزم اجراءها ولكي يستأنس ايضا برأيه ..

ـــ هل تعتقد انه برىء ؟

ـــ الى ان يثبت العكس .. واذا كان مذنبا فليس من المعقول ان يسعى بقدميه الى مقابلتي ، اللهم الا اذا كان من عتاة المجرمين !

ـــ البروفسور اذن ؟ ..

ـــ لا اعرف .. حتى الان لا استطيع ان اجزم بشيء ..

ـــ هل استجوبته ؟

ـــ كلا ، ولكن جانفييه اجرى معه محادثة قصيرة صباح اليوم ..

وادرك مدير المباحث ان من غير المجدي توجيه اى اسئلة او استفسارات اخرى فقد كان ميجريه ، غارقا في تأملاته ممعنا في التشبث حتى النهاية بالاتجاه الذي اتبعه في التحقيق ، وهو في مثل هذه الحالة يضاعف من عزوفه المعتاد عن الكلام لذلك فهو لم يزد شيئا على ان قال :

ـــ لقد وجدنا ان القتيلة حامل ..

كان هذه هي الحقيقة الوحيدة التي تذالفه !

وعند عودته الى حجرة المفتشين وجد ان المخبر لوكاس لم يخرج بعد لتناول غدائه ..

ـــ هل استطعتم العثور على سائق التاكسي الذي اقل البروفسور الى بيته ليلة الحادث ؟

ـــ كلا يا سيدي ، وليس هناك امل في العثور عليه قبل المساء ، فان جميع سائقي نوبة الليل يغطون الان في النوم .

ـــ وربما كان من الاصوب ان تبحث عن اثنين من هؤلاء السائقين .

ـ لست افهم ما تعنيه ..

ـ من الجائز ان يكون البروفسور قد عاد من المستشفى الى شارع كارنو مرتين فى تلك الليلة .. كل مرة فى سيارة تاكسى غير الاخرى ..

ـ ما زلت لا افهم ..

ـ يحتمل ان البروفسور ـ قبل مغادرته المستشفى فى الحادية عشرة ـ قطع ساعات عمله قبل العاشرة بقليل وخرج ثم عاد دون ان يحس به احد .

ـ حسنا .. سأتأكد من ذلك بنفسى ..

واخذ ميجريه يبحث حواليه عن المخبر الذى سيذهب لانتظار بيرو واصطحابه الى داخل المحافظة ، ووقع اختياره فى النهاية على لابوانت ..

ـ اذهب الى المخزن وقف عند بوابته وراقب حركة المرور الى ان ترى سيارة تاكسى تقف على الجانب المواجه لك وينزل منها شاب .. انه عازف الساكسوفون ..

ـ هل قرر تسليم نفسه اخيرا .. ؟

ـ سيجىء الى هنا للتحدث معى .. عليك ان تعامله برفق وان ترافقه الى غرفتى عن طريق عبور فناء وممرات قصر العدالة . دون ان تستلفتا نظر احد ، فقد اعطيته وعدا بأن رجال الصحافة لن يتعرضوا له أو يكشفوا وجوده .

وكان مخبرو ومصورو الصحف يتجولون بصفة تكاد تكون دائمة داخل ممرات المحافظة وقصر العدالة . الا انه لم يكن من العسير مغافلتهم للحظات معدودة .

وعندما عاد ميجريه ثانية الى حجرته وجد صينية طويلة فوق مكتبه وفوقها الوان شتى من الساندوتشات ، وزجاجات البيرة الاربع ، ولم يتناول شيئا من الطعام وانما مد يده الى احدى زجاجات البيرة وافرغها فى كوب كبير ثم اخذ يتناولها على جرعات كبيرة وهو واقف على قدميه . وبين الحين والاخر كان يلقى نظرة عبر النافذة الى السفن الصغيرة التى تنساب فوق صفحة نهر السين المصطبغة باللون الرمادى .

وبعد ربع ساعة سمع اصوات اقدام رجلين تتحرك فى المم

الخارجى منجهة نحو الحجرة ، ثم انفتح باب الحجرة وظهر الرجلان .. انهما لابوانت وبيرو ..

وباشارة من يد ميجريه انسحب المخبر لابوانت تاركا بيرو وحده عند الباب مترددا بين الاقدام والاحجام ..

— تعالى يا بيرو .. ادخل !

كان وجهه شاحبا مثل لون البيرة ، وتحت عينيه ظلال داكنة ، وكانت قسمات وجهه تنم عن انه مشدوه من فرط الاضطراب..ومضى ينظر فى ارجاء الغرفة تماما كما فعل صديقه منذ نصف ساعة . كأنه يتوقع ان يجد شركا منصوبا له .

وقال ميجريه مطمئنا :

— لا يوجد احد فى الغرفة غيرك انت وانا .. تستطيع ان تخلع معطفك اذا اردت ..

وخلع بيرو معطفه وناوله الى ميجريه الذى وضعه باعتناء فوق مسند احد كراسى الغرفة ..

— هل تتناول بعضا من الشراب .. ؟

ومد يده بكوب من البيرة . ثم ملأ كوبا آخر لنفسه .

— اجلس يا بيرو .. استرح .. لقد كنت موقنا انك ستجىء ..

— لماذا .. ؟ !

كانت هذه اول كلمة يتفوه بها منذ وطئت قدماه ارض الغرفة ، وقد قالها بصوت مبحوح يدل على انه لم ينم طوال ليلته السابقة وانه ظل يدخن سيجارة تلو سيجارة ، كذلك فقد كان الاصبعان الاوسط والسبابة من يده اليمنى يكتسيان بطبقة قاتمة من النيكوتين ولم يكن قد حلق لحيته فقد كان مما لا شك فيه انه — ايا ما كان موقع مخبئه من انحاء الارض — لم يجد اية فرصة لان يضع الموس على وجهه ..

— هل تناولت افطارك يا بيرو .. ؟

— لا اشعر بأى جوع !

كان — رغم هزاله — يبدو اقل سنا من حقيقته ، ولكن اعصابه كانت مضطربة الى حد يثير شفقة اى انسان ، وحتى بعد ان جلس واراح منكبيه على مساند الكرسى ظل جسمه كله ينتفض بشكل واضح .. وبدأ يتكلم بصوت مرتعش ..

— لقد وعدت صديقى بأنك ..

— وسأحافظ على وعدى ! ..

ـ اننى جئت من تلقاء نفسى ..
ـ وهذا هو عين الصواب ..
ـ انا .. انا لم اقتل لولو .. لم اقتل لولو ..

ثم اجهش بالبكاء ! .. اخذ ينتحب ويشهق ويترك دموعه تنهمر على خديه ، ولم يكن ميجريه يتوقع منه كل ذلك ، ولكنه تركه يسرى عن نفسه بالبكاء . فقد كانت هذه اول مرة يبكى فيها حبيبته منذ ان قرأ نبأ مصرعها فى الصحف .. كان يحاول اخفاء وجهه بكلتا يديه ويتمرغ بجسمه فوق الكرسى كأنه طفل صغير ، فان الخطر الذى ظل محدقا به طوال الاربع والعشرين ساعة السابقة لم يترك له الفرصة للحظة واحدة لكى يجد منفسحا لاحزانه على فقد لولو ، لانه كان مشغولا بالتفكير فى نفسه وفى مصيره الذى بات معلقا بحبل المشنقة .

ففى لحظة واحـــدة اصبح مجرما منبـــوذا من المجتمع مطاردا من البوليس .. والجميع يسعون وراءه ليزجوا به فى السجون .
اما الان وقد اصبح يجلس داخل مبنى المحافظة وجها لوجه امام مفتش البوليس .. فقد سنحت الفرصة اخيرا لكى ينفجر الوجدان ويفيض ..
ـ اقسم لك انى لم اقتلها ..
ـ اننى اصدقك !

فلم تكن لهجة كلامه ولا طريقة تعبيره بالنوع الذى يصدر عن قاتل سفاح ، وقد كان لوى على حق عندما وصـــف صـــديقه فى الليلة السابقة بأنه انسان ضعيف يحاول ان يبدو فظا غليظ القلب .

كان منظره ـ بشعره الاشقر وعينيه الزرقاوين وملامح وجهه التى تقربه الى الاطفال ـ يختلف تماما عن وصف مدام كورنيه له بانه يشبه « صبى جزار » فقد بدا اقرب ما يكون الى شاب من ابنـــاء الاسر المتوســطة الذين يقضـــون عطـــلات نهـــاية الاســـبوع فى الشانزيليزيه ..

ـ هل كنت تعتقد ـ حقيقة ـ اننى انا القاتل .. ؟
وهز ميجريه رأسه مؤكدا :
ـ لا ..
ـ لماذا اذن قلت للصحف انى ..
ـ انا لم اقل شيئا لمندوبى الصحف ، ولكنهم يكتبون ما يروق لهم

.. وفى مثل هذه الظروف الراهنة فانهم يسارعون الى الحكم بانك..

— انا لم اقتلها ..

— هدىء روعك .. هل تشعر برغبة فى التدخين ؟ ..

وكانت يد بيرو لا تزال ترتعش وهى تمتد لتنــاول ســيجارة من ميجريه . وبدت الرعشة اكثر وضوحا وهو يشعل السيجارة .

— هناك سؤال يجب ان اوجهــه اليك اولا وقبل كل شىء .. عندما ذهبت الى شارع كارنو ليلة الجريمة ، هل كانت لويز لا تزال على قيد الحياة ؟

وعندئذ فغر بيرو فاه دهشة ، ثم صاح :

— طبعا .. وكانت فى اكمل صحة !

اغلب الظن انه كان صادقا فى كلامه ، والا لما احتاج الى الانتظار الى ظهر اليوم التالى — عندما قرأ الخبر فى الصحيفة — لكى يشرع فى الهرب والاختفاء ..

— وعندما اتصلت لويز بك تليفونيا فى صالة جريلو .. هل كانت لديك فكرة عما تريد ان تخبرك به ؟

— لم تكن عندى اية فكرة فقد كانت المكالمة قصيرة ولم تزد لويز فيها على ان قالت انها وحيــدة فى الشــقة وتريد ان ترانى على الفور ..

— ماذا كنت تعتقد السبب الذى دفعهــا الى ان تطلبك بهــذه السرعة وفى مثل هذا الوقت .. ؟

— كنت اعتقد انها انتهت الى قرار ..

— بماذا .. ؟

— بأن تدفن الماضى كله !

— اى ماض ؟

— ماضيها مع الرجل العجوز ..

— هل انت الذى طلبت منها ان تقطع علاقتها به .. ؟

— لقد امضيت سنتين كاملتين فى التوســل اليها بأن تأتى لكى تعيش معى ..

ثم نظر الى المفتش كأنه يتحداه ويتحــدى معه العــالم كله ، واضاف قائلا :

— انني احبها ..

ومع ذلك لم يكن فى نبرات صوته اثر للقوة او التصميم وانما على

العكس ، خرجت الكلمات من فمه متعثرة متقطعة كأنها مشدودة الى حلقه ..

ــ الم تشعر بعد بالجوع .. ؟

وفى هذه المرة مد بيرو يده بطريقة تلقائية وتناول سندوتشا ، وفعل ميجريه نفس الشيء على سبيل التشجيع ، وبدأ كل منهما يقضم سندوتشه . واخذ بيرو يشعر بالطمأنينة امام مفتش البوليس كما هدأت اعصابه كثيرا عن ذى قبل وبدأ يستشعر جوا جديدا من الصفاء والبعد عن الرسميات ، وكانت الغرفة هادئة تماما ولم تكن تسمع اية ضوضاء فيما عدا صوت تكتكة آلة كاتبة آت من حجرة بعيدة .

ــ الم يحدث ابدا من قبل ان استدعتك لولو ــ خلال ساعات عملك ــ لزيارتها فى شقتها بشارع كارنو .. ؟

ــ لا .. لم يحدث اطلاقا ان استدعتنى الى شقة شارع كارنو قبل تلك الليلة ..

ــ وقبل ان تنتقل القتيلة الى السكنى بشارع كارنو .. ؟

وظهر على بيرو الاكتئاب عندما سمع كلمة « القتيلة » ولكنه عاد يستجمع اعصابه وثباته ويجيب ..

ــ مرة واحدة هى التى استدعتنى فيها خلال فترة عملى عندما كانت تقيم بشارع لافاييت ، وهى الشقة الاولى التى استأجرها لها الرجل العجوز .. ففى ذلك الوقت اصابها مرض مفاجىء ..

ــ متى كان ذلك ؟

ــ منذ اقل من سنتين .. بعد شهور قليلة من اجراء الجراحة الخطيرة لها فى المستشفى ، فقد كانت تعتقد ان مرضها القديم قد عاودها .. وعندما زرتها وجدتها فى حالة فزع شديدة ، فطلبت لها طبيب المنطقة على الفور ، وفحصها ثم طمأنها بأن مرضها لا يتعدى حالة عسر هضم حادة ، ولكنها ظلت مضطربة ، فقد كانت دائما تخاف من الموت ..

واعادت كلمة الموت الى وجدان بيرو صورا من الشجن والاسى فامتلأت عيناه بالدموع مرة أخرى ، وظل صامتا ساهما فترة طويلة من الوقت قبل أن يأخذ قضمة ثانية من السندوتش .

ــ ماذا قالت لك ليلة الحادث ؟ ..

ــ قالت ..

ــ لحظة واحدة ، قبل أن تجيب .. قل لى هل كان معك مفتاح لشقتها ؟ ..

ــ لا ..

ــ لماذا لم تحتفظ لنفسك بمفتاح الشقة .. ؟

ــ لاأعرف ليس هناك سبب فى الحقيقة ، فانا نادرا مااذهب لزيارتها هناك وعندما اذهب اجدها دائما فى الشقة لكى تفتح لى الباب ..

ــ معنى ذلك انه ــ فى ليلة الحادث ــ دققت الجرس ، ثم جاءت هى لكى تفتح لك .. !

ــ لم اكن فى حاجة الى دق الجرس .. فقد كانت تطل من النافذة لكى تترقب حضورى ، وقد فتحت لى الباب بمجرد ان وصلت بالمصعد الى الطابق الذى تقع فيه شقتها ..

ــ الم تكن قد ذهبت بعد الى فراشها لتنام .. ؟

ــ كانت قد توجهت الى الفراش قبل ذلك .. ولابد انها اتصلت بى تليفونيا من سريرها ، ثم نهضت قبل ان اصل بقليل فقداستقبلتنى وهى بقميص النوم ..

ــ هل كانت تبدو فى حالة نفسية طبيعية .. ؟

ــ كلا ..

ــ كيف كانت تبدو .. ؟

ــ من الصعب ان اشرح لك الحالة التى كانت عليها فى تلك اللحظات .. لقد بدت كما لو كانت قد امضت ساعات طويلة فى التفكير العميق واوشكت على اتخاذ قرار خطير .. انا نفسى فزعت عندما رأيتها ، فقد روعنى منظرها ..

ــ مالذى افزعك منها ؟

وصمت بيبرو لحظة ثم قال متمتما :

ــ اعتقد أننى كنت فزعا بسبب الرجل العجوز ..

ــ هل تقصد ــ بهذه العبارة ــ البروفسور جوان ؟ ..

ــ نعم ، كنت اخشى دائما ان يحصل على حكم الطلاق من زوجته لكى يتزوج من لولو ..

ــ هل بحث البروفسور مع لولو هذه المسألة ؟ ..

ــ وحتى لو كانا بحثاها لما حدثتنى لولو عنها ..

ــ هل كانت تريد منه ان يتزوجها ؟ ..

ـ لااعرف ولااعتقد ذلك ..
ـ هل كانت تحبك .. ؟
ـ اعتقد ..
ـ ولكنك لست متأكدا .. ؟
ـ الشيء الوحيد الذى انا متأكد منه هو ان النساء يختلفن كثيرا عن الرجال .
ـ ماذا تعنى .. ؟

ولكن بيرو لم يوضح اكثر من ذلك ـ ربما لانه لم يكن يستطيع التوضيح ـ فاكتفى بأن هز كتفيه ، وقال ـ بعد صمت طويل ـ بكلمات متقطعة كأنه يحدث نفسه :

ـ لقد كانت فتاة صغيرة مسكينة ..

واحس بجفاف فى حلقه ، وتعذر عليه ابتلاع الطعام . ولـكنه استمر فى المضغ بطريقة ميكانيكية .

ـ اين كانت تجلس خلال فترة وجودك معها فى شقتها ؟
ـ لم تجلس خلال زيارتى لها فقد كانت قلقة الى حد انها لم تتمكن من الجلوس .
ـ وماذا فعلت بعد ان فتحت لك الباب .. ؟

ـ لم ترحب بى او توجه لى كلمة واحدة .. وانما تقدمتنى الى حجرة الجلوس ثمضت تذرع الحجرة جيئة وذهابا دون ان توجه نظرة واحدة لى . وبعد نحو دقيقتين قالت «ان عندى اخبارا هامة لك .. !» ثم اضافت وكأنها تلقى عن صدرها عبئا ثقيلا : « اننى حامل .. »

ـ هل كانت مسرورة .. ؟

ـ لم تكن مسرورة ولا مكتئبة .. فقد استولت عليها حالة غريبة من الحيرة والقلق ..

ـ من هو ابو الطفل الذى كان فى احشائها .. ؟
ولم يقو بيرو على الاجابة ، فعاد ميجريه يسأله ..
ـ هل تعتقد انك انت الاب ؟ ..

وعندئذ احمر وجه بيرو ، وحاول ان يخفى خجله بطريقة اقنعت المفتش تماما بأن الاجابة التى يريد ان يقولها بيرو هى : نعم !

ـ ماالذى قلته لها بعد ان ابلغتك بذلك النبأ .. ؟
ـ لم اقل شيئا .. فقد احسست فى تلك اللحظة بسعادة لم

أعرفها طوال حياتى ، وغمرتنى رغبة عارمةفى أن احتويها بين ذراعى واقبلها فى صمت .

ـ ولكنها لم تتح لك هذه الفرصة ..

ـ .. وانما مضت تذرع الغرفة دون ان تلقى اية نظرة الـى وجهى الذى كان ينضح بالسرور .. ثم اخذت تكلم نفسها قائلة : « ماذا ينبغى ان افعل الان ياترى .. لقد اصبحت انسانة اخرى مختلفة تماما .. وربما تكون هذه الليلة تحولا كاملا فى حياتى .. الامومة .. الطفل .. طفل من لحمى ودمى .. هل اقول له ؟ وماذا سيفعل عندما يعرف ؟!

ـ هل كانت تعنى البروفسور ؟

ـ نعم ، فلم تكن تعرف ماإذا كانت تخبره بالحقيقة أو تخفيها عنه ، لانها لم تكن متأكدة من رد الفعل الذى ستحدثه فى نفسه .

وتناول بيرو القطعة الاخيرة من الساندوتش واخذ يمضغها بسرعة ثم ازدردها ، وأراح ظهره على مسند الكرسى ومضى ينظر الى سقف الغرفة . وفى لحظة واحدة عاوده الاكتئاب ، فتنهد قائلا :

ـلا أستطيع أن أشرح لك الموقف .. أننى أتذكر كل ما دار بيننا فى تلك الليلة .. اتذكره بكل تفصيلاته ، ولكنى لا استطيع أن أصفها فقد اختلطت تماما أمامى ، ولا أكاد أعود اليها بالذاكرة حتى يرتبك فكرى ويتشوش .. مسكينة يالويز .. عشت حياتك كلها منبوذة من الجميع لان أحدا لم يفهمك ، حتى أنا لم أفهمك أحيانا ، وحتى لقاؤنا الاخير .. مر بلا وداع !

ثم ضغط بيديه على رأسه كانه يريد الامساك بصورة لولو التى فى خاطره ..

ـ لم أكن اتصور أن ينتهى كل شىء ـ هكذا ـ الى لاشىء ..

ـ ماذا كنت تتمنى أن يحدث ؟ ..

ـ كنت آمل منها أن تلقى بنفسها بين ذراعى ، وان تقسـم أمامى انها ستقطع كل علاقة لها بالرجل العجوز وستجىء لتعيش معى الى آخر العمر ..

ـ ألم تخطر لها هذه الفكرة .. ؟

ــ ربما كانت قد خطرت لها ، بل أنى أؤكد لك أنها كانت تفكر فعلا فى ترك العجوز فلقد كانت ترغب دائما فى مشاركتى حياتى المتواضعة ..

ــ وما الذى كان يمنعها .. ؟

ــ فى البداية ، عندما خرجت من المستشفى ، كانت تقول لى انها مضطرة الى طاعته فى كل ما يطلبه منها كنوع من الاعتراف بالجميل.

ــ كانت تشعر فعلا انها مدينة للبروفسور بالفضـــل .. ؟

ــ نعم ، فهو الذى انقذ حياتها .. واعتقد انه كان يخصص الجانب الاكبر من وقته لعلاجها وهى فى المستشفى ، كما كان يمنحها من العناية اكثر من عنايته بأى مريض آخر .

ــ هل تؤمن بذلك حقا .. ؟

ــ أؤمن بماذا ؟

ــ بانها تحفظ الجميــل .. ؟

ــ انك لاتعرفها ياسيدى ! .. لقد حاولت اقناعها مرارا بانها لاتحمل أى التزام تجاه ذلك الرجل العجوز .. وليس ثمة مايضطرها لان تظل عشيقة له لان لديه العديد من العشيقات الاخريات ..

ــ هل تعتقد انه كان يحبها .. ؟

ــ من المؤكد انه كان يريدها .. واعتقد انها وقعت تحت تأثيره ..

ــ وانت .. ؟

ــ أنا ــ وحدى ــ كنت احبها ..

ــ قصارى القول : لماذا طلبت منك أن تحضر ــ بهذه السرعة ــ الى شقتها ؟

ــ هذا هو السؤال الذى يحيرنى انا ايضا .. !

ــ المعلومات التى عندى هى أن لويز فيلون تاكدت بصفة قاطعة انها حامل فى نحو الساعة الخامسة والنصف من مساء الحـــادث بعد أن أجرى لها تحليل فى عيادة طبيب بشـــارع دى دام فى حى « لاشابيل » الذى تسكن انت فيه وتزاول فيه عملك . ألم يكن من الممكن لها أن تزورك هناك بعد أن خرجت من عيادة الطبيب مباشرة ؟

ــ طبعا كان يمكنها ذلك .. فهى تعرف جيدا المطعم الذى اتناول

فيه عشائي عادة قبل ان أتجه الى صالة جريلو ..

ــ الذى حدث انها ذهبت الى منزلها بعد نزولها من العيادة .. وبعدذلك ــ فيما بين السابعة والنصف والثامنة ــ مر عليها البروفسور فى شقتها ..

ــ أجل ، لقد حدثتنى بذلك ..

ــ هل ذكرت لك ماذا كانت ابلغته بأمر الحمل .. ؟

ــ اننى متأكد من أنها لم تبلغه بشىء ..

ــ وقد تناولت عشـــاءها فيما بعد ، ثم ذهبت الى الفراش .. واغلب الظن انها لم تنم ، وامضت فترة طويلة تتأرق فى فراشها .. وفى حوالى التاسعة اتصلت بك تليفونيا فى صالة جريلو ..

ــ نعم .. لقد فكرت فى ذلك كله محاولا ان اتبين حقيقة ما حدث .. لقد ذهبت بى التصورات كل مذهب .. ولكن الشىء الوحيد الذى اعلمه علم اليقين هو اننى لم اقتلها ..

ــ قل لى بصراحة يا بيرو .. لو ان لولو ــ ليلة الحادث ــ قالت لك انها لا تريد ان ترى وجهك بعد الان .. هل كنت تقتلها .. ؟

ونظر الشاب الى ميجريه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ضئيلة تحمل نوعا من السخرية المريرة :

ــ هل تريدنى ان اضع بيدى حبل المشنقة حول عنقى .. ؟ !

ــ ان لك الحرية فى ان تجيب او لا تجيب ..

ــ فى هذه الحالة ربما كنت قتلتها .. ولكنى لم اقتلها ، اولا : لانها لم تقل شيئا من ذلك .. ثانيا : لانى لم اكن احمل مسدسا ..

ــ ولكنك كنت حائزا لمسدس فى مرة على الاقل من مرات اعتقالك السابقة ..

ــ كان ذلك منذ سنين ، وقد صودر المسدس بمعرفة البوليس ، ولم اتمكن من استعادته بعد ذلك .. كما انى ، منذ تلك المرة ، لم احاول اقتناء اى سلاح .. وعلى اية حال فاننى لم اكن لاقتلها بأى نوع من الاسلحة .

ــ كيف كنت تقتلها اذن .. ؟

ــ لا ادرى على التحديد .. ربما كنت اوجه لها صفعة بطريقة لاشعورية دون ان اعى ما افعل .. او ربما كنت اخنقها ..

وحدق بيرو فى ارضية الغرفة المغطاة بخشب الباركيه ، واستغرقه التفكير لحظات قبل ان يقول بنبرات مترددة :

— وربما كنت لا اجرؤ على ان افعل شيئا على الاطلاق .. فان مثل هذه الخواطر تراود الانسان وهو مستسلم لاحلام اليقظة ولكنه لا يقدر على تنفيذ شىء منها وهو فى كامل وعيه .

— هل خطرت لك فكرة قتل لولو فى احد احلام يقظتك .. ؟

— نعم .. !

— وهل السبب هو انك تغار عليها من البروفسور ؟

وهز بيرو كتفيه مرة ثانية كأنما يريد ان يقول انه لا يجد الكلمات المناسبة للتعبير عن حقيقة ما فى نفسه ، وان الحقيقة اعمق واكثر تعقيدا مما يتصور المفتش ..

— قبل ان تتعرف لويز على البروفســور جوان .. كنت انت عشيقها الوحيد واظن اننى على حق عندما اقول انك لم تحــاول — فى ذلك الوقت — ان تنقذها من حياة الليل والتسكع فى الشوارع ..؟

— هذه مسألة اخرى ..

كان ميجريه يحاول بكل طاقته وخبرته ان يصل الى اقرب ما يمكن من الحقيقة .. فقد كان يعلم جيدا ان من غير الممكن الوصــول الى الحقيقة المطلقة .

— الم تحصل — عن طريق لويز — على فرانك واحد من اموال البروفسور ؟

— ابدا .. !

قالها بيرو بحدة وتأكيد وهو يهز رأسه هزة عنيفة بطريقة تنذر بأنه يوشك ان ينفجر غضبا ..

— ولكن اكانت لويز تقدم لك الهدايا ؟

— كلها اشياء تافهة .. ربطات عنق وجوارب .. وحدث مرة واحدة فقط ان اهدتنى خاتما .

— وقبلت كل هذه الهدايا ؟

— لم اكن اريد ان اوذى مشاعرها ..

— ماذا كنت تفعل لو انها هجرت البروفسور جوان . ؟

— كان هذا غاية ما اتمنى .. فقد كان ذلك العجوز هو العقبة الوحيدة التي تحول بيننا وبين العيش معا في صفاء ..

— هل كنتما تعودان الى حياتكما القديمة ؟

— لا ..

— لم لا .. ؟

— انني لم اكن راضيا عن هذا النوع من الحياة ..

— ومن اين كنت تحصل على الدخل الذى يكفى لمعيشة اسرة ..

— من كدى وعرقى ..

— ولكن دخلك الحالى لا يكفى .. هكذا قال لى صديقك لوى ..

— هذا صحيح .. ولكنى لم اكن اعتزم البقاء فى باريس ..

— والى اين كنت تعتزم الرحيل ؟ ..

— الى اى مكان .. امريكا الجنوبية او كندا ..

وعندئذ تأكد ميجريه مدى سذاجة ذلك الموسيقى الحالم ..

— هل كانت لولو متحمسة لهذه الفكرة ؟

— كانت تروق لها احيانا .. وبين الان والاخر كانت تعدنى بأن ألحق بى فى خلال شهر او شهرين لكى نبدأ حياة جديدة معا ..

— اعتقد انها كانت تمنحك مثل هذه الوعود فى اوقات المساء ..؟

— كيف عرفت . ؟ !

— وفى الصباح كانت تعود فتغير رأيها .. ؟

— كانت خائفة !

— ومم تخاف .. ؟

— من الموت جوعا ..

وهكذا اعترف بيرو فى النهاية بالسبب الحقيقى الذى كان يمنعها من العيش معه ، وبدأ يضيق ذرعا باسئلة المفتش .

— الا توافقنى على ان هذا الخوف كان السبب الذى دفعها الى البقاء مع البروفسور .. ؟

— ربما ..

— اليس صحيحا انها ذاقت مرارة الجوع طويلا قبل ان يدخل البروفسور الى حياتها ؟ ..

واجاب الموسيقى متحديا ..

ــ انا ايضا ذقت مرارة الجوع طويلا .. !

ــ ولكنها كانت تخشى العودة الى ايام الجوع والتشرد بعد ان احست بالنعمة والثراء ..

ــ ما الذى تريد ان تصل اليه .. ؟

ــ لا شىء .. انما احاول فقط ان افهم .. الامر الوحيد المؤكد حتى الان هو انه فى ليلة الاثنين ــ اول امس ــ اطلق شخص ما النار على لولو من مسافة قريبة جـدا ، مما ادى الى وفاتها فى المحال ، وانت تؤكد انك لست القاتل .. وانا اصدقك ..

ونظر بيرو الى المفتش فى تشكك ، وقال بكلمات متقطعة :

ــ هل تصدقنى حقا .. ؟

ــ الى ان اعثر على دليل يثبت العكس ..

ــ ومتى تتركنى انصرف . ؟

ــ بمجرد ان ينتهى حديثى معك ..

ــ وهل ستوقف عمليات البحث عنى وتأمر رجالك بأن يكفوا عن مطاردتى ويتركونى لشأنى .. ؟

ــ وسأسمح لك ايضا بأن تعود الى عملك فى صالة جريلو ..

ــ والصحف .. ؟

ــ سأصدر بيانا صريحا واضحا اعلن فيه انك حضرت من تلقـاء نفسك الى مبنى المحافظة وقدمت نفسك لسلطات التحقيق وانه تقرر الافراج عنك بعد اخذ اقوالك ..

ــ ولكن ذلك لا ينفى الشبهة عنى ..

ــ سأضيف الىالبيان انه لم يمكن العثور على اىدليل لادانتك..

ــ هذا افضل قليلا ..

ــ هل كان لدى لولو مسدس .. ؟

ــ كلا ..

ــ ولكنك قلت الان فقط انها كانت خائفة ..

ــ نعم ، كانت خائفة من الموت ومن الجوع ، وربما من حيـاتها

ذاتها .. ولكنها لم تكن تخاف النـــاس ، ولم تكن بها حـــاجة الى استخدام اى سلاح ..

ــ انك لم تمكث معها فى شقتها ــ ليلة الحادث ــ اكثر من ربع ساعة .. ؟

ــ نعم ، فقد كان يتحتم على ان اعود لاستئناف عملى فى صـــالة جريلو .. كما انى لم اكن اود ان ابقى داخل الشقة طويلا لانه كان من المحتمل ان يهبط علينا الرجل العجوز فى اية لحظة ، فان معه مفتاحا للشقة ..

ــ هل حدث من قبل ان باغتكما .. ؟

ــ مرة واحدة فقط ..

ــ وكيف كان تصرفك ؟ ..

ــ لم افعل اى شىء غير عادى .. كان ذلك فى فترة بعد الظهيرة ، وهى الفترة التى يندر فيها ان يأتى البروفسور لزيارة لولو . فقد كنت قد تواعدت معها على اللقاء فى وسط البلد ، ولكن ظرفا طارئا منعنى من الذهاب فى الموعد .. وبعد ساعة وجدت نفسى فى مكان قريب من شارع كارنو ، فتوجهت الى شقتها لكى اعتذر لها عن تخلفى .. وكنا جالسين نتبادل الحـــديث فى غرفة الجلوس عندما سمعنا صوت مفتاح يولج فى الباب ، ثم دخل علينا ولم احاول ان اختبىء ، اما هو فلم يحاول ان يلقى نظرة واحدة الى .. فقـــد سار الى وسط الغرفة وهو يضع قبعته فوق رأسه ، ثم وقف لحظة دون ان يتفوه بكلمة واحدة .. وسبقته لولو الى غرفة النوم ، وبقيت انا وهو وحدنا فى حجـــرة الجلوس دون ان يحس بوجودى كأننى ــ فى نظره ــ لست كائنا حيا .

ــ بالاختصار فانك ما زلت حتى الان لا تعـــرف ــ على وجـــه التحديد ــ السبب الذى دعا لولو الى ان تطلبك لزيارتها فى شقتها ليلة الاثنين ..

ــ اعتقد انها كانت فى حاجة الى التحدث مع اى شخص ..

ــ وكيف انتهى لقاؤكما .. ؟

ــ قالت لى وانا اغادر شقتها : « لقد اردت فقط ان ابلغك .. وليست عندى ادنى فكرة عما ينبغى ان افعل .. وعلى كل حـــال

فلن اقدم على اى تصرف الان..حاول انت ايضا ان تفكر معى »..

— هل سبق ان تحدثت معك بشأن اعتزامها الزواج من البروفسور ؟

وبدا على بيرو كأنه يشحذ ذاكرته ..

— حدث ذات مرة عندما كنا نتناول الطعام فى مكان عام ان تطرق بنا الحديث الى فتاة نعرفها كانت قد تزوجت حديثا .. وعندئذ قالت لولو : « أن الامر كله يتوقف على انا .. فانا استطيع — باشارة من اصبعى — ان اجعله يطلق زوجته ويقترن بى » . .

— وهل صدقتها .. ؟

— ربما كان ما تقوله صحيحا .. فان الرجال — فى مثل تلك السن — يتصرفون كالمراهقين ..

ولم يستطع ميجريه ان يكتم ابتسامة صغيرة ..

— انني لن اسألك عن المكان الذى كنت مختبئا فيه منذ ظهر امس ..

— هذا سر لن ابوح به .. هل استطيع الانصراف الان ؟ ..

— مع السلامة ..

— الن يعتقلنى رجالك عند خروجى من هذا المبنى .. ؟

— لن يتعرض لك احد هنا .. وربما كان من الاصوب ان تقضى ساعة او ساعتين فى مكان قريب من هنا ريثما اصدر أوامرى الى جميع اقسام بوليس باريس بالكف عن البحث عنك .. واعتقد انه توجد حانة فى ميدان « دوفين » تستطيع ان تجد المأمن بها بشرط ان تجلس فى مكان بعيد عن الانظار بقدر الامكان .

— اعطنى معطفى ..

وكان يبدو الان اكثر اعياء مما كان عند دخوله .. فقد تهاوى جلده وبدأت أعصابه فى الانهيار وحدثته نفسه بأن المفتش يخدعه .

وأراد ميجريه أن يطمئنه :

— اذا لم تكن تريد الذهاب الى هذه الحانة بالذات فالافضل لك ان تستأجر غرفة فى اى فندق قريب وان تتوجه توا الى الفراش لكى تنام ..

ـ لن استطيع النوم ! ..

وعند باب الحجرة استدار بيرو راجعا :

ـ ما الذى ستصنعونه بجثة لولو .. ؟

ـ فى حالة عدم تقدم احد من افراد اسرتها ..

ـ هل استطيع التكفل بتنظيم جنازتها واجراءات دفنها ؟

ـ اذا ثبت عدم وجود اى اقارب لها على قيد الحياة ..

كان بيرو يمنى نفسه بأن يعد اروع جنــازة لحبيبته الراحلة ، ولا شك أن جميع الاصدقاء والصديقات فى صالة « جريلو » وفى مختلف حانات وملاهى حى « لاشابيل » كانوا يريدون ان يشــيعوا فقيدتهم . وأن يروا نعشها من خلف ضباب دموعهم .. فقد عاشت هذه الصديقة وسطهم فى أحلك أيام الحرمان والحضيض والمرض ولم تكن تبخل عليهم بالزيارة بعد أن رفعها الحظ الى حياة الســعة والنعيم .. وحتى اليوم الاخير من حياتها كانت تحن الى الحى الذى نشأت فيه ، فاختارت أحد أطبائه لكى يوقع الكشف عليها ويبلغها أسعد خبر سمعته طوال حياتها .. ذلك الخبر السعيد الذى كان نذيرا بمأساتها .

وخرج بيرو من الحجرة واغلق الباب فى هدوء .. وظل ميجريه واقفا بلا حراك فى وسط الحجرة ، ومرت لحظات قبل ان يمســك ببعض الاوراق ويتجه الى غرفة المفتشين .. وعند خروجه من مكتبه لمح فى نهاية الممر الطويل شبح بيرو ، نحيلا ضئيلا ، يختفى عنــد المنعطف .

الفصل السابع

لازمت ميجريه حالة غريبة من اعتلال المزاج طـــوال فترة بعد الظهر ، وكما يعرف عنه زملاؤه ، لم يكن مهتاج الاعصاب وأن كانت حالته هذه أقرب الى هياج الاعصاب . وأبلغت التعليمات الى جميع المشتغلين بالمحافظة بالا يحاولوا أزعاجه أو أرهاقه من أمره عسرا .

ولم يغادر حجرة مكتبه الا مرة او مرتين توجه فيهما الى غرفة المفتشين حيث يجيل النظر فيها طويلا كأنما قد نسى الامر الذى جاء من اجله .

وقد عكف فى مكتبه على دراسة الملفات التى ظلت مهملة اسابيع طويلة .. وكان يتابع فحصها بعناية وحماس كما لو كانت على درجة قصوى من الاهمية او كما لو كان البت فيها يتطلب سرعة غير عادية .. وفى نحو الرابعة والنصف اتصل المرة الاولى بالمستشفى الامريكى :

ـ هل استطيع التحدث الى البروفسور جوان او انه مشـــغول فى احدى العمليات .. ؟

ـ انه مشغول الان ولن يفرغ قبل ساعة على الاقل .. من الذى يريده ؟

وعندئذ قطع ميجريه الاتصال .. ثم اخذ يعيد قراءة التقرير الذى كتبه المخبر جانفييه عن سكان العمارة والاجابات التى ادلوا بها ردا على اسئلته .. وقد اتضـــح منها انهم جميعـــا لم يســـمعوا طلقة الرصاص التى قتلت لويز فيلون ! ففى نفس الطابق الذى تقع فيه شقة لويز كانت تقيم ارملة شابة فى الشقة التى على اليمين ، وقد

امضت ليلة الحادث فى المسرح . اما فى الطابق الواقع اسفل طابق لويز مباشرة فقد اقامت احدى الاسر الكبيرة حفل عشاء فى نفس ليلة الحادث سادته الجلبة والضوضاء وعربدة المدعوين .

ومضى ميجريه بعد ذلك فى الاطلاع على اوراق تحقيق آخر ، ثم اجرى بضع مكالمات تليفونية غير ذات قيمة .

وعندما حلت الساعة الخامسة والنصف اتصل للمرة الثانية بالمستشفى الامريكي وعلم من محدثه ، ان العملية الجراحية قد انتهت وان البروفسور يبدل ثيابه استعدادا لمغادرة المستشفى عائدا الى بيته ، وفى تلك اللحظة غادر ميجريه مكتبه على عجل واستقل سيارة البوليس الصغيرة الى شارع كارنو ليكون فى انتظار البروفسور عند وصوله .

× × ×

كانت الساعة فى نحو السادسة مساء عندما وقفت سيارة البوليس الصغيرة فى شارع كارنو امام العمارة التى يسكن البروفسور جوان وزوجته فى الطابق الرابع بها والتى كانت تقطن لويز فيلون فى احدى شقق طابقها الثالث حيث لقيت مصرعها ، ولم يكن داخل السيارة غير السائق والمفتش ميجريه ووقفت السيارة على الجانب الاخر من الشارع المواجه للعمارة وفى اتجاه حى التيرن ، وكان الظلام قد هبط مبكرا فى ذلك المساء بعد ان عاشت باريس ثلاثة ايام متتالية لم تشهد خلالها الشمس مرة واحدة .

وكان النور مضاء فى غرفة البوابة كما كان يشع ايضا من الجانب الايسر لشقة البروفسور ، وفى بضع نوافذ اخرى من العمارة كانت تنبعث اضواء مختلفة بعضها خافت وبعضها شديد الاشعاع .

وكانت بعض شقق العمارة قد خلت ، منذ اسابيع من ساكنيها ، فمثلا اسرة اوتربون البلجيكية المعروفة بثرائها الواسع ، كانت تقضى الشتاء فى مصر ، كما كان كونت دى تافيرا قد هجر شقته بالطابق الثاني وصحب افراد اسرته الى مقرهم الريفى الذى يقع جنوب منطقة اللوار لكى يمضوا الموسم فى رحلات الصيد .

وبدا ميجريه — بجسمه الممتلىء — محشورا فوق المقعد الخلفى للسيارة ، وكان متلفعا بمعطفه الثقيل ومن فوقه المعطف الواقى من المطر الذى رفع ياقته الى اعلى حتى كادت تلامس الغليون المشتعل الذى يبرز من بين فكيه .. ولم يحاول ان يعتدل فى جلسته او يشد

ظهره المنحنى الى الامام تحت وطأة ثقل ملابسه ، فقد كان مزاجه لا يزال معتلا ، كما كان الجو داخل السيارة ثقيلا خانقا الى درجة ان السائق تأفف فى صمت ثم انتزع صحيفة من جيبه وادار رأسه نصف دورة الى المفتش قائلا :

— هل استطيع ان اتسلى بالقراءة قليلا يا سيدى .. ؟

ورفع ميجريه حاجبيه مستغربا .. كيف يستطيع هذا السائق ان يقرأ صحيفة وسط ذلك الظلام الذى لا يقطعه الا شعاع خافت آت من مصباح الشارع ..

ولم يكن المرور مزدحما فى الشارع .. فان عدد الذين يسيرون على الرصيف كان محدودا كما ان السيارات التى مرت فى الشارع كانت تجد الطريق شبه خال امامها .. ودون ان يتحرك ميجريه فى جلسته استطاع ان يلمح من فوق كتف السائق عنوانا كبيرا فى صدر الصفحة الاولى من الصحيفة : ((الافراج عن بيرو)) ..

فقد وفى ميجريه بوعده للموسيقى الشاب . واصدر بيانه لمندوبى الصحف ، ونشر البيان كاملا فى ابرز مكان من صحف المساء ، معلنا للملأ خلو ساحة عازف الساكسفون بيرو الذى كان اول من اشتبه فى انه القاتل ..

وعاد ميجريه ينظر من فوق كتف السائق الى الساعة المثبتة فى ((تابلوه)) السيارة واستطاع بصعوبة من خلال العتمة ان يرى عقاربها تشير الى السادسة والثلث .. وتمنى لو ان هناك حانة قريبة من المكان لكى يخرج اليها ويتناول فيها بعض الشراب ، كما اسف لانه لم يتوقف فى الطريق عند اية حانة لكى يتزود منها بما يذهب عنه الملل والانقباض .

ولم ينقطع الانتظار الممل الا فى الساعة السابعة الا عشر دقائق حين اقبلت سيارة تاكسى من الاتجاه المضاد ، ثم وقفت على الجانب الاخر من الشارع امام باب العمارة ونزل البروفسور جوان اولا ثم اعقبته سكرتيرته — مدموازيل ديكو ..

ووقف الاثنان برهة بالقرب من مصباح الشارع الذى كان ضوؤه يشع من خلفهما ، وبدت اجسامهما كانها اشباح تقطع مسير الضوء الخافت ، وتجلت الخطوط العامة التى تحدد جسم البروفسور وظهر منها انه اطول قليلا من ميجريه وان بدا كتفاه فى مثل عرض كتفى ميجريه .. بيد انه كان من الصعب التيقن من مدى بدانته لانه كان

يرتدى معطفا فضفاضا اطول كثيرا مما كانت تقضى به « الموضة » فى ذلك العام واوسع كثيرا مما كان ينبغى لرجل فى مثل حجمه . كذلك كانت قبعته موضوعة على رأسه بدون اكتراث ، فقد كان من الجلى انه لم يكن يهتم على الاطلاق بمظهره او اناقته .

كان منظره — وهو واقف على هذا النحو — يوحى بأنه كان فيما مضى رجلا بدينا ثم فقد الكثير من وزنه حتى لم يبق من هيكل جسمه الخارجى الا الاجزاء البارزة من عظامه .

وظل واقفا ينتظر دون ان يبدو عليه اى ضيق او ملل ، فقد كان يحملق فى الفضاء وهو شبه غائب عن العالم .. فى حين سحبت رفيقته الشابة بعض النقود من حقيبة يدها وناولتها الى سائق التاكسى . وبعد ان استدار التاكسى عائدا من حيث اتى .. استمر البروفسور فى وقفته ينصت لما تقوله سكرتيرته ، واغلب الظن انها كانت تذكره بمواعيده لليوم التالى .

وسارت بجانبه الى داخل فناء العمارة الى ان بلغا المصعد حيث تسلم منها الحقيبة الجلدية السوداء التى كانت تحملها ، ثم لبثت مكانها وهو يدخل المصعد واستمرت ترمقه وهو يرتفع به ، وبعد ذلك استدارت خارجة من العمارة ثم سارت فى اتجاه حى « التيرن » .

— اتبعها ..

وادار السائق الموتور .. ومضت السيارة فى اثرها .

كانت لوسيل ديكو تسير بسرعة ولا تنظر الى الخلف .. وبدت وسط الاضواء الخافتة .. ممتلئة الجسم ، بضة ، فاحمة الشعر ، خمرية البشرة ، ولم يجد السائق صعوبة فى تعقبها عن كثب الى ان بلغت ناصية شارع «اكاسيا» فانحرفت اليه ، وسارت بضع خطوات قبل ان تدخل الى محل بقال ثم الى مخبز مجاور له .. واخيرا وبعد مسيرة نحو مائة ياردة اخرى دخلت الى عمارة قديمة نصف متهالكة ..

وانتظر ميجريه داخل السيارة لمدة عشر دقائق قبل ان يتجه الى باب العمارة لكى يتحدث الى البوابة ..

كانت غرفة البوابة هنا تختلف كثيرا عن غرفة بوابة شارع كارنو .. فقد كانت اضيق كثيرا ، كما كانت تضم — ضمن قطع الاثاث الاخرى — سريرا ضخما من المعدن ومهدا صغيرا لطفل رضيع .

ـ مدموازيل ديكو .. ؟

ـ الطابق الرابع ، الى اليمين .. لقد وصلت لتوها .

ولم يكن هناك مصعد ..

وعندما وصل ميجريه الى الطابق الرابع ودق جرس الباب سمع خطوات اقدام بالداخل ، وصوتا يسأل من خلف الباب :

ـ من القادم ؟

ـ المفتش ميجريه ..

ـ لحظة واحدة من فضلك ..

لم يكن الصوت يعكس اية دهشة او اثر للانزعاج .

وقبل ان تسمح له بالدخول .. دلفت الى احدى غرف الشقة ومضت ثوان قبل أن تعود وهي «تطرقع» بشبشب ذى كعب عال وتربط حزاما حول الروب الذى أحاطت به جسمها بغير أعتناء .

ـ تفضل ..

وفحصته بنظرة اهتمام وهو يدخل ..

كانت الشقة مكونة من ثلاث غرف ومطبخ . وكانت نظيفة الى درجة غير عادية فالارضية مدهونة « بالورنيش » بطريقة تجعل من يطأها بقدمه مستهدفا للانزلاق .

وقادته المدموازيل الى حجرة جلوس اشبه ما تكون بقاعة استديو ففى صدرها اريكة عريضة مغطاة بكساء ذى الوان مزركشة فوقها رفوف مزدحمة بالكتب وبجانبها جهاز « بيك آب » ومجموعة كبيرة من الاسطوانات ، اما ابرز ما فى الحجرة فكانت صورة كبيرة للبروفسور جوان ، محاطة باطار مذهب ومعلقة فوق المدفأة التى كانت النار قد بدأت تشتعل فى كتلتين من الخشب بها .

ـ هل استطيع ان اخلع معطفى .. ؟

ـ ارجوك ان تكون على راحتك .. وارجو ان تعذرنى اذا كنت تباطأت فى فتح الباب ، فقد كنت اهيىء نفسى لاستقبالك ..

لم تكن جميلة ولا رشيقة .. فقد كانت قسمات وجهها غير متناسقة كما كانت شفتاها غليظتين .. ولكنها كانت جذابة بوجه عام .

ــ ارجو الا اكون قد اخرتك عن موعد عشائك .

ــ هذا امر لا يهم .. تفضل بالجلوس .

واشارت له الى كرسى « فوتيل » ، وعندما همت هى بالجلوس انفرج الروب وكشف عن ساقيها العاريتين ولكنها سارعت الى ضم حوافه ، ثم استقرت فوق حافة الكنبة .

ولم توجه اليه اى سؤال ، وانما مضت تتفحصه كما يفعل بعض الناس عندما يلتقون لاول مرة بواحد من المشاهير وجها لوجه .

ــ لقد رايت من الافضل الا ازعجك خلال ساعات عملك بالمستشفى ..

ــ لا شك انك كنت ستجد صعوبة كبيرة حينئذ .. فقد كنت داخل غرفة العمليات معظم الوقت .

ــ هل تحضرين الجراحات التى يجريها البروفسور عادة .. ؟

ــ دائما !

ــ منذ متى ؟

ــ منذ عشر سنوات .. وقبل ذلك كنت تلميذته .

ــ هل استطيع ان اسألك عن سنك .. ؟

ــ ٣٦ سنة .

قالتها بلا تردد وبلا اكتراث . وبلهجة خالية من اى تعبير ، ولكنه استطاع ان يستشف من صوتها انها بدأت تتخذ منه موقف الارتياب والتحفز .

ــ لقد جئت الى هنا ــ فى الواقع ــ لكى استوضح منك بضع نقاط تفصيلية حول ظروف الجريمة .. واظنك تعلمين ان خطورة التحقيق الذى اجريه يحتاج الى التأكد من كل كلمة صغيرة وكبيرة .

وظلت لوسيل ديكو تترقب اسئلته .

ــ فى مساء الاثنين الماضى ــ ان لم اكن مخطئا ــ توجهت الى شارع كارنو قبل الثامنة بقليل لمصاحبة البروفسور الى مستشفى كوشان .

ــ هذا صحيح .. وقد تركت التاكسى منتظرا أمام باب العمارة ودخلت لكى اتصل بالبروفسور من غرفة البوابة واخبره اننى فى انتظاره ..

— هل هذه هى الوسيلة المعتادة التى تتبعينها عند ذهابك الى بيت البروفسور . ؟

— نعم ، فأنا لا اصعد الى شقته الا اذا كان لدى عمل انجزه فى مكتبه او اذا كنت فى حاجة الى احضار بعض الاوراق او الملفات .

— اين كنت تقفين اثناء نزول البروفسور بالمصعد .. ؟

— فى فناء السلم .. امام باب المصعد ..

— لابد أنك رأيته وهو يتوقف فى طريقه الى النزول اليك . ؟

— لقد توقف لبضع لحظات عند الطابق الثالث لانه .. اظنك تعرف تفاصيل ذلك الموضوع ..

— نعم ..

— لماذا لمتسأل البروفسور نفسهعما تريد منمعلوماتوايضاحات ؟.

وتظاهر ميجريه بعدم سماعهذا السؤال،فقد كانيفضل ان لا يجيب.

— هل كانت حالته النفسية فى تلك الليلة كما هى فى سائر الليالى الاخرى ؟ الم يكن يبدو عليه الانزعاج او القلق .. ؟

— كان قلقا على حالة مريض اجرى له جراحة دقيقة بعد الظهر..

— هل قال لك شيئا وانتما فى الطريق الى المستشفى .. ؟

— ليس من عادته ان يتكلم كثيرا ..

— لقد وصلتما الى المستشفى بعد الساعة الثامنة ببضع دقائق.. فما الذى حدث بعد ذلك ؟

— توجهنا على الفور الى غرفة المريض ومعنا الطبيب المقيم الذى يؤدى نوبة الليل .

— وهل قضيتما بقية الليلة فى غرفة المريض ؟

— كلا .. فقد بقى البروفسور معنا لمدة نصف ساعة تقريبا .. لكى يراقب بنفسه تطورات الحالة ، ولما لم تظهر الاعـــراض المطمئنة التى كان يتوقعها .. اخبرته بأن الافضل له ان يستريحقليلا فىغرفته الخاصة بالمستشفى .

— تقصدين غرفة الاستراحة التى فى الطابق الرابع .. متى صعد اليها ؟

— انني أعرف جيدا انك وجهت كل هذه الاسـئلة الى الطبيب المقيم ..

— هل ابلغتك بذلك رئيسة الممرضات ؟ ..

— هذا امر لايهم .. !

— كم كانت الساعة عندما صعد البروفسور الى استراحته الخاصة . ؟

— لم تكن قد بلغت التاسعة ..

— الم ترافقيه عند صعوده .. ؟

— بقيت مع المريض .. فقد كان طفلا ..

— اعرف انه كان طفلا رضيعا .. فى اى ساعة عاد البروفسور الى غرفة الطفل المريض ؟

— لقد ذهبت اليه فى نحو الحادية عشرة لكى انبئه بظهور اعراض التحسن التى كان ينتظرها .

— هل ذهبت اليه فى غرفة استراحته حيث كان يرقد .. ؟

— نعـم ..

— وكان مرتديا ملابسه ؟

— انه — اثناء وجوده فى المستشفى — يرقد مرتديا ملابسه الكاملة عادة . ولكنه فى تلك الليلة كان قد خلع سترته وفك ربطة عنقه ..

— افهم من ذلك انك امضيت طوال الفترة مابين الثامنة والنصف والحادية عشرة بجانب فراش المريض .. اذا كان الامر كذلك فمن الممكن ان يكون البروفسور قد نزل بواسطة السلالم — خلال تلك الفترة — وغادر المستشفى دون ان تشعرى بغيابه .. ؟

ولابد انها كانت تتوقع من المفتش ان يواجهها بهذا السؤال .. فانه كان قد وجهه من قبل الى الطبيب المقيم بمستشفى كوشان ولابد ان هذا الطبيب ابلغها فيما بعد بأمر ذلك السؤال وسائر اسئلة ميجريه الاخرى . ومن ثم فلابد ان تكون قد اعدت الاجابة مقدما .. ورغم ذلك فقد لاحظ ميجريه ان صدرها يعلو ويهبط فى خفقات متوالية وهى تجيب :

— لم يكن ذلك ممكنا .. لانى صعدت الى البروفسور — فى استراحته — حوالى الساعة العاشرة والربع لكى اسأله عما اذا كان يحتاج الى شىء .

وسدد ميجريه نظرة فى عينيها وحاول ان يضفى على كلماته كل مايستطيع من رقة ودماثة وهو يقول لها دون ان يرفع نبرة صوته :

— انك تكذبين يامدموازيل ديكو .. اليس كذلك ؟

— لماذا تعتقد انى اكذب .. ؟

— لاننى اعرف — من سياق كلامك — متى تكذبين ومتى تقولين الحق .. ومن السهل على ان اكشف كل الافعال والحركات التى صدرت عنك وانت فى المستشفى فى تلك الليلة .. وحتى لو كنت قد اوصيت جميع المشتغلين بأن يدلوا بمعلومات معينة تعتقدين انها فى صالح البروفسور .. فانى استطيع ان اجعلهم يتضاربون جميعا فى اقوالهم ويعترفون بالحقيقة فى النهاية .. والامر المؤكد عندى هو انك لم تصعدى الى استراحة البروفسور قبل الحادية عشرة .

— ولكن البروفسور لم يغادر المستشفى ..

— من اين لك ان تبرهنى على ذلك .. ؟

— لانى اعرفه اكثر مما يعرفه اى شخص آخر ..

ثم اشارت الى نسخة من الصحيفة المسائية ملقاة فوق مائدة بجوار « البيك آب » .

— لقد عثرت على هذه الصحيفة فى مكتب احد الاطباء بالمستشفى الامريكى ، وتعجبت عندما قرأتها .. لماذا اطلقت سراح ذلك الموسيقى الصعلوك .. ؟

كانت تشير بذلك الى بيرو الذى استطاع ميجريه — من مكان جلوسه — ان يرى اسمه فى عنوان الصحيفة مقلوبا .

— اواثق انت — الى هذا الحد — من انه ليس مذنبا .. ؟

— اننى لست واثقا من اى شىء ..

— ولكنك تتهم البروفسور بانه هو الذى قتل تلك الفتاة ..

وبدلا من ان يسايرها فى الحديث عن البروفسور .. سألها فجاة:

ـ هل كنت تعرفينها ؟ ..

ـ هل نسيت سريعا اننى اساعد البروفســور جوان فى جميــع الجراحات التى يجريها لقد كنت بجانبه اثناء الجراحة التى اجراها للفتاة ..

ـ هل تكرهيها .. ؟

ـ ليس هناك مايحملنى على ان اكرهها ..

وكان ميجريه قــد آخرج الغليــون من جيبه ، وشرع فى تعبئتهــا بالطباق ..

ـ تستطيع ان تدخن ، فهذا لايضايقنى ..

ـ اليس صحيحا ان علاقتك بالبروفسور كانت اكثر من مجرد علاقة عمل .. ؟

ـ هل انبأوك بهذا ايضا .. ؟

وابتسمت كما لو كانت تشعر بسرور داخلى وقالت :

ـ هل انت رجعى فى تفكيرك يامسيو ميجريه .. ؟

ـ هذا يتوقف على المعنى الذى تقصدينه من كلمة « رجعى » .

ـ اعنى هل انت من اصحاب الاراء الجامدة الذين يتمسكونبالمعنى التقليدى للاخلاق والمثاليات .. ؟

ـ يا عزيزتى .. اننى اعمل فى البوليس منذ نحو ٣٥ سنة .

ـ لا تتحدث اذن عن العلاقات الخاصة .. لقد كانت بينى وبين البروفسور علاقة خاصة ولكن المهم ـ أولا وقبل كل شىء ـ هــو ان علاقتنا كانت وستظل دائما علاقة عمل وكل ماعدا ذلك امــور لا تهم ..

ـ تعنين ان هذه العلاقة ليست حبا .. ؟

ـ أنها تختلف بالتأكيد عن المعنى الذى تسبغه أنت على هذه الكلمة .. فانا معجبة بالبروفسور جوان اكثر من اعجابى بأى انسان فى هذه الدنيا .. وانا ابذل كل ما املك فى سبيل مساعدته ، واشاركه كل ساعات عمله التى تصل الى ١٢ ساعة يوميا واحيانا اكثر .. واقف الى جانبه دائما وارعاه واظل ساهرة عليه حتى فى الساعات

الكثيرة التى لايحس فيها بوجودى .. فقد اصبحت العــلاقة بيننا طبيعية تماما خالية من اىكلفة او تعقيد .. وكثيرا مايحدثان نجلس معا ساعات طويلة من الليل فى انتظار ظهور نتائج جراحة اجراها لاحد المرضى . وهو عندما يسافر فى مهمات خاصة الى الريف او الى خارج البلاد فانه يصحبنى معه .. وحيثما يكون اكون انا .. وفى اية ساعة يحتاج الى يجدنى .. فانا التى أتولى دفع اجر التاكسى وأنا التى أذكره بمواعيده وأنا التى أتصل بزوجته لابلغها بانه لن يتمكن من العودة لتناول الغداء او العشاء معها ..

وسكتت لوسيل لحظات ثم عادت تقول فى خجل مصطنع :

ــ منذ مدة طويلة ــ فى بداية عملى معه ــ كانيحدث بيننا مايحدث عادة بين رجل وامرأة متلازمين .. ولم يكن البروفسور يعــير هذا الامر اية اهمية فقد تعود ان يفعل نفس الشىء مع الممرضات ومع كثيرات من الفتيات الاخريات .

ــ الم تكونى ــ أنت الاخرى ــ تعيرين هذا الامر أيه أهمية ؟

ــ اطلاقا .. !

وحملقت فيه بنظرة جريئة كأنها تتحداه ان يدخل معها فى مجادلة او يحاول اقناعها بوجهة نظره فى الاخلاق والقيم ..

ــ الم تعرفى الحب فى حياتك ؟

ــ مع من .. ؟

ــ مع اى رجل ــ مع البروفسور مثلا ..؟

ــ قلت لك ان مابينى وبين البروفســـور يختلف تماما عن المعنى الذى تمطيه ــ انت وغيرك من الناس ــ لكلمة حب ..

ــ ولكنك تكرسين حياتك كلها من اجل البروفسور ..

ــ بمحض اختيارى ..

ــ هل كان هو الذى طلب منك العمل معه بعد ان حصلت على شهادة التخرج . ؟

ــ كلا .. وانما انا الذى تقدمت بطلب لتعيينى سكرتيرة له .. وقد ظللت احلم بالعمل معه منذ ان حضرت اول محاضرة له ..

ــ قلت لى انه ــ فى البداية ــ كانت تحدثاشياء معينة بينكما ..

هل افهم من كلامك ان هذه الاشياء لم تعد تحدث الآن .. ؟

ــ اوه ، مسيو ميجريه .. الآن فقط ادركت انك محقق من الطراز الاول .. ان هذه الاشياء ما زالت تحدث من آن لاخر ..

ــ فى شقتك هذه .. ؟

ــ لا .. انه لم يجىء الى هنا ابدا .. وليس من عادته ان يمرق هذا الشارع الذى اسكن فيه او فى غيره من الشوارع الجانبية ، ولا اظنك تتصور انه يكلف نفسه مشقة صعود اربعة طوابق على قدميه، لــكى ..

ــ فى المستشفى اذن ؟ ..

ــ احيانا .. واحيانا اخرى فى شقته هو .. فان عملى ــ كسكرتيرة له ــ يتطلب منى ان اقضى معه ــ فى احيان كثيرة ــ جانبــا من ساعات عمله اليومية فى عيادته التى هى جزء من مسكنه ..

ــ هل تعرفين زوجته جيدا .. ؟

ــ اننى على صلة دائمة بها ، واتحدث اليها مرة كل يوم على الاقل ..

ــ ماهى طبيعة موقفك منها .. ؟

وخيل اليه ان عضلات وجهها قد توترت قليلا .

ــ انها لاتهمنى فى شىء ..

ــ هل هو شعور متبادل ؟..

ــ ما الذى تريد ان تجعلنى اقوله .. ؟

ــ الحقيقة ..

ــ الحقيقة يامسيو ميجريه ان مدام جوان تنظر لى نفس نظرتها الى الخدم الذين يعملون فى شقتها .. وهى تفعل ذلك لكى تشعرنى بانها هى سيدة البيت اما انا فلا شىء .. هل رأيتها .. ؟

ومرة ثانية تجاهل ميجريه سؤالها ، وتحول الى نقطــة جديدة فى استجوابه :

ــ ما الذى دفع البروفسور الى الاقتران بها .. ؟

ــ لانه ــ على ما اعتقد ــ لا يريد ان يعيش وحيدا ..

ـ لقد تم هذا الزواج قبل ان تبدئى فى العمل معه ، اليس كذلك؟

ـ نعم ، قبل عدة سنوات من اشتغالى معه ..

ـ هل هو سعيد معها .. ؟

ـ انه ليس من ذلك الصنف من الرجال الذين يميلون الى المشاكسة .. فهو مسالم الى اقصى درجة ، كما ان لديه قدرة فذة على تجنب اية مشكلة وعلى تجاهل وجود اى شخص ..

ـ هل يتجاهل وجود زوجته .. ؟

ـ لقد تعود ان يتناول وجبات طعامه معها ..

ـ وهل هذه هى كل العلاقة بينهما .. ؟

ـ حسب ما اعرف ..

ـ وما هو فى اعتقادك السبب الذى حفزها على الزواج منه ..؟

ـ اظنك تعرف انها كانت مجرد ممرضة عادية ، او اقل من عادية .. اما البروفسور فكان يتمتع بصيت ذائع ، وثراء ..

ـ هل هو واسع الثراء .. ؟

ـ انه يجنى من عمله اموالا طائلة . ولكنه لايهتم بالكسب ..

ـ المعروف عنه انه جمع ثروة ضخمة ..

وأومات برأسها موافقة ، ثم وضعت ساقا فوق ساق مراعية الا يتحسر الروب مرة ثانية ـ عن ساقيها ، ثم أخذت تجمع حواف ثوبها وتلفها حول ركبتها باحكام ..

ـ قصارى الكلام ان البروفسور ـ فى رايك ـ ليس سعيدا فى زواجه .

ـ هذا ليس صحيحا تماما فان زوجته لاتقدر على النيل من سعادته، وليس هناك مخلوق يستطيع ان يكدر مزاجه ..

ـ ولا حتى لولو .. ؟ !

ـ ولا حتى لولو .. هذا هو رأيى ..

ـ اذا كان البروفسور لايحب زوجته فكيف تفسرين استمراره فى معاشرتها اكثر من عشرين سنة ؟ ..

ــ لا استطيع ان اعلل لك ذلك .. فهذه هى مهمتك انت !

ــ لقد قال لى احد الذين اســتجوبتهم ان لولو « كانت واقعة تحت تأثير البروفسور » ..

ــ من الذى قال لك ذلك .. ؟

ــ هل هذا الكلام صحيح ؟

ــ صحيح وخطأ فى الوقتذاته ! ..وادق وصفهو ان البروفسور ــ بعد ان انقذ حياة الفتاة ــ اصبح يعتبرها ملــكا خاصا له ..

ــ الم يكن يفكر فى الحصول على الطلاق من زوجته لكى يقترن بالقتيلة .. ؟

وادهشها هذا السؤال الى درجة عقدت لسانها .. ثم لم تلبث ان صاحت :

ــ مستحيل ان يفكر فى الزواج من هذه الفتاة ! .. كما انه لايمكن ان يعقد حياته بطلب الطلاق .

ــ حتى لو كان ذلك من اجل الزواج بك ؟ ..

ــ بى انا .. ؟ هذه الفكرة لم تخطر له على الاطلاق ..

ــ هل خطرت لك .. ؟

وعندئذ ظهر عليها خجل حقيقى ..

ــ ولا لى .. ما الذى كان يمكن ان يحققه لى الــزواج منه ؟ بالعكس ، اعتقد ان هذا الزواج ــ لو تم ــ لكان صفقة خاسرة بالنسبة لى .. فانا الان ــ كما ترى ــ العب الدور الاول فى حياته، ومكانتى هذه ــ فىالحقيقة ــ اهم من مكانة زوجته..فهو لايكاد يفعل شيئا بدونى ، وانا اشاركه عمله واطلع على كل مؤلفاته ومحاضراته قبل ان يقرأها اى شخص آخر ، كما اعد له معظم الابحاث التى يحتاج اليها ، وهو لايعبر باريس فى سيارة الا وانا بجانبه .

ــ هل يخاف من الموت المفاجىء ..؟

ــ كيف عرفت ؟ !

ودهشت لان المفتشعرف ــ بفراسته ــ هذه الحقيقة .. وترددت قبل ان تجيب :

ــ الحقيقة انه لم يتحدث معى ابدا فى هذا الشأن .. ولكنى لاحظت منذ مدة انه اخذ ــ تدريجيا ــ يكتسب عادة الابتعاد عن الوحدة .

ــ منذ متى بدأت تلاحظين ذلك .. ؟

ــ منذ بضع سنوات فى تلك الفترة ــ تقريبا ــ التى اكتشف فيها ان حالة قلبه ليست على مايرام .. وقد استشار العديد من زملائه .. ولم يترك اخصائيا فى امراض القلب الا وذهب ليفحصه .. فاننا

ــ نحن الاطباء ــ نخاف المرض اكثر مما يخافه المرضى العاديون ..

ــ لو حدث ان فاجأته ازمة قلبية وهو فى التاكسى ــ مثلا ــ فما الذى تستطيعين ان تفعليه .. ؟

ــ لاشىء .. كل ما استطيع فعله ــ فى هذه الحالة ــ هو مجرد البقاء بجانبه .

ــ الخلاصة ان الامر الذى يفزع البروفسور هو فكرة الموت وحيدا ..

ــ هل تستطيع ــ ياحضرة المفتش ــ ان تذكر لى ، على وجه التحديد ، السبب الذى دعاك الى الحضور لمقابلتى .. ؟

ــ ربما كان السبب هو محاولة تجنب استجواب البروفسور ، حتى لا ازعجه بلا مبرر، فان عشيقته قد لقيت مصرعها فى ليل الاثنين..

ــ أرجوك .. لاتقل عن هذه الفتاة انها عشيقته ، فانا لا احب أن اسمع هذه الكلمة . وهى ليست الصفة الصحيحة .

ــ اننى استخدم الكلمة فى المعنى المتعارف عليه .. لقد كانت امام جوان الفرصة السانحة لارتكاب الجريمة ، فهو ــ كما اعترفت انت نفسك منذ دقائق ــ كان يجلس بمفرده فى الطابق الرابع بالمستشفى فيما بين التاسعة الا ربعا والحادية عشرة من ليلة الحادث ، ولم يكن هناك شىء يمنعه من الخروج واستئجار تاكسى الى شارع كارنو ..

ــ لو كنت عرفته لادركت حماقة مثل هذا التفكير .. ولما خطر لك ــ اطلاقا ــ الظن بأنه يمكن ان يقتل اى انسان ..

ــ ربما كان كلامك صحيحا ..

قال ميجريه هذه الجملة الاخيرة بطريقة جادة لا اثر فيها للسخرية

او التكلف ، ونظرت اليه لوسيل فى استغراب ردها عن الاستمرار فى مجادلته ولكن الشكوك لم تلبث ان عاودتها :

ــ ماذا تعنى بكلامك هذا ؟

ــ الست تقولين ان اعماله ومهامه وابحاثه العلمية وجراحاته ونشاطه المهنى الى آخر هذه العبارات .. هى الشىء الوحيد الذى له قيمة فى نظره ؟

ــ لم اقل ذلك تماما .. ولكنه صحيح الى حد ما ..

ــ الى حد ابعد كثيرا مما لمسته فى اى شخص قابلته او سمعت عنه طوال فترة عملى فى البوليس .. لقد وصفته احدى السيدات بانه قوة خارقة من قوى الطبيعة ..

وفى هذه المرة لم تحاول لوسيل ان تسأل : من التى قالت ذلك .. واستطرد ميجريه :

ــ ان قوى الطبيعة لا تكترث بالاضرار التى قد تتسبب فيها .. فاذا حدث ــ لسبب او لاخر ــ أن أصبحت لولو مصدر تهديد لاعمال جوان وابحاثه ..

ــ ولكن كيف يمكن ان تصبح لولو مصدرا لتهديد البروفسور ..!؟
ــ اتعرفين انها كانت حاملا .. ؟

ولم تبد عليها اية دهشة او استغراب . وانما قالت بلا مبالاة :
ــ ان هذا لا يغير من الامر شيئا ..

ــ اذن كنت تعرفين .. ؟

ــ لقد حادثنى البروفسور فى هذا الشأن ..

ــ متى ؟ ..

ــ يوم السبت الماضى ..

ــ السبت ؟ !

ــ نعم ..

ــ متأكدة .. ؟

ــ طبعا فقد كنا فى طريق عودتنا بالتاكسى من المستشفى عندما مال الى ناحيتى وقال كأنما يخاطب نفسه «اعتقد ان لولو حامل» ..

— هل كان يبدو عليه القلق وهو ينقل لك هذا النبأ .. ؟

— كلا .. فقد قال هذه الجملة بنفس الطريقة التى يتحدث معى بها فى كافة الموضوعات الاخرى ، ولم يكن يعير هذا الامر اية اهمية .

— ما نوع الانفعال الذى ظهر على وجهه حينئذ .. ؟

— لم يظهر عليه اى انفعال على الاطلاق فيما عدا ابتسامة صغيرة هازئة تنفرج عنها شفتاه كلما حمل الى شيئا جديدا .. فهو لا يعلق اهمية على اى شأن من شئون الحياة التى يحسب لها الاخرون الف حساب .

— الشيء الذى يحيرنى هو ذلك السبق الذى احرزه جوان فى معرفة النبأ .. فقد كان يعرفه منذ يوم السبت ، وربما قبل ذلك فى حين ان لولو نفسها لم تعرفه الا فى نحو السادسة من مساء الاثنين ..

— لقد فاتك ان البروفسور جوان طبيب ، وانه كان يشاركها الفراش ..

— هل تعتقدين انه تحدث فى هذا الشأن مع زوجته ايضا .. ؟

— هذا امر مستبعد ..

— لنفرض ان لويز فيلون ركبت راسها — بعد ان علمت انها حامل — واصرت على الزواج من جوان لكى تكسب طفلها صفة شرعية ..

— اعتقد ان مثل هذا التفكير لم يخامرها فى اية لحظة .. وحتى لو كان حدث ذلك فان البروفسور لم يكن ليقتلها ! .. انك تسير على درب خاطيء يا حضرة المفتش ..

— ربما كانت — فى حالة انفعال عاطفى — قد هددت جوان بأنها ستختفى من حياته نهائيا ..

وعندئذ هزت لوسيل ساقيها باستخفاف قائلة :

— ارى انك تزداد تباعدا عن اصابة الهدف ..

— الا تزالين مصرة على ان بيرو هو الجانى .. ؟

— كلا .. فلست ارى من الاسباب ما يمكن ان يكون قد حفز بيرو على قتل الفتاة كما انى لا اعتقد انك اخطأت عندما افرجت

عنه .

ـ ما هو ـ اذن ـ رأيك الخاص .. ؟

ـ لا يهمنى ان اكون لنفسى رأيا فى مثل هذا الموضوع ..

وانقطع الحديث لفترة من الوقت قام خلالها ميجريه وادار ظهره الوسيل لكى يفرغ غليونه فى سقط المدفاة .. وبلا كلفة ـ وكأنما هو فى بيته ـ امسك بملقط النار وراح يعيد ترتيب قطع الخشب المتفحمة .. ثم استدار فجأة فى مواجهة لوسيل وهو يسألها بصوت واضح النبرات :

ـ هل تعتقدين انها زوجة جوان .. ؟

ـ ليس من حقى ان اتهم احدا ..

ـ انك لا تحبينها .. !

ولم تستطع ان تجيب .. فمن اين لاحدى المرأتين ان تحب الاخرى ؟ لقد كانت مدام جوان ممرضة وابنة صياد سمك ثم اصبحت ـ بين عشية وضحاها ـ الزوجة الشرعية للبروفسور .. فى حين ان لوسيل ديكو التى كرست حياتها كلها له وانفقت السنين فى معاونته والوقوف بجانبه ليست سوى سكرتيرته . وفى كل مساء عندما يعودان معا من المستشفى تنزل معه من التاكسى وتوصله الى داخل العمارة ثم تتمنى له ليلة سعيدة قبل ان تأخذ طريقها الى شقتها بشارع « اكاسيا » بينما يأخذ هو المصعد فى طريقه الى زوجته ..

ـ هل تشكين فيها يا مدموازيل ديكو ..؟

ـ لم اقل ذلك ابدا ..

ـ ولكن ذلك هو ما يبدو عليك ..

ـ اعتقد انك لا تتردد فى تقصى جميع حركات وسكنات البروفسور فى ليلة الاثنين ، ولكنك لا تكلف نفسك مشقة البحث عن تصرفات زوجته فى تلك الليلة ..

ـ ما الذى تعرفينه انت فى هذا الشأن ؟

ـ هل تحدثت معها .. ؟

ـ لقد اكتشفت على الاقل ـ بطريقة لا داعى لذكرها ـ ان مدام

جوان امضت ليلة الحادث مع شـقيقتها انطوانيت . هل تعرفين انطوانيت ؟

ـ ليس بيني وبينها معرفة شخصية . ولكن البروفسور ذكر اسمها بضع مرات فى احاديثه معى ..

ـ لابد انه اعطاك صورة مشوهة عنها لانه ـ على ما اعرف ـ يزدريها ولا يميل كثيرا الى رؤيتها .

ـ بل هى التى تكرهه ، واذكر انه قال لى مرة انها لن تتورع عن ان تبصق فى وجهه اذا ما التقت به صدفة فى اى مكان ..

ـ الا تعرفين اية معلومات اخرى عن مدام جوان .. ؟

ـ لا ..

قالتها باقتضاب وخشونة ..

ـ هل لها عشيق ؟

ـ لا علم لى بذلك .. ولا شأن لى به !

ـ لنفرض ـ مثلا ـ انها هى التى اقترفت الجريمة .. فهـل تملك من الدهاء ما يجعلها تحبك ترتيب الملابسات بحيث تثير الشبهات حول زوجها .. لكى توجه اليه التهمة بدلا منها .. ؟

وهنا استغرقت لوسيل فى صمت ليس ادل منه على الموافقة ، ولم يتمالك ميجريه نفسه من الابتسام .

ـ لا شك انك ستكونين فى غاية السرور لو امكننا ان نثبت عليها تهمة القتل ..

ـ الشىء الذى انا واثقة منه تماما هو ان البروفسور لم يقتـل الفتاة ..

ـ هل تحدث معك عن الجريمة . ؟

ـ مرة واحدة .. وكان حديثا عابرا ..

ـ كان ذلك فى صباح امس ، الثلاثاء ؟ ..

ـ لا .. فهو لم يكن قد علم بالحادث حتى صباح امس ..

ـ هل قرأه فى صحف المساء ؟

ـ كلا ، فهو لا يقرأ الصحف العامة ..

ـ متى حادثك اذن ؟

ـ بعد ظهر امس .. فقد كنت اذكره بمواعيده عندما قال لى عرضا : «من المحتمل أن يتصل البوليس بى اليوم لكى يطلب منى موعدا هو الاخر » ..

ـ وبعد ذلك .. ؟

ـ لم يطرق الموضوع مرة ثانية ..

ـ هل كان يبدو منزعجا لمصرع لولو ؟

ـ كان يبدو كما هو دائما وكأن الحادث لا يعنيه فى شىء .. وربما كان قد تأثر قليلا ولكنه يعرف كيف يخفى تأثره ..

ـ الم يتحدث معك ابدا عن بيير ابرود ، عازف الساكسفون .. ؟

ـ ابدا ..

ـ الم تلاحظى .. ولو مرة واحدة .. ان جوان يغار من ذلك الموسيقى الشاب ؟

ـ ان البروفسور ليس بالرجل الذى يغار من احد مهما كان ..

ـ اظن ان اسئلتى انتهت عند هذا الحد .. شكرا يا عزيزتى .. وارجو ان تعذرينى اذا كنت قد اخرتك عن موعد عشائك .. اذا حدث ان تذكرت اية تفصيلات اخرى ذات قيمة فارجو ان تبلغينى بها تليفونيا ..

ـ الن نذهب لمقابلة البروفسور .. ؟

ـ لا اعرف حتى الان .. هل هو موجود فى بيته الليلة ؟

ـ هـذه هى الليلة الوحيدة ـ فى هـذا الاسبوع ـ التى لم يرتبط فيها بمواعيد فى الخارج ..

ـ وماذا يفعل الان فى البيت يا ترى .. ؟

ـ يواصل ابحاثه كالمعتاد .. ولعله الان يراجع اصول كتـابه الجديد الذى الفه عن جراحة التجميل ..

وتنهد ميجريه وهو يرتدى معطفه ، وقال بصوت رقيق خافت وهو يدير ظهره للوسيل :

ـ انت نمط غريب من الفتيات !

ـ لا اعتقد ان بى شذوذا ..

ـ طابت ليلتك يا انستى ..

ـ مع السلامة يا مسيو ميجريه ..

ورافقته الى خارج الشقة ثم اخذت تراقبه وهو يهبط السلالم ..

وامام باب البيت كانت سيارة البوليس السوداء الصغيرة فى انتظاره .. وفتح له السائق الباب .

ـ الى اين يا سيدى .. ؟

وكاد ان يقول له : « عد بى ثانية الى شارع كارنو .. » فقد كان يتحتم عليه ـ عاجلا او آجلا ـ ان يذهب لمقابلة البروفسور جوان وجها لوجه .. لماذا كان يؤجل هذه المقابلة باستمرار ؟ ..

يبدو ان ميجريه كان يحاول ان يدور حول البروفسور من جميع الجوانب دون أن يتجاسر على مواجهته ، فان شخصية جوان كانت تشعره بشىء من الرهبة .

ـ الى مبنى المحافظة ..

× × ×

وفى الطريق الى المحافظة مرت السيارة من شارع كارنو . وابطأت قليلا أمام العمارة التى يقيم بها البروفسور ، ولاحظ ميجريه ان الاضواء مطفأة فى الجانب الايمن من الشقة ، مما حمله على الاعتقاد ان جوان كان ـ فى تلك اللحظات يتناول عشاءه مع زوجته ..

ان لوسيل ديكو كانت مخطئة فى نقطة واحدة على الاقل .. فان علاقات البروفسور جوان بزوجته لم تكن على تلك الدرجة من السلبية التى صورتها لوسيل فى اقوالها .. فقد اصرت على ان جوان لا يتحدث اطلاقا فى شئون عمله مع زوجته .. مع أن مدام جوان قد زودت المفتش ميجريه بتفاصيل لا يمكن ان تكون قد عرفتها الا من زوجها مباشرة .

هل قال البروفسور لزوجته ـ فيما قال لها خلال الايام الخمسة الماضية ـ ان لولو حامل .. ؟ انه يعرف هذا النبأ منذ يوم السبت ـ على الاقل ـ وقد ابلغه لسكرتيرته ـ عرضا ـ اثناء حديثه معها وهما جالسان فى التاكسى .. اليس من الممكن ايضا ان يكون قد ابلغه ـ عرضا ـ لزوجته وهما جالسان معا لتناول الغداء او العشاء .. ؟

والح هذا السؤال على ميجريه ، وظل يدور فى راسه ويدور .. وعندئذ اوقف السيارة فى مكان متقدم من شارع كارنو على ناصية احد الشوارع الجانبية ودخل الى الحانة الصغيرة التى كان قد توقف عندها قبل يومين ـ فى بداية التحقيق ـ وتناول فيها قدحا من ((التودى)) الساخن .

واحس ببرودة الهواء اللاسعة عندما نزل من السيارة .. وبعد أن دخل الى الحانة واتخذ مجلسه فى مكان منعزل منها طلب كاسا من ((المارك)) رغم ان الوقت ـ فى هذهالمرحلة الدقيقة منالتحقيق ـ لم يكن مناسبا لتناول المشروبات الروحية ورغم انه كان قدتناول نفس الشراب مرتين فى الليلة السابقة .. وتذكر مداعبات زملائه فى المحافظة وقفشاتهم له بسبب هذه العادة الغريبة التى درج عليها وهى الانكفاء الى الشراب كلما اعوزه التفكير الحاد فى المآزق التى تقابله خلال عمله .. فقد عرف عنه انهعندما يشرع فى تحقيق جناية معقدة ينصرف لها بكل حواسه وتكون النتيجة هى استهلاك عشرات من زجاجات البيرة والنبيذ الاحمر واحيانا بضع زجاجات من الويسكى ايضا .

ونهض من مقعده بعد ان تناول ((المارك)) .. لكى يتصل بمكتبه مستفسرا عن اى جديد حتى يستطيع بعد ذلك ان يعود الى بيته مباشرة دون حاجة الى المرور على مبنى المحافظة .. ولكن كابين التليفون كان مشغولا ، ومن ثم فقد وجد ان لابد مما ليس منه بد.

وانطلقت به السيارة الى مبنى المحافظة ، وعلى طول الطريق لم تصدر منه كلمة واحدة الى السائق !

ـ الا تزال فى حاجة الى يا سيدى ؟ ..

ـ فى خلال بضع دقائق ستوصلنى الى بيتى ، ان لم تكن ساعات عملك قد انتهت ..

ـ ان نوبتى تنتهى فى الثامنة ..

وصعد الى مكتبه ، واضاء النور .. وفى الحال انفتح الباب الجانبى وظهر منه المخبر لوكاس ..

ـ لقد اتصل المفتش جانين ..وكان يبدو عليهالاستياء لان احدا لم يبلغه بامر العثور على بيرو ..

كان الجميع قد نسوا جانين الذى ظل يواصل مهمة البحث عن

الموسيقى الهارب فى كل مكان من حى « لاشابيل » الى ان قــرا فى صحف المساء البيان الذى اذاعه المفتش ميجريه واعلن فيه الافراج عن بييرو بعد استجوابه فى مبنى المحافظة ..

ــ وهو يسال عما اذا كان يستمر فى تعقب بييرو ..

ــ لم يعد الامر يستحق .. اى معلومات اخرى ؟ ..

ولم يكد لوكاس يفتح فمــه متأهبا للكلام حتى دق جرس التليفون .. ورفــع ميجريه السماعة ، فاذا بصوت غريب يقــول بلهجة غاضبة :

ــ هل أنت المفتش ميجريه ؟

وادرك لوكاس فجأة انها مكالمة ذات دلالة خاصة .

وعاد الصوت الغاضب يقول من الطرف الاخر للخط :

ــ انا جوان ..

وبدا للوكاس كمــا لو كان المفتش قد ارتعــد قليلا ، وانه يبذل جهدا لكى يستعيد هدوءه .. وواصل البروفسور جوان كلامه ..

ــ لقد علمت الان انك كنت ، منذ دقائق ، تستجوب سكرتيرتى ..

كان من الواضــح ان لوسيل ديكو اتصلت بالبروفسور ــ فور انصراف ميجريه من شقتهــا ــ وابلغته بتفاصيل المقــابلة . وهز ميجريه راسه بطريقة لا شعورية وهو يجيب :

ــ نعم لقد استجوبتها ..

ــ اعتقد انه كان من الاصوب أن تحصل منى انا مباشرة على كل ما تريده من معلومات .

ورد ميجريه بجفاء :

ــ هذه وجهة نظرك ..

ــ انت تعرف مكان سكنى .. ؟

ــ اعرفه جيدا .. وسآتى لمقابلتك ..

وساد السكون طرف الخط لحظــة استطــاع المفتش ميجريه ان يسمع بعدها صوتا نسائيا غير واضح ، ربمــا كان الصوت لزوجة جوان التى ارادت ان تذكره بشىء ما .

وعاد البروفسور يسال بنفس لهجته القاضية :

ـ متى ستجيء .. ؟

ـ فى خلال ساعة او ساعة ونصف .. بعد ان اتناول عشائى ..

ـ ساكون فى انتظارك ..

ودون ان يضيف كلمة اخــرى قطع الاتصال فى وجه ميجريه ..

واستولت الدهشة على لوكاس وهو يرى المفتش يضع السماعة.

ـ هل البروفسور هو الذى كان يتكلم ؟ !

واومأ ميجريه برأسه ..

ـ ما الذى يريده .. ؟

ـ يريد منى ان اذهب اليه لاستجوابه .. الديك اى عمل محدد الان ؟

ـ هل ترغب فى ان تصحبنى معك .. ؟

ـ نعم ولكننا سنذهب اولا لكى نتناول العشاء معا ..

وتناولا العشاء فى مطعم ميجريه المفضل بميدان ((دوفين)) ،وجلسا على نفس المائدة التى طالما جلس عليها ميجريه عند تناول وجبات غدائه وعشائه العديدة خارج البيت الى حد انهــا أصبحت تعرف ـ بين الجرسونات ـ باسم ((مائدة جناب المفتش)) .

وطوال تناول الطعام لم يتفوه ميجريه بكلمة واحدة ..

الفصل الثامن

لم يسبق لميجريه طوال مدة اشتغاله فى البوليس أن اهتم بانســـان قدر اهتمامه الحالى بالبروفسور جوان .. ولم يسبق له أن حسب حسابا لاستجواب شاهد او متهم مثلما يحسب الان ألف حساب للاستجواب الذى سيجريه بعد قليل معالبروفسور .

لقـد عمل ميجريه فى البوليس ٢٥ سـنة ، استجوب خلالهـا الالاف .. وربما عشرات الالاف .. بعضهم كانوا فى مراكز سامقة ، وبعضهم كانوا مشهورين بالثراء الذى لاحد له ، وآخرون كانوا يبلغون درجـة من الذكاء او الدهاء تدخلهم فى عـداد ابلغ الشخصيـات العالمية ، واوسعها حيلة .

ورغم ذلك فان جميعهذه الشخصيات التى عاشت معه فىالماضى كانت تبدو ـ فى عينيه ـ الان ضئيـلة هزيلة امام تلك الشخصية الجديدة الفريدة فى اطوارها ..

لم يكن المركز الاجتماعى للبروفسور هو الذى يهيب ميجريه .. لا ، ولا شهرته الواسعة التى غمرتكافة الاوساط الطبية والعلمية فى العالم .. !

ونظر الى المخبر لوكاس الذى كان لا يزال غارقا فى الصمت على سبيل المشاركة الوجدانية لرئيسه .. كانت النظرات الخرسـاء هى وسيلة الاتصال الوحيدة بين الرجلين ، ومنذ انجلسا فى المطعم لتناول العشــاء لم يحاول احدهما ان يقطع جو التجهم الســائد بينهما ، أو يخفف من ثقل الملل بكلمة أو اشارة أو تلميح الى المهمة الكبرى التى تنتظرهما واللتى قررا أن يواجهاها معا بعد دقائق .

وكانت حالة اعتلال المزاج قد بلغت ذروتها عند ميجريه .. واحدثت صداها فى نفس لوكاس الذى بدا عليه الانقباض والرثاء لرئيسه . وكان فى عينيه سؤال لا يجرؤ على النطق به : لماذا لم يذهب ميجريه مباشرة — منذ بداية التحقيق — الى البروفسور لكى يستوضح منه النقاط التى تختفى خلف علامات الاستفهام ، الم يكن ذلك اجدى واصوب من الجرى وراء بيبرو وانطوانيت ولوسيل ديكو وصالة جريلو والحانات والملاهى التى تمج بفتيات الليل ، وتتقيأ السكارى ومدمنى الشهوة ؟ ..

وكان ميجريه يدرك ان هذا السؤال ظل يتردد فى ذهن لوكاس منذ ان بدأ العمل معه فى تحقيق هذه الجناية المحيرة ، وان المخبر المسكين لا يملك حق المناقشة .. وخصوصا فى هذه اللحظات الحرجة — ولا يستطيع الا التنفيذ بلا تردد ولا مضض .

ولم يكن ميجريه يستطيع هو الاخر ان يعترف بحقيقة مشاعره للوكاس ، ولا لاى شخص آخر ولا حتى لزوجته .. والحقيقة انه كان يجد صعوبة فى العثور على سبب معقول — واضح يفسر به هذا التردد الذى يبلغ حد التخاذل .

صحيح ان ميجريه كان متأثرا بكل ما عرفه عن جوان وبكل المعلومات التى استطاع جمعها حتى الان .. اما السبب فى هذا التأثر فهو الامر الذى لم يستطع ان يدركه ولو عن طريق التخمين..

كانت هناك بعض أوجه الشبه بين ميجريه والبروفسور ليس فقط من الناحية الجسمانية والتقارب فى السن .. وانما من ناحية ظروف الحياة السابقة . فان كلا منهما ولد فى قرية صغيرة بوسط فرنسا .. وكل منهما كان فقيرا فى صباه واضطر الى الاعتماد على نفسه فى شق طريقه الى الحياة . كذلك فان ميجريه التحق فى بداية شبابه باحدى كليات الطب ، ولكن الظروف اضطرته الى ترك الدراسة لكى يبدأ حياته العملية مخبرا صغيرا فى البوليس .. ثم استطاع بجهده الشخصى أن يصبح واحدا من أبرز المحققين فى العاصمة الفرنسية . ولو كان استمر فى دراسة الطب لكان الان هو الاخر طبيبا ذا مكانة مرموقة . ربما لم يكن ليصبح جراحا بسبب افتقاره الى المرونة اليدوية اللازمة لمهنة الجراحة .. ولكن المؤكد انه كان حريا بان ينبغ فى فرع آخر من فروع الطب .. وعلى أية حال فان كلا منهما الان على دراية مقاربة لدراية صاحبه بالشئون الداخلية للبشر ..

وفضلا عن كل ذلك فان ميجريه يتشابه مع البروفسور فى أن كلا منهما لم ينجب طفلا رغم أنهما متزوجان منذ أكثر من عشرين سنة .. وربما كان كل منهما عقيما . !

وأراح ميجريه مرفقيه على مائدة المطعم وهو يتأمل كل هذه الاوجه من الشبه التى تجمع بينه وبين عشيق لولو .. ولكن ، ما له والتفكير فى هذا الشبه ؟ .. انه لا يؤدى الى اية نتيجة عملية ولايمكن أن يوصله الى أية نقطة تفيد التحقيق أو تكشف عن سر جديد .. ومن العبث الاستمرار فى التفكير على هذا النحو بينما الدقائق تمضى سريعا وموعد مقابلة البروفسور يقترب ..

ثم أن هناك بينهما أوجها عديدة للخلاف أيضا ، فان استجابة أحدهما لرغبات الجسد ولذات الحس تتناقض تماما مع استجابة الاخر .. فهما ــ فى الحقيقة ــ ضدان ، وان كان ذلك لايمنع من أن يكونا ضدين متكافئين كأنهما كفتا ميزان .

× × ×

ان كل معلومات ميجريه عن البروفسور جوان قد جمعها من أقوال خمس نساء يختلفن فيما بينهن اختلافا شاسعا ، وتتخذ كل واحـــدة موقفا متباينا تماما من البروفسور . هؤلاء النسوة الخمس هن : مدام جوان وشقيقتها العانس انطوانيت ومدموازيل ديكو سكرتيرة البروفسور ومدام كونيه بوابة عمارة البروفسور ومدام برو الخادمة السابقة للقتيلة ..

وكل ما رآه ميجريه من البروفسور هو الخطوط الخارجية لجسمه حيث كان يقف منذ أقل من ساعتين على رصيف شارع كارنو ومن خلفه مصباح الشارع الخافت ، وكذلك صورة فوتوغرافية كبيرة له موضوعة داخل اطار مذهب فوق المدفأة فى شقة لوسيل ديكو ..

وأبرز حادثة وقعت خلال التحقيق هى ذلك اللقاء المثير الذى تم صدفة بين البروفسور والمخبر جانفيه فى شقة القتيلة ، والحديث القصير الذى دار بينهما خلاله والذى عبر فيه البروفسور عن استيائه وامتعاضه لان احدا لم يتقدم لاستجوابه ، وقد نقل جانفييه هذا الحديث ــ فور انتهائه ــ الى ميجريه تليفونيا .

واخذ ميجريه يتاهب لمغادرة المطعم لكى يتجه الى شقة البروفسور حتى يستطيع أن يستيقن من مدى صحة أو خطأ معلوماته عنه .. وكان قد اعد نفسه لهذا الاستجواب بكل ما لديه من طاقة ذهنية ونفسية..

وبكل ما اختزنه فى السنين الطوال الماضية من خبرة وقدرة على توجيه الاسئلة واقتناص الحقائق الخافية .

واذا كان قد قرر أن يصطحب لوكاس معه .. فلم يكن ذلك بقصد الاستعانة بمساعدته .. وانما — على الارجح — لكى يضفى على الحديث جوا رسميا .. وربما أيضا لكى يستمد من وجود لوكاس احساسا دائما بأنه ذاهب الى شارع كارنو بوصفه مفتش بوليس موفدا من قبل المحافظة حتى لا يطغى عليه شعوره الداخلى بانه مجرد انسان يهتم بدراسة نفسية انسان آخر .

وكان قد تناول الكثير من النبيذ مع العشاء ، وقبل أن يتهيأ للخروج جاءه الجرسون وسأله عما اذا كان يريد ((براندى)) أم مزيدا من النبيذ وعندئذ طلب لنفسه كوبا من ((المارك دى بورجونى)) المعتق ، أما لوكاس فقد اكتفى بما تناوله من نبيذ مع العشاء ..

وعندئذ خرج الاثنان من المطعم واستقلا سيارة البوليس الصغيرة السوداء ، كان ميجريه يشعر بالدفء التام ، ومضت السيارة تجوب الشوارع وتدور حول المنعطفات الى ان دخلت شارع كارنو ..

كان الشارع يبدو هادئا تماما وشبه مهجور فى ذلك الوقت من الليل .. ومن خلف ستائر النوافذ كانت تطل أضواء ضعيفة حالمة ..
ونزل ميجريه من السيارة أولا ودخل الى باب العمارة بخطوات متعجلة وفى اعقابه المخبر لوكاس .. وداخل غرفة البوابة كانت تجلس مدام كورنيه التى رمقتهما بنظرة غيظ مكبوت وهما يمران من المدخل ، ولكن أحدا منهما لم يلتفت اليها .

ودخل الرجلان الى المصعد الذى أخذ يرتفع بهما بين الطوابق ، وبدا كل طابق وكأنه غارق فى الاسرار ..

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة الا الثلث عندما شد ميجريه المقبض النحاسى اللامع المتصل بالجرس الكهربائى لشقة البروفسور ، وعندئذ ترامت الى اسماعهما اصوات خطوات صادرة من داخل الشقة ثم فتح الباب .. وظهرت خادمة شابة ذات وجه باسم متناسق التقاطيع ترتدى مريلة أنيقة فوق فستان أسود ..

— أهلا وسهلا ..

قالتها بلهجة مودة وترحاب كأنها تستقبل ضيوفا أعزاء عليها ، ثم زادت من انفراجة ابتسامتها وهى تقول :

ـــ هل يرغب السيدان فى أن يخلعا معطفيهما .. ؟

وحملت عنهما المعطفين وعلقتهما داخل دولاب كبير فى مدخل الشقة ثم تركت الرجلين واقفين فى « الانتريه » واختفت الى الداخل دون أن تنبس بكلمة ..

فى أى مكان يا ترى سوف يجرى الحديث مع البروفسور ؟ .. أفى حجرة الاستقبال ذات الطابع الرسمى .. أم فى حجرة الجلوس التى يستقبل فيها الاقارب وأصدقاء الاسرة عادة ؟ ..

كان هذا هو السؤال الذى طاف فى مخيلة ميجريه خلال فترةالانتظار ولكن تساؤله لم يطل ، فسرعان ما أقبل البروفسور جوان الذى بدا أطول مما كان فى الشارع .. ودون أن يوجه لهما كلمة ترحيب واحدة أو حتى ينظر اليهما قال موجها كلامه الى ميجريه :

ـــ الطريق من هنا ..

ثم أشار الى « طرقة » جانبية وتقدمهما الى السير فيها حتى وصل الجميع الى حجرة المكتبة .

كانت حوائط الحجرة مغطاة تماما بالكتب والمجلدات والنشرات المرصوصة فوق الرفوف .. وكان يغمر الحجرة كلها ضوء منتشر هادىء منبعث من عدة مصادر .. وكانت هناك كتل من الخشب مشتعلة داخل مدفأة أضخم كثيرا من مدفأة لوسيل ديكو . وفى ركن من الحجرة كان يوجد مكتب كبير عليه أوراق مبعثرة بعضها مكتوب بخط اليد وبعضها الاخر بروفات كتاب تحت الطبع .

وعاد البروفسور يوجه كلامه الى ميجريه متجاهلا تماما وجود لوكاس :

ـــ اتخذ لنفسك مقعدا ..

وأشار الى مقاعد الحجرة ، ثم سبقه الى الجلوس على مقعد مريح خلف المكتب .

وكان آخر الجالسين هو لوكاس الذى لم تتح له فرصة الاختيار او المفاضلة بين المقاعد ، فجاء جلوسه فى مكان قريب جدا من المدفأة وفوق اكثر مقاعد الحجرة ليونة ، ومن ثم وجد نفسه يغطس الى أسفل فى حين ارتفعت ركبتاه الى اعلى حتى لم تعد قدماه تمسان الارض .. فبدت ساقاه القصيرتان معلقتين فى الهواء .. وحاول الاعتدال فى جلسته فلم يستطيع ، وعندئذ اخذ ينظر الى البروفسور

ثم الى ميجريه متوسلاً الى اى واحد منهما ان يطلب منه الانتقال الى مقعد آخر ، ولكنهما كانا فى شغل عنه ، فآثر البقاء على هذا الوضع غير المريح .

وبعد فترة صمت قصيرة بدأ البروفسور الكلام ، ولم تكن عيناه حتى هذه اللحظة قد التقت بعينى ميجريه .

— كنت اتوقع منك ان تأتى بمفردك ..

قال هذه الجملة بلا ادنى اكتراث للاثر الذى احدثته فى نفس لوكاس المسكين .. وعندئذ سارع ميجريه الى انقاذ نفسه من هذا المأزق ..

— يسرنى ان أقدم لك زميلى الجاويش لوكاس .. لقد رأيت ان اصحبه معى لانه امهر رجالنا فى الاختزال .. حتى يستطيع ان يدون كل كلمة من حديثنا ..

وفى تلك اللحظة فقط التقت نظراتهما .. واحس ميجريه من نظرة البروفسور بلمحات من التوبيخ ، وربما ايضا — وان كان ميجريه لم يستطع ان يتأكد من ذلك تماما — بنوع من خيبة الامل ، فقد كان البروفسور — على مايبدو — يأمل فى أن يكون الحديث خاصا بلا رسميات ولا تعقيدات . وعلى اية حال فقد كان من الصعب على ميجريه ان يدرك حقيقة الشعور الداخلى للبروفسور الذى كان يبدو طبيعيا تماما ، متحكما — كأقصى مايمكن ان يتحكم انسان — فى انفعالاته ..

ولايدرى ميجريه ما الذى جعله يتصور — فى تلك الاونة — ان هناك شبها بين البروفسور وبين ممثلى المسرح ومغنى الاوبرا .. لعل ذلك الشبه يرجع الى صرامة قسمات وجه البروفسور وضخامة عظامه وبروزها بالاضافة الى البقعتين الداكنتين اللتين تكسوان اسفل عينيه .. أما عيناه ذاتهما فتتركز فيهما كل قوة تأثيره . فهما رغم صغرهما ولونهما الباهت وخلوهما تماما من أى بريق ، تشعان نظرات لامثيل لها فى قوة النفاذ ..

وعندما استقرت هذه النظرات على ميجريه .. تأكد له ان البروفسور يهتم بدراسة شخصيته بدرجة لاتقل عن اهتمامه هو بدراسة نفسية البروفسور . وتساءل فيما بينه وبين نفسه : هل رأى البروفسور اننى انسان طبيعى مثلما اجده انا الان طبيعيا .. ؟

وكان لوكاس قد اخرج من جيبه ((نوته)) صغيرة وقلم رصاص ..

وشرع في الكتابة لكي يضفي على نفسه بعض الاهمية .. ولكي يوهم البروفسور بأن هناك سببا لوجوده في الحجرة ..

ولم يكن من الممكن التنبؤ بالاحتمالات التي قد يسفر عنها الحديث ، ولا بالاتجاهات التي قد تتفرع اليها المناقشة ، ولابدرجة الحرارة التي سيكون عليها الحوار بين البروفسور والمفتش .. ولكن ميجريه كان يختزن في نفسه قدرا كبيرا من الهدوء والانتظار والترقب ..

— الست تعتقد — ياmسيو ميجريه — انه كان من الاصوب والاقرب الى المنطق ان تاتي لمقابلتي منذ البداية بدلا من ان تزعج هذه الفتاة المسكينة ... ؟

وجه البروفسور هذا السؤال الى ميجريه بلهجة خالية تماما من اى اكتراث او مبالاة ، وكأنه يسأله في شان من شئون الحياة العادية وسارع ميجريه الى الرد عليه :

— هل تقصد بكلمتي « الفتاة المسكينة » مدموازيل ديكو ..؟ انني لم الحظ — انها اصيبت باقل انزعاج لمقابلتي .. واعتقد انها اتصلت بك بمجرد خروجي من عندها — لكي تخبرك بكل مادار بيني وبينها .

— لقد اخبرتني باسئلتك واجابتها عليك .. فقد كانت ترى ان الاقوال التي ادلت بها اليك يمكن ان يكون لها اية اهمية .. وهكذا النساء دائما يحاولن ان يقنعن انفسهن باهميتهن ..

— ان لوسيل ديكو — فيما اعلم — هي اقرب الناس اليك ..

— انها تساعدني في اعمالي ..

— اليست تعمل سكرتيرة لك ايضا ..؟

— هذا صحيح .. وهي تصحبني اينما ذهبت ، ولابد ان تكون قد اخبرتك بكافة تفاصيل علاقتي بها ، فان هذه العلاقة تشعرها بانها تلعب دورا رئيسيا في حياتي ..

— اعتقد ان الرابطة التي بينكما اكثر من مجرد « علاقة » ... اليست تحبك ؟ ..

— بنفس القدر الذي كان يمكن ان تحب به اى شخص آخرتعمل سكرتيرة له ، بشرط ان يكون مشهورا ..

— لقد وجدت ايضا انها تكرس نفسها من اجلك الى درجة انها

لن تتردد فى اداء شهادة زور — اذا لزم الامر — لكى تنفى ايةشبهة عنك ..

— انها مستعدة لان تفعل اى شىء يمكن ان تتصوره دون انتتردد للحظة واحــدة .

— حقا .. انها مغرمة بك الى اقصى درجة ..

— زوجتى ايضا قابلتك .. اليس كذلك ؟ ..

— هل اخبرتك ؟ ..

— تماما مثلما فعلت لوسيل .. نقلت لى التفاصيل الكاملةللحوار الذى دار بينكما ..

كان يتحدث عن زوجته بنفس اللامبالاة التى يتحدث بها عنسكرتيرته فلم تكن هناك اية حرارة فى نبرات صوته ، وانما كان يقرر الحقائق مجردة دون ان يعلق عليها اية اهمية او يظهر اى اثر للانفعال او العاطفة تجاهها ..

ولاشك ان الاشخاص العاديين الذين اتصـــــلوا به عن قرب او التمسوا خدماته قد اصـــيبوا بخيبة امل كبرى لما راوا من صراحته المؤلمة ، واتجاهه المباشر الى الافصاح عن الحقيقة مهما كانت قسوتها فهو ليس بالرجل الذى يتكلف او يجامل او يقلق نفسه بالتفكير فىالاثر الذى يحدثه فى نفوس الاخرين .

ومن النادر جدا ان نجد انسانا لايحاول الظهور بغير حقيقته ،فان القاعدة العامة ان يغير الانسان سلوكه تلقائيا حسب تغير الظـــروف التى يتعرض لها ، وان يختلف فى معاملاته مع الناس بحسباختلاف الاشخاص الذين يتعامل معهم ، او — على الاقل — يراقب نفسه فى تصرفاته واحاديثه مع غيره ، فيزن كل تصرف وكل كلمة قبل انتصدر عنه .. ولكن هذه القاعدة لم تكن لتنطبق على جوان .. فانه هو هو دائما تحت كافة الظروف وامام كل الناس ، اما المشاعر الانسانية الموجودة عنده بحكم الغريزة فانه لايجد ادنى صعوبة فى اخفائها ..

وقد تجلى موقفه هذا واضحا عند حديثه عن لوسيل ديكو :

— ان تكريس حياتها من اجلى ليس — فى الحقيقة — الا نوعا من ارضاء غرورها ، وحاجتها الى اقناع نفسها بانها متفوقة عنمثيلاتها .. ان اية واحدة من تلميذاتى كان يمكن ان تفعل معى كل الاشياءالتى

تفعلها لوسيل لا لشيء الا لكي تحس بان حياتها ذات قيمة ، وربما ايضا لكي تتصور انى مدين لها بالجميل ..

ولم يشأ البروفسور ان يوضح كلامه اكثر من ذلك لانه كان يدرك ان ميجريه يفهم جيدا الاشياء الاخرى التى قد تخفى عن الرجل العادى فقد حكم على المفتش منذ الدقائق الاولى بانه ند له من حيث الذكاء وسرعة الفهم .

ــ لم أخبرك بعد عن السبب الذى دعانى الى الاتصال بك تليفونيا هذا المساء ودعوتك لزيارتى .. ولكن أرجو ألا تفهم أن ذلك هو السبب الوحيد الذى حفزنى على لقائك ، فلقد كنت أرغب فى مقابلتك على اية حال ..

لم يكن فى جملته الاخيرة أى اثر للمجاملة فقد كان ملتزما فيها بمبدأ الصدق مع نفسه الذى يتخذه دينا له .. فمنذ ان التقى وجها لوجه مع ميجريه وهو لايكف عن تفحصه ولا يخفى تعمده هذا التفحص . فقد كان يرى فيه عينة جديدة من النماذج البشرية يمكن ان يستفيد منها فى اضافة مزيد الى معلوماته . لذلك فقد وجد أنه « كان يرغب فعلا فى مقابلته على أية حال » ..

ــ بينما كنت أتناول العشاء مع زوجتى هذا المساء .. تلقيت مكالمة تليفونية غريبة .. فقد كانت المتحدثة امراة لاتربطنى بها معرفة شخصية ، وأظن انك تعرفها جيدا .. انها مدام برو خادمة لويز السابقة .

ولاحظ ميجريه أن البروفسور لم يقل « لولو » وانما قال «لويز» وانه يتحدث عن عشيقته القتيلة بنفس البساطة التى يتحدث بها عن سائر الناس ، ولم يكن ميجريه فى حاجة الى الحصول منه على ايضاحات حول هذه النقطة ، فقد كانت التفاصيل مفهومة ضمنا ..

ــ لقد وقع فى روع مدام برو ان لديها دليلا يمكنها أن تستخدمه فى تهديدى وابتزاز أموالى ، ولكنها ــ للاسف ــ اخطات الهدف.. ولم أفهم فى البداية ما الذى تعنيه عندما قالت .. : « ان المسدس فى حوزتى يامسيو جوان » . وتعجبت عندما سمعت كلمة «المسدس» وقلت فى نفسى : أى مسدس ذلك الذى تقصده ..؟

ــ لحظة من فضلك .. هل تسمح لي بسؤال ؟..

ــ تفضل ..

ــ هل حدث أن التقيت من قبل مع مدام برو ..؟

ــ لا من قبل ولا من بعد .. فلست أذكر على الاطلاق انى رأيت هذه المخلوقة .. وانما كنت اعرفها من خلال أحاديث لويز معى ، فان لويز تعرفها من قبل أن تنتقل الى السكنى فى هذه العمارة ، وقد فهمت منها أن هذه المخلوقة الغريبة دخلت السجن عدة مرات.. ولم تكن تشتغل فى شقة لويز الا فى ساعات الصباح . ولم يكن من عادتى أن اتردد على الشقة فى الصباح ، لذلك فلست أذكر أنى التقيت بها ، ربما أكون قدقابلتها مرة على السلالم دون أن أعرفها.

ــ هل لى أن أعرف تفاصيل ماقالته لك أثناء المكالمة ..؟

ــ أخبرتنى انها عندما دخلت الى حجرة الجلوس بشقة لويز صباح أمس ، وجدت المسدس على المائدة ثم ..

ــ هل حددت المكان بأنه « على المائدة » ؟

ــ نعم ، ثم مضت تقول انها أخفت المسدس داخل أصيص يحتوى على نبات مزهر ، ثم وضعت الاصيص فى « البسطة » المقابلة للشقة .. ولابد أن رجالك قد فتشوا كل مكان داخل الشقة دون أن يرقى تفكيرهم الى البحث عما خارجها .!

ــ كان ذلك هو منتهى الدهاء من جانبها ..

ــ وهى تزعم الان أن المسدس فى حوزتها ، وتطلب مبلغا كبيرا من المال فى مقابل اعادته لى ..

ــ اعادته لك ..؟!

ــ انا صاحب المسدس !..

ــ كيف عرفت ..؟

ــ لقد أعطتنى أوصافه .. وذكرت لى الرقم المدون عليه ..

ــ وهل تحتفظ بهذا السلاح منذ مدة طويلة ..؟

ــ منذ ثمانى أو تسع سنوات .. فقد سافرت حينئذ لكى اجرى جراحة فى احد مستشفيات بلجيكا ، وفى ذلك الوقت كنت اكثر تجوالا مما أنا الان .. فقد كان يحدث أن استدعى الى بلاد بعيدة مثل الولايات المتحدة أو الهند ، وكانت زوجتى تقول دائما انها تخاف من البقاء وحدها فى البيت لمدة أيام وأحيانا لمدة اسابيع ..

وفى اثناء اقامتى فى بلجيكا نزلت فى فندق بمدينة لييج حيث اتيحت لى الفرصة لمشاهدة معرض للاسلحة النارية المصنوعة محليـــا ، وعندئذ تذكرت زوجتى وقررت أن اشترى مسدسا صغيرا لكى اقدمه لها كهدية .. وينبغى أن اعترف لك ايضا باننى ادخلته الى هذه البلاد عن طريق التهريب .. فانا لم اظهره لرجال الجمارك عنـــد عودتى ..

وابتسم ميجريه ..

— وهل قبلت زوجتك الهدية ..؟

— كلا ..

— وكيف تصرفت فى هذا السلاح ؟..

— احتفظت به ..

— فى اية حجرة ..؟

— فى نفس هذه الحجرة داخل احد ادراج مكتبى هذا .. وظل فى مكانه طوال تلك السنين .. وقد شاهدته فى نفس المكان للمرة الاخيرة منذ بضعة اشهر .. ولكنى لم استخدمه اطلاقا .. وكنت قد نسيته تماما عندما تلقيت المكالمة التليفونية ..

— وماذا كان جوابك على تهديد مدام برو .. ؟

— قلت لها انى سارد عليها فيما بعد ..

— ومتى كنت تعتزم الرد عليها ..؟

— الليلة غالبا .. ولكنى رأيت اولا ان اتصل بك .

وتحول ميجريه فجاة الى لوكاس الذى كان قـــد اصـــبح كمية مهملة ..

— هل تستطيع الذهاب الان الى بيت مدام برو ..؟ اظن أن معك عنوانها ..؟

— نعم ياسيدى ..

ونهض واقفا على الفور ، ووضع النوته الصغيرة والقلم الرصاص فى جيبه .. وكان من الواضح انه مستعد للذهاب الى الجحيم نفسه هربا من ذلك الجو الثقيل المخيم على الحجرة ، ومن جلسته غير المريحة التى اوشكت أن تصيب ساقيه بالخدر .. فعلى الرغم من

ان الحديث بين البروفسور والمفتش كان يدور في هدوء تام وينتقل من أحدهما الى الآخر بطريقة غاية في التشويق والاثارة .. كان لوكاس يتحـــرق شوقا الى مغادرة المكان لاسيما بعد ان طـــال انكفاؤه على الكتابة في النوتة التي أسندها على ركبتيه ، وبعد ان التهب ظهره بفعل نيران المدفأة ..

ــ لا تنس أن تأخذ معطفك يا لوكاس .

وبعـــد ان اغلق باب الشقة خلف لوكاس ، ســادت فترة من الصمت بين الرجلين .. وفي هذه المرة كان ميجريه هو البـــادىء بالحـــديث ..

ــ هل تعلم زوجتك بذلك ..؟

ــ بتهديد مدام برو ؟..

ــ نعم ..

ــ لقد سمعت ماقلته في التليفون .. فقد تلقيت المكالمة في غرفة الطعام حيث كانت زوجتي بجانبي ، ثم اخبرتها بما قالته مدام برو

ــ كيف كان رد الفعل عندها ..؟

ــ نصحتني بأن أدفع لمدام برو المبلغ الذي تطلبه ..

ــ ألم تحاول أن تعرف السبب الذي دفعها الى هذه النصيحة؟

ــ الحقيقة يامسيو ميجريه انه سواء زوجتي أو لوسيل ديكو أو أية امرأة أخرى .. فانهن جميعا يشعرن بارتياح عميق عنطريق اقناع انفسهن بأنهن لايتوانين عنبذل أي جهد لحمايتي ..والمشكلة عندي ــ باختصار ــ هي كيفية المفاضلة بينهن ، واكتشاف اكثرهن فائدة وحماية لي ..

لم تـــكن كلماته تحمل أية سخرية وانما كانت كسائر كلامه ــ مجرد تقرير للحقائق من وجهة نظره .. وبلا ادنى تهكم مضى يتحدث عن زوجته .. وعن لوسيل ديكو ، وكان في تحليله لشخصية كل منهما يتكلم بلغة التجرد من العواطف كانهما مريضتان ترقدان بين يديه في غرفة العمليات يجول فيهما بمبضعه مستكشفا باحثا .

ــ ماذا ــ في تصورك ــ الذيأشعر زوجتي بالحاجة اليالنزول اليك في شقة لويز للتحدث معك ذلك الحـــديث الطويل .. ؟ انـــه الرغبة في قيامها بدور الزوجة الوفية التي تحافظ على هدوء اعصاب زوجها وتحميه من كل مايعرقل عمله ..

ـ أليس هذا هو حقيقة شعورها تجاهك ..؟

وهنا نظر البروفسور الى ميجريه نظرة نفاذة ، ولم يجب ..

ـ يخيل لى ـ يادكتور ـ ان زوجتك تهيىء لك نوعا من الفهم يندر وجوده عند سائر النساء ..

ـ ربما .. وهى ايضا تتظاهر بانها ليست غيورة ..

ـ هل هو مجرد تظاهر .. ؟ !

ـ هذا يتوقف على المعنى الذى تعطيه لكلمة « الغيرة » .. المسالة بالنسبة لها هى عدم الاكتراث بعلاقاتى الخاصة مع الاخريات .

ـ حتى علاقتك مع لويز فيلون .. ؟

ـ حتى علاقتى مع لويز ، فى البداية .. لا تنس أن زوجتى كانت ـ قبل اقترانى بها ـ مجرد ممرضة مغمورة .. فلقد وقع انقلاب تام فى حياتها بين يوم وليلة ..

ـ هل كنت تحبها .. ؟

ـ كلا ..

ـ لماذا تزوجتها اذن ؟ ..

ـ لكى املا فراغا فى البيت ..فقد كانت هنا سيدة عجوز تعنى بشئونى .. ولكننى ادركت ان الاجل لن يمتد بها طويلا ، وانا لا احب ان اعيش وحيدا يا مسيو ميجريه ..ولا ادرى ماذا كنت قد جربت هذا الاحساس يوما ما ..

ـ ربما كنت ترغب ايضا فى ان ترى الناس الذين حولك يدينون لك بكل شىء ..

ولم يعترض على هذه الملاحظة .. وانما على العكس احس حيالها ببعض السرور :

ـ هذا صحيح الى حد ما ..

ـ هل كان هذا هو السبب الذى دعاك الى اختيار زوجتك من أسرة متواضعة .. ؟

ـ اننى لا اطيق فتيات الاسر الاخرى ..

ـ هل كانت تعلم انك ستستمر فى علاقاتك الخاصة بعد الزواج منها .. ؟

ـ كانت تعلم ذلك كل العلم ..

ـ فى اية فترة بدأت تظهر الاستياء .. ؟

ـ انها لم تظهر الاستياء فى اى وقت .. لقد رأيتها بنفسك ، الم تجد انها تستحق الاعجاب ؟ .. انها تعتنى بالبيت عناية فائقة، ولا تصر ابدا على ان اصحبها معى الى اية سهرة ، ولا تدعو اية صديقة لها الى العشاء ..

ـ اذا كان ما فهمته صحيحا .. فهى تمضى كل يوم من ايامها فى انتظارك ..

ـ تقريبا .. ولكنها لا تفعل ذلك بلا ثمن ، ويكفيها ان تكون زوجتى وان تعرف انها ـ فى يوم من الايام ـ ستصبح ارملة البروفسور جوان ..

ـ هل تعتقد انها تسعى الى تحقيق اطماع خاصة ؟ ..

ـ لافسر لك الامر بطريقة اكثر بساطة : لا شك انها لن تشعر بالاسف عندما تجد بين يديها الثروة التى ساتركها لها ..هل حصر لك ان توجه لها هذا السؤال ؟ ..

ولم يستطع ميجريه الاجابة ..

ـ وهل تعرف ما الذى يحدث الان ، فى هذه اللحظات ؟ .. أراهنك أنها تسترق السمع من وراء باب الحجرة ..

ولم يخفض جوان صوته وهو يلقى بهذه الكلمات الاخيرة .. ونظر ميجريه الى الباب وتأكد من أنه سمع صوت حركة خفيفة فى الحجرة المجاورة ..

ـ وهل تدرى ما الذى حدث عندما تلقيت المكالمة التليفونية هذا المساء ؟ .. لقد انزعجت وأخذت تلح على فى أن استقبلك فى حجرة الجلوس وفى أن تكون حاضرة معنا ..

ـ لقد قالت لى انها هى التى اقترحت نقل لويز فيلون للسكنى فى هذه العمارة ..

ـ فعلا كانت هى صاحبة هذا الاقتراح .. ولم يكن هذا التفكير قد خامرنى ، ولم أكن أعرف حتى أن ثمة شقة قد خلت فى العمارة ..

ـ الم يبد هذا التدبير غريبا لك .. ؟

ــ ولماذا يبدو غريبا ؟

قالها فى تعجب وكان سؤال ميجريه الاخير جاء مفاجأة له ..

ـ هل كان ما بينك وبين لويز حبا ؟ ..

ـ ليس هناك شيء اسمه « حب » .. ان الطب لايعترف بوجود شيء من ذلك ! ..

ـ هل كنت فى حاجة اليها .. ؟

ـ من الناحية الجسدية ، نعم .. ولست اجدنى فى حاجة الى توضيح .. فانا الان عمرى ٦٢ سنة .

ـ اعلم هذا ..

ـ وهذا هو كل ما هنالك ..

ــ الم تكن تغار من بيرو .. ؟

ــ ربما كنت اغار لو انه لم يوجد .. فهو ــ على الاقل ــ كان يسلى لويز فى اوقات فراغها ..

وعندما وصل الحديث الى هذا الحد قام ميجريه لكى يفعل نفس الشيء الذى فعله فى شقة لوسيل ديكو .. فقد اخذ يعيد تنظيم قطع الخشب المتفحمة داخل المدفأة .. واحس فى تلك اللحظة بالعطش الشديد ، فان « المارك » الذى تناوله بعد العشاء اخذ الان يلهب حلقه لاسيما وانه لم يكف عن التدخين منذ ان وصل الى شقة البروفسور .. كذلك فان البروفسور لم يفكر فى ان يقدم له اى شراب يمكن ان يطفىء غلته ..

وعاد ميجريه يسأل :

ــ هل التقيت به ؟ ..

ــ من ؟ ..

ــ بيرو ...

ـ مرة واحدة ... فقد كان هو ولويز يتخذان الاحتياطات لكى لا افاجئهما معا ..

ــ كيف كانت مشاعر لولو تجاهك .. ؟

— مشاعر ؟ .. يبدو انك مغرم باستخدام الالفاظ الفارغة التي لاتحمل اى دلالة .. اية مشاعر تلك التى تريد ان تنسبها الى فتاة مثل لويز .. انك حسب ما اعتقد — تعرف قصتها ، فلا شك عندى فى ان زوجتى سردتها لك بالتفصيل .. لقد كان طبيعيا انتتحدث معى لويز عن غرامها بى وامتنانها لى ، ولكن الحقيقة ابسط منذلك كثيرا .. فالفتاة لم تكن ترغب فى العودة ثانية الى ايام الحرمان ، وكان ينبغى ان تعلم ذلك من تلقاء نفسك .. فان الفقــــراء الذين احسوا فعلا بألم الجوع وذاقوا مرارة العوز فى اقسى صوره ، ثم استطاعوا — بوسيلة او بأخرى — ان يصعدوا الى حياة اخـرى ارقى وافضل ، هؤلاء الفقراء مستعدون لان يفعلوا أى شىء فى الدنيا لكى يتجنبوا السقوط ثانية الى مهاوى حياتهم السابقة .

وهز ميجريه رأسه مؤمنا على كلام البروفسور ، فقد كان — بحـكم خبرته السابقة — يدرك هذه الحقيقة .

— هل كانت تحب بييرو حقا ؟ ..

— انصت لى لحظة يامسيو ميجريه .. هذه هى المرة الثانية التى تستخدم فيها هذه الكلمة . !

— لنترك اذن كلمة « الحب » هذه . .بماذا يمكن ان نســـمى العلاقة التى كانت بين لولو وبييرو .. ؟

— انا لست متشبثا برأيي كما تظن .. وعلى كل حال فسأجاريك فى تفكيرك الرومانتيكى : ان لويز كانت فى حاجة الى بعض الاهتمـــام العاطفى فى حياتها .. ايرضيك هذا الكلام ؟ .. اما اذا فارىوجها آخر لهذه العلاقة وهو أن لويز كانت ترغب فى خلق المشاكل لنفسها، فان النساء — كما قلت لك منذ لحظات — لديهن ميــل غريزى الى الشعور بان لهن أهمية .. وهذا هو السبب — حسب اعتقادى —فى التجاء كل امرأة الى تعقيد حياتها واقحام نفسها فيما كان ينبغى ان تتجنبه ، اما غايتها النهائية من كل ذلك فهى ان تعيش فى وهم دائم يخيل لها ان فى يدها ســلطة الاختيار بين اكثر من رجل ..

— ومن هم الرجال الذين كانت لولو تريد الاختيار بينهم .. ؟

القى ميجريه بهذا السؤال وعلى وجهه شبح ابتســـامة .. فى محاولة لارغام محدثه على وضع النقط فوق الحروف، ولكنالبروفسور لم يتردد فى الاجابة بنفس هدوئه المعتاد :

ـ كانت لويز تتصور ان في يدها فرصة الاختيار بين صديقهـــــا الموسيقي وبيني ..

ـ وهل تحققت لها هذه الفرصة فعلا .. ؟

ـ كلا ، ولقد ذكرت لك الاسباب ..

ـ هل حدث ان هددت بان تهجــرك ؟ ..

ـ كانت في بعض الاحيان تزعم انها تفكر في التخلي عني ..

ـ الم تكن خائفا من ان تنفذ تهديدها .. ؟

ـ لا ...

ـ الم تحاول اغراءك بالزواج منها ؟ ..

ـ ان طموحها لم يكن يصل الى هذه الدرجة .. وانا واثق انها كانت سترتعد جزعا لو تنبأ لها احد بانها ستصبح ـ في يوم ما ـ زوجة البروفسور جوان .. فان كل ماكانت تحتاج اليه هو الشعور بالامن والاستقرار : شقة مزودة بمدفأة وماء ساخن ، وثلاثوجبات كل يوم وملابس نظيفة ذات الوان زاهية ..

ـ ما المصير الذى كانت ستنتهى اليه لو حدث لك شيء .. ؟

ـ لقد اعددت لهذا الامر عدته .. فقد استخرجت بوليصة تأمين على حياتي لصالحها ..

ـ وهل استخرجت بوليصة اخرى لصالح لوسيل ديكو ؟ ..

ـ كلا .. فالوضع هنا يختلف ، ان لوسيل ـ بعد ان اموت ـ سترتبط بشخص اخر غيرى ، وستنشأ بينها وبينه نفس العــلاقات التي بينها وبيني الان ، وبالتالى فلن يتغير شيء في حياتها ..

وقطع حديثهما رنين التليفون ، وكان جوان على وشك ان يرفــع السماعة قبل ان يشير الى ميجريه قائلا :

ـ أظن انه زميلك المخبر ..

وكان المتكلم هو فعلا المخبر لوكاس ، وكان يتحدث من قسمبوليس باتينيول ، وهو أقرب قسم الى بيت مدام برو .

ـ لقد عثرتعلى السلاح ياسيدى في غرفة نومها .. تحت(مرتبة) السرير ، وقد حاولت في البداية ان تمنعنى من التفتيش ، وزعمت انها لم تتصل بالبروفسور ولم تطلب منه اى نقود ..

ـ هل القيت القبض عليها .. ؟

ـ نعم ، وهى الان معى هنا ..

ـ ارسلها تحت الحراسة الى المحافظة ..

ـ انها فى حالة هياج شديد ، وقد مزقت وجهى باظافرها واسالت الدم من انفى ، و ...

ـ هل اعترفت بشىء ؟ ...

ـ لم استطع ان احصل منها على اى اعتراف .. ولكنها بدأت تتكلم بعد ان دخلت الى القسم ، ولازالت تصر على انها وجـــدت المسدس فوق المائدة فى حجرة الجلوس .

ـ الم تسألها من هو صاحب المسدس ؟ ..

ـ تزعم انه مسدس البروفسور ..

ـ ومن اين لها ان تعرف .. ؟

ـ تقول ان ذلك امر واضح .. ولكنها لاتريد اعطاء اية تفاصيل .. هل حصلت انت على اية تفاصيل جديدة من البروفسور .. ؟

ـ لا شىء على وجه التحديد .. ومازلنا مستمرين فى الحديث ..

ـ لا اظن انك ستطلب منى العودة اليكما .

ـ اذهب اولا الى ادارة تحقيق الشخصية لمعرفة صاحب البصمات التى على المسدس .. ولاتنس ان تتأكد من وصـــــول المرأة الى المحافظة ..

ـ اوامرك ياسيدى ..

وعندئذ سمع ميجريه صوت لوكاس وهو يتنهد فى ارتياح .. !

× × × ×

فى تلك اللحظة فقط فكر البروفسور جوان فى ان يقدم شرابا الى ميجـــريه ..

ـ أترغب فى كأس من « البراندى » .. ؟

ـ بـــكل سرور ..

وضغط على جرس فوق مكتبه ، وعلى الفور دخلت الخـــادمةالتى

كانت قد استقبلت ميجـــريه ولوكاس عند باب الشقة ..

ــ براندى ..

ولم يتصل الحديث بينهما وهما فى انتظار الشراب .. وعندماعادت الخادمة كانت تحمل صينية عليها كأس واحدة ...

ــ ارجو ان تعذرنى يامسيو ميجريه .. فانا لا اتناول الخمـــــر اطلاقا .. !

وتركه يمد يده لـــكى يتناول الكأس ..

كان من الواضح ان البروفسور يمتنع عن شرب الخمر ، لا لانه يعف عن تناولها ، ولا لان من مبادئه الا يعاقرها ، ولا لانه يلتـــزم بنظام معين فى الطعام والشراب .. وانما لانه ــ ببساطة تامة ــ لا يجد نفسه بحاجة اليها ...

الفصل التاسع

أخــــذ ميجريه يحتسى البراندى على مهل ، ويتأنى بين كل رشفة والاخرى .. وبينما كانت الكاس فى يده وجه نظرة محدقة الى البروفسور اجاب عليها البروفسور بنظرة هادئة تمـــاما ..

ـــ ان مدام كورنيه ـــ بوابة العمارة ـــ تدين لك هى الاخرى بالكثير من الفضل ، اليس كذلك ؟ .. اذا لم اكن مخطئا فانت الذى انقذت ابنها ..

ـــ اننى لا انتظر من أحد ان يدين لى بالفضل ..

ـــ ولكنها ايضا مغرمة بك ، وهى ـــ مثل لوسيل ديكو ـــ مستعدة لان تكذب فى سبيل ان تنفى الشبهات عنك ..

ـــ فعلا ، وهذا هو الامر الغريب .. وعلى اية حال فان كل هذا التفانى لا يسرنى كثيرا ..

ـــ الا تشعر احيانا بأنك وحيد فى هذه الدنيا ؟ ..

ـــ كيف ؟ .

ـــ اعنى طريقتك هذه فى الحياة .. الا ترى انها تبعدك عن الناس وتعزلك عن العالم وتجعلك تعيش فى وحدة دائمة ؟ ..

ـــ ان كل كائن بشرى يعيش وحيدا مهما صورت له نفسه غير ذلك .. فهذه هى الحقيقة التى يجب ان نعترف بها وان نرتب حياتنا على أساسها .

ـــ يخيل لى انك تعيش فى رعب فى الوحدة ..

ـــ تعنى الوحدة المادية ..؟ ولكنى اتحدث الان عن الوحدة الذهنية،

فانا — كأى كائن بشرى آخر — اعيش مع افكارى حتى فى وجود الاخرين ..

— وماذا عن الوحدة المادية .. ؟

— استطيع أن أقول لك — اذا كان ذلك يهمك — انى لا ارتاح كثيرا الى وجود فراغ حولى ، فانا لا احب ان أكون وحيدا فى شقة او فى شارع او فى سيارة ..

— هل تفكر فى الموت ؟ ..

— أحيـــانا ..

— هل تفزع عندما تتصور ان الموت قد يأتيك فجأة ؟ ..

— ان فكرة الموت فى حد ذاتها لا تقلقنى ، ولكنى اكره الالام التى تصاحب عملية الموت ، ولا شك انك — باعتبارك مفتش بوليس — قد شاهدت من حوادث الموت قدر ما شاهدت انا تقريبا ..

وأدرك ميجريه بجلاء ان هذه هى نقطة الضعف الوحيدة فى البروفسور .. وان خوفه من الموت وحيدا هو الذى يضفى عليه مسحة من الجبن الغريزى الموجود عند كل انسان ، وان هذه النقطة هى التى تشـــده الى المجتمع البشرى ، رغم انه — فى هذه النقطة ذاتها — يختلف مع سائر البشر فى انه لا يخجل من الاعتراف بها ..

— منذ ان أصابتنى الازمة القلبية الاخيرة ، وانا اعمد دائما الى الاحتفاظ بشخص ما بجانبى .. ورغم ان هذا الاجراء لا قيمة له من الناحية الطبية .. فانه يشعرنى ببعض الاطمئنان . .ربما ينطوى هذا الشعور على حماقة ولكنه حقيقة شعورى .. ولقد زادت كراهيتى للوحدة بعد ما حدث لى منذ بضعة اسابيع عندما كنت استقل سيارة تاكسى وحدى فى مكان بعيد باحد اطراف باريس حيث شعرت فجأة بانى أوشك على الاغماء .. فقد اضطررت فى تلك اللحظة الى التوجه لاقرب حانة صادفتنى فى الطريق رغم انى لا أشرب اى نوع من الخمر كما تعرف ..

وفى تلك اللحظة القى ميجريه بالسؤال — الذى ظل يدخره طويلا فى انتظار تحين الوقت المناسب .

— ماذا كان انطباعك — يا دكتور — عندما لاحظت ان لويز حامل ؟ .. ودهش البروفسور من السؤال ، لا لان المفتش واجهـــه بهـــذه الحقيقة فجأة وبلا مقدمات .. وانما لان ميجريه اعارها كل هـــذا

الاهتمام .. ولم يزد جوان على ان اجاب بلا ادنى انفعال :

ــ لقد كان هذا متوقعا فى أى وقت ..

ــ هل تحدثت لويز معك بشان هذا الحمل ؟ ..

ــ لا ، ولا اظن انها كانت تعرف ..

ــ لقد عرفت ولكن فى وقت متاخر ، وعلى وجه التحديد فى الساعة السادسة من مساء الاثنين قبل مصرعها بثلاث او اربع ساعات .. ولقد نزلت انت لزيارتها فى شقتها خلال تلك الفترة ، الم تذكر لك أى شىء عندئذ .. ؟

ــ كان كل ما قالته هو انها تشعر ببعض الغثيان ، ولذلك فقد تركتها تذهب الى فراشها لتستريح ..

ــ هل كنت تعتقد انك انت والد الطفل .. ؟

ــ هذا امر لا يهمنى فى كثير او قليل ..

ــ الم تنجب اطفالا من قبل ؟..

ــ حسب معلوماتى .. لا ! ..

ــ الم ترغب أبدا فى أن يكون لك طفل ؟ ..

وهنا اجاب البروفسور فى استنكار :

ــ وما السبب الذى يدعونى الى مثل هذه الرغبة ؟ ! .

وكانت هذه الاجابة صدمة لميجريه الذى ظل ثلاثين عاما يتوق لان يصبح ابا .. فلم يتمالك نفسه من ان يقول بصوت منخفض :

ــ شىء غريب ..

ــ ماذا تعنى ؟ ..

ــ لا شىء ! ..

ــ ان بعض الناس الذين ليست لهم اهتمامات جدية فى الحياة يتصورون ان الطفل يعطيهم بعض القيمة التى يفتقرون اليها ، لانهم يرون فى الانجاب امتدادا طبيعيا لهم ، ويعزون انفسهم بانهم عندما يموتون سيخلفون وراءهم شيئا .. ولكن هذه التصورات لا تتوفر عندى ! ..

ــ اذا اخذنا فى الاعتبار مسألة فارق السن بينك وبين عشيق لولو

الاخر .. اليس من المحتمل ان لولو كانت مقتنعة بأن الطفل هو ابن العشيق الاخر ؟ ..

— انك تتكلم الان كلاما غير علمى ..

— انا اتكلم عما يمكن ان تعتقده هى ..

— يجـــوز ...

— الم يكن ذلك كافيا لان يجعلها تقرر هجرانك لكى تعيش مـــع بيرو .. ؟

وبلا اى تردد اجاب البروفسور بلهجة الشخص الواثق تماما من ان الحق فى جانبه :

— لا .. فانها فى هذه الحالة كانت ستقسم لى بان الطفل ابنى انا.

— وهل كنت تعترف ببنوته ؟ ..

— لم لا .. ؟

— حتى لو تأكدت من انك لست والده الحقيقى .. ؟

— وما وجه الاختلاف ؟ .. ان اطفالنا واطفال الاخرين سواء ..

— افهم من ذلك انك كنت ستعتبر لويز اما لطفلك .. هل كنت تتزوج منها اذن ؟ .

— لست ارى سببا يدعونى الى خوض تجربة زواج اخرى ..

— هل كنت تتوقع من لويز ان تحاول اغراءك بالزواج منها ؟ ..

— حتى لو كانت حاولت فانها ما كانت لتنجح ..

— لانك تتمسك بالبقاء مع زوجتك ، ولا تقبل الانفصال عنها .. ؟

— لانى — فى الحقيقة — اجد من السخف الدخول فى مثل هذه التعقيدات .. اننى أجيبك بصراحة ثقة منى فى انك قادر على الفهم ..

— هل تحادثت مع زوجتك بشأن حمل لولو .. ؟

— نعم ...

— متى .. ؟

— بعد ظهر يوم الاحد على ما أتذكر .. نعم ، لقد كان يوم الاحد ، ففى ذلك اليوم قضيت فترة بعد الظهر كلها فى البيت .

— وما الذى دعاك الى أن تخبر زوجتك بهذا الامر .. ؟



ـ أن لويز فيلون قد اغتيلت ..

ـ نعم ، هذه هي الحقيقة !.. ولابد ان شخصا ما قد تطرف الى اقصى مدى للحقد عليها ..

ـ الا تهتم بان تعرف من هو هذا الشخص ؟..

ـ انت الذى يجب ان تهتم .. لانها مهمتك ، وليست مهمتى ..

ـ الم يخطر لك أن هذا الشخص قد يكون انت .. ؟

ـ طبعا خطر لى أنى محل شبهات من جانب البوليس .. وقبل ان اعرف ان زوجتي تحدثت معك ، كنت فى غاية الدهشة لان أحدا من مفتشي البوليس لم يجيء لاستجوابى . ولقد نبهتنى البوابة عدة مرات الى ان الكثيرين يشيرون الى باصابع الاتهام .. وقالت ان الشبهات تحوم حولى ..

ـ حتى البوابة !.

وبدا على البروفسور انه مستعد لتقبل اى اتهام من اى شخص باعتبار ذلك جزءا من محاولة الوصول الى الحقيقة ..

ـ لقد ذهبت الى مستشفى كوشان مساء الاثنين لمتابعة حالة مريض طفل .. ولكنك لم تبق بجانب فراش المريض لاكثر من نصف ساعة ..

ـ نعم ، فقد صعدت بعد ذلك الى الطابق الرابع للمستشفى لكى استرخى قليلا فى حجرة الاستراحة الخاصة بى ..

ـ لقد كنت وحدك .. ولم يكن هناك ما يمنعك من ان تغادر المستشفى دون ان يراك احد ، وان تستقل تاكسيا الى هنا وتصعد الى شقة لوزير ، ثم تعود الى غرفة استراحتك .

ـ فى اى وقت ـ حسب تصورك ـ كان يمكن ان يتم مثل هذا المجىء والرواح ؟ ..

ـ كان المفروض ان يتم فيما بين التاسعة والحادية عشرة ..

ـ ومتى انصرف بيير ايرود من شقة لويز فيلون بعد زيارته لها فى نفس الليلة ؟..

ـ فى العاشرة الا الربع ..

ـ كان المفروض اذن ان اقتل لويز بعد ذلك الوقت ..

ووافقه ميجريه ..

ـ واذا اخذنا فى الحساب الوقت اللازم للطريق « ذهابا وايابا »

.. فاننى ما كنت لاتمكن من العودة الى المستشفى قبل العاشرة والنصف ..

وبقليل من التفكير حسب ميجريه هذه الحسبة فوجد ان وجهة نظر البروفسور سليمة تماما !.

وعلى حين بغتة احس ميجريه بخيبة امل كبرى .. فقد اتضح له أن الامور لا تسير كما كان يتصور ، وعرف مقدما ما سيقوله البروفسور بعد ذلك ، فلم ينتبه اليه كثيرا وهو يواصل سرد احداث تلك الليلة :

ــ الحقيقة ــ يا مسيو ميجريه ــ هى انى فى العاشرة الا خمس دقائق كنت استقبل زميلا لى هو الدكتور لانفان الذى جاء لاستشارتى بشأن حالة خاصة لم يكن يثق تماما فى طريقة تشخيصه لها .. فقد صعد الى فى غرفة استراحتى الخاصة ، وطلب منى أن اصحبه الى الطابق الثالث لكى أرى الحالة بنفسى ، ونزلت معه بالفعل ، ولكن سكرتيرتى لم تعلم بذلك ولا اى موظف آخر فى المستشفى فيما عدا خمسة اشخاص بينهم ذلك الطبيب والمريض الذى نزلنا اليه ، والذى لم يكن قد رآنى من قبل وربما ايضا لا يعرف اسمى حتى الان .. ولو كنت استجوبت احدا من هؤلاء الخمسة بدلا من استجواب سكرتيرتى التى كانت تتحدث معك اليوم وهى فى حالة اعياء بعد يوم طويل من العمل المرهق ..

وقاطعه ميجريه قائلا :

ــ أنا لم افكر اطلاقا فى توجيه تهمة القتل اليك .. ولست اعتقد انك يمكن ان تقتل لولو بالذات ..

وضغط ميجريه على كلمة « لولو » فى محاولة لاستفزاز البروفسور الذى كان من الواضح انه يتضايق من سماع اسم عشيقته القتيلة بهذه الطريقة المدللة ، فقد كان يفضل الاشارة اليها باسمها الرسمى : لويز ...

ويبدو ان ميجريه ايضا كانت تنتابه فى تلك اللحظات رغبة فى استخدام القسوة مع البروفسور .. نفس القسوة التى كان يستخدمها البروفسور فى معاملة كل من حوله ..

وسرعان ما رد البروفسور عليه :

ــ لقد كنت اتصور فقط انك تحاول المداراة على قاتل لويز ،والبحث

عن ضحية تقدمها الى المشنقة لكى تكون « كبش الفداء » بدلا من القاتل الحقيقى ..!

— ماذا تعنى .. ؟

وأراح جوان ظهره الى مسند مقعده ولم يرد ، ولكنه ألقى بنظرة نفاذة الى المفتش كانت أبلغ من اى رد ، واوقع اثرا مما لو كان قال : ها أنذا قد رددت لك صاعا بصاع ...

وصعدت دفقة طفيفة من الدم الى وجه البروفسور .. ثم حول عينيه بعيدا عن ميجريه ..

وقطع جو الصمت بين الرجلين رنين جرس الشقة .. كان القادم هو المخبر لوكاس ، وكان يحمل فى يده طردا صغيرا ..

ودخل لوكاس على عجل بعد أن قادته الخادمة الى باب الحجرة .. ولم تكد قدماه تستقران بين البروفسور والمفتش حتى شرع فى فض غلاف الطرد ، فاذا بداخله سلاح نارى صغير سلمه الى ميجريه قائلا:

— لا توجد عليه أية بصمات .. !

ولم يظهر على الرجلين اى تعبير عن الدهشة وهما يستمعان الى هذا النبأ الجديد الذى جاء به المخبر لوكاس ..

ووقف المخبر — بقامته القصيرة — يتطلع الى وجهى الرجلين مستغربا من جو الهدوء الذى لم يزل سائدا بينهما ، وازدادت دهشته عندما وجد ان كلا منهما ما زال جالسا فى نفس مكانه وعلى نفس الدرجة من التوتر التى تركهما عليها .. كأنما الزمن قد توقف عندهما طوال تلك الفترة التى راح فيها يذرع شوارع باريس داخل سيارة البوليس .

وتكلم ميجريه اخيرا :

— أظن ان هذا هو مسدسك يا دكتور جوان .. ؟

كان المسدس اشبه ما يكون بلعبة صغيرة من لعب الاطفال ..وكانت ماسورة المسدس مطلية بالنيكل اما قاعدته فكانت محلاة بقطعة من اللؤلؤ .. وكان من الواضح انه لو لم يكن قد اطلق من مسافة قريبة جدا لما احدث ضررا كبيرا ولما كانت لويز فيلون قضت نحبها ..

وتطوع لوكاس بتفسير الوضع :

— لقد وجدنا ان هناك رصاصة مفقودة من خزان المسدس .. ولقد

اتصلت تليفونيا بخبير الطلقات النارية ، الذى ذكر لى انه سيجرى اختباراته المعتادة ويخبرنا بنتيجتها غدا .. ولكنه مقتنع من الان بان هذا هو السلاح الذى استخدم فى جريمة يوم الاثنين وان الرصاصة الناقصة هى التى أودت بحياة القتيلة ..

ولم تكن لتفسيرات لوكاس اى نصيب من الاهتمام ..

وتوجه ميجريه فجاة الى البروفسور ..

ـ هل تغلق أدراج مكتبك بالمفتاح يا دكتور جوان .. ؟

ـ انا لا اغلق اى شىء ..

لم يكن البروفسور يحرص على اخفاء اسراره .. ولم يكن يهمه فى كثير او قليل ان يطلع الاخرون على اوراقه الخاصة .. ولم يكن هذا التصرف ليثير دهشة ميجريه . فهو امر متوقع من جانب رجل يزدرى كل الناس ولا يقيم وزنا لاحد ..

ـ معنى ذلك ان كلا من زوجتك وسكرتيرتك كان فى استطاعتها الوصول الى المسدس ؟ ..

ولم يكن هذا السؤال فى حاجة الى جواب من جانب البروفسور ..

ـ قل لى يا دكتور جوان .. ألم تدهش لوجود شقيقة زوجتك فى الشقة عند عودتك من المستشفى مساء الاثنين .. ؟

ـ لقد كان من عادتها ان تتجنب رؤيتى قدر ما تستطيع ..

ـ لا شك انها لا تسر لمرآك .. وربما كانت ايضا تبغضك ..

ـ هذه هى مجرد وسيلة اخرى ـ من وسائل المرأة ـ لكى تقنع نفسها بان لها اهمية ..

ـ لقد قالت لى زوجتك ان شقيقتها جاءت لزيارتها عرضا فى مساء الاثنين .. حيث كان قد تصادف وجودها فى مكان قريب من هنا .

ـ يجوز ..

ـ ولكن انطوانيت قالت لى ـ عندما استجوبتها ـ ان زوجتك هى التى اتصلت بها فى بيتها وطلبت منها المجىء ..

وانصت جوان لكلام ميجريه باصغاء تام دون ان يكشف عن اى انفعال ملحوظ .. ثم مد ساقيه الى الامام حتى برزت قدماه من تحت المكتب بينما شبك اصابع يديه فوق المكتب ، فبدت ـ فى طولها المفرط

ونحافتها ـــ اقرب ما تكون الى اصابع عازف بيانو ..

وحانت لفتة من ميجريه الى لوكاس الذى كان لا يزال واقفا على قدميه ..

ـــ اجلس يا لوكاس ..

وتدخل البروفسور قائلا :

ـــ هل احضر شرابا لزميلك المخبر .. ؟

وعندئذ هز لوكاس رأسه الى اليمين ثم الى اليسار ..

واستأنف ميجريه حديثه مع البروفسور .

ـــ هناك شيء آخر قالته زوجتك ، واريد ان استوثق من صحته .. فانت وحدك الذى تستطيع ان تؤكده او تنفيه ..

واومأ البروفسور دلالة على استعداده لتقبل اى سؤال ..

ـــ منذ فترة من الزمن اصابتك ازمة قلبية وانت فى شقة لويز ..

ـــ هذا صحيح .. ربما كان مبالغا فيه بعض الشيء .. ولكنه صحيح ..

ـــ هل صحيح ايضا ان لويز انزعجت واستدعت زوجتك بالتليفون ؟.

ـــ ومرة اخرى كان انفعال جوان اقوى منه .. فبدت عليه الدهشة واضحة ..

ـــ من الذى قال لك ذلك ؟ ..

ـــ هل هو صحيح ؟ ..

ـــ ليس تمـــاما ...

ـــ يجب ان تدرك ان اجابتك على هذا السؤال بالذات سيكون لها كل الاهمية ...

ـــ اننى ادرك ذلك من الطريقة التى توجه بها السؤال ، وان كنت لا ادرى السبب .. لقد كنت اشعر بضيق تنفس فى تلك الليلة ، ولذلك طلبت من لويز ان تصعد الى شقتى لكى تحضر لى زجاجة دواء معينة كنت احتفظ بها فى الحمام الخاص بى ، وصعدت لوزير بالفعل ، وعندما دقت الجرس فتحت لها زوجتى لان الخدم كانوا قد ذهبوا الى الفراش حيث ينامون فى الطابق السادس .. وكانت زوجتى هى الاخرى قد

اوشكت على الذهاب الى الفراش .. ولكنها توجهت الى الحمام على الفور لكى تحضر بنفسها زجاجة الدواء ..

— وعندما عادت لويز .. هل كانت زوجتك بصحبتها ؟ ..

— نعم ، ولكني — فى الوقت ذاته — كنت قد اجتزت الازمة ، وغادرت شقة لويز .. ولم أكد اخرج من الباب حتى وجدت نفسى وجها لوجه امام لويز وزوجتى اللتين كانتا تهبطان درجات السلم ، وكانت كل منهما بقمص النوم ..

— لحظة واحدة من فضلك ..

واقترب ميجريه من لوكاس واسر فى اذنه ببضع كلمات .. ثم تركه يغادر الحجرة ! ...

ولم يظهر جوان اى استغراب لهذا التصرف ، ولم يحاول الاستفسار عن مغزاه ..

— وعندما خرجت من شقة لويز .. هل تركت الباب مفتوحا ؟ ..

— كلا ، فقد اغلقته خلفى ..

كان ميجريه يفضل لو ان البروفسور كذب عليه .. فقد ظل — طوال الساعة التى امضياها فى الحديث معا حتى تلك اللحظة — يتوق الى ان يرى كذبة واحدة ، او حتى تحريفا صغيرا للحقيقة من جانب جوان ، ولكن الرجل كان يتحرى الصدق التام فى كل كلمة ينطق بها ، وربما كانت هذه هى فضيلته الكبرى ..

ويبدو ان ميجريه ضاق ذرعا بهذه الفضيلة، فاراد ان يعطى البروفسور فرصة اخيرة للكذب :

— هل انت متأكد مما تقول ؟..

— تمام التأكيد ...

— ان زوجتك — حسب معلوماتى — لم تذهب ابدا لزيارة لويز فى شقتها ...

— انت لا تعرف زوجتى ...

لقد سبق ان ذكرت زوجة جوان فى حديثها مع ميجريه ان المرة الوحيدة التى نزلت فيها الى شقة لويز كانت فى تلك الليلة التى اصيب فيها جوان بالازمة القلبية ..

وقد اكد جوان الان — بصدق — ان زوجته لم تدخل الى شقة لويز فى تلك الليلة .. ومعنى ذلك انها لم تدخلها على الاطلاق قبل مصرع لويز .. كذلك فهى لم تر ما بداخل الشقة لان الباب كان مغلقا ..

ولكنها عندما نزلت لمقابلة ميجريه فى نفس الشقة فى الليلة السابقة، لم تلق نظرة استطلاع واحدة على اى ركن من الشقة ،فقد كان سلوكها يدل على أن المكان معروف لها جيدا ..

وكانت هذه هى كذبتها الثانية .. اما كذبتها الاولى فهى ادعاؤها بأن شقيقتها جاءت لزيارتها عرضا فى حين انها هى التى استدعتها — بالتليفون — لهذه الزيارة .. يضاف الى ذلك انها تعمدت الا تنبىء ميجريه — طوال حديثها معه فى الليلة السابقة — بأن لولو كانت حاملا رغم ان جوان كان قد اطلعها على هذه الحقيقة قبل اكثر من ٢٤ ساعة من مقتل لولو ..

— هل تعتقد انها ما زالت تسترق السمع من وراء الباب ؟ ..

— نعم ، واعتقد ايضا ان الاجراء الاحتياطى الذى اتخذته لم يكن له ما يبرره .. فليس ثمة داع لان تطلب من زميلك المخبر ان يقف فى الصالة لكى يمنع اى شخص من الدخول أو الخروج ..

— معك حق ...

— ولا شك انك مقتنع الان تماما بأن ..

ولم يكمل كلامه ، فقد انفتح الباب فجأة ودخلت منه زوجة جـوان وتقدمت بخطى متعثرة حتى بلغت منتصف الحجرة ، وعندئذ هب ميجريه على قدميه ...

— اننى مضطر الى القاء القبض عليك يا مدام جوان ..

ولم ترفع المرأة عينيها الى وجه ميجريه ، وانما تقدمت نحو زوجها الى أن اصبحت على مسافة قريبة جدا منه ، ثم أخذت تصب عليـه نظرات تغلى بالحقد والاحتقار اللذين لم يشهد ميجريه لهما مثيلا فى عينى اى انسان من قبل ..

ولم يتحرك البروفسور جوان من مكانه .. فقد اخذ يتلقى كل هذه الشحنة من البغضاء دون أن تهتز شعرة واحدة منه ...

وحاول ميجريه ان يجتذبها نحوه :

— اظن انك سمعت كل كلمة من حديثنا ...

ـ نعم ...

قالتها وهي شبه غائبة عن الوعي بينما كانت نظراتها لا تزال متشبثة بزوجها .

ـ هل تعترفين بانك قتلت لويز فيلون مساء الاثنين الماضي .. ؟

واخذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة ، واومأت برأسها في اذعان ، ثم اشارت الى زوجها وهي تقول بصوت متحشرج :

ـ لقد كان يعرف منذ أمد طويل ان ذلك سيحدث يوما ما .. انه هو الذي دفعني الى القتل .. كان يستفزني كل صباح ومساء باحاديثه عنها ...

وانتابتها ثورة جامحة مفاجئة .. وبدت كأنها توشك ان تلقي بنفسها على المكتب وان تنشب اظافرها في عنق البروفسور .. بينما ظل هو مسترخيا يرمقها عن كثب وكأنه يفحصها . .

ـ هل استدعيت شقيقتك لكي تتذرعي بحجة انك كنت داخل شقتك عندما وقعت الجريمة .. ؟

وأومأت برأسها مرة أخرى ، وواصل ميجريه اسئلته :

ـ اعتقد انك اوهمت شقيقتك بأنك ذاهبة لاعداد قدح من «التودي» الساخن لها ، ثم تركتها بمفردها في الشقة ، ونزلت الى شقة لويز لارتكاب جريمتك ..

وعندئذ حولت نظراتها من زوجها الى المفتش ، وقطبت جبينها وبدا عليها التردد ، فقد كان من الواضح أنها تعاني معركة داخليـــة قاسية ، وبعد لحظات من التوتر الصامت قالت بكلمات مبتورة :

ـ هذا ليس صحيحا ! ..

ـ وما هو الصحيح ؟...

ـ ان شقيقتي لم تبق بمفردها في الشقة ..

والتمع في عيني جوان تعبير ساخر كان يريد به ان يقول : « لطالما حذرتك من الانسياق وراء شقيقتك العانس » .

والحقيقة أن مدام جوان لم تكن مستعدة لتحمل عبء الجريمة كله وحدها . ورغم ان المؤلف كان يقتضي منها السكوت عند هذا الحد .. فانها لم تتمالك نفسها من الاستمرار في الكلام ..

— لقد كانت انطوانيت تعلم بما اعتزمت ان افعله ، وفى اللحظة الاخيرة لم اجد عندى الشجاعة الكافية ، لذلك فقد رأت ان تشجعنى وتصحبنى الى أسفل ..

— وهل دخلت معك الى شقة لولو ..

— ظلت واقفة أمام باب الشقة .. وانتهى كل شىء فى لحظات .. ثم صعدنا معا ..

وتلفتت حولها كأنها تتحدى العالم كله ، وصاحت بصوت اقرب الى الصراخ :

— ليذهب الجميع الى الجحيم .. فهذه هى الحقيقة .!

وعادت تصب نظرات الكراهية والاحتقار على زوجها .. وارتعدت شفتاها من عنف الغضب الذى يعتمل فى نفسها :

— الان ، تستطيع ان تبدأ فى تجديد طاقم الحريم ...

× × ×

ولكن مدام جوان كانت مخطئة فى تصورها .. فلم يطرأ اى تغيير على حياة البروفسور سوى ان لوسيل ديكو جاءت بعد بضعة اشهر لكى تعيش معه فضلا عن استمرارها فى العمل كسكرتيرة وشريكة له فى حله وترحاله .

وأغلب الظن انها لم تحاول اغراءه على الزواج منها ، كما انه لم يفكر فى الزواج مرة أخرى من اية امرأة ..

وعندما يذكر اسم البروفسور جوان الان فى أى مجلس ... فان ميجريه يتظاهر بانه لم يسمع شيئا او يعرج سريعا الى تغيير مجرى الحديث ...

(أنتهت)

دار الكتاب الجديد

